

يوسف عز الدين

حلو الذكريات ومرها

دراسة للمجتمع العربي وثقافته المعاصرة

دار الانداع الحديث
القاهرة ١٩٩٢

يوسف عز الدين

حلو

الذكريات ومرها

دراسة للمجتمع العربي وثقافته المعاصرة

دار الابداع الحديث
القاهرة ١٩٩٢

تصميم الفلانات
والإخراج الفني والتكثيف :
صبري عبد الواحد

مقدمة

هل في حياتي شيء مفيد ؟

هذا كتاب ما فكرت في كتابته وما دار في خللي تأليفه . إنه كتاب الصدقة المحضة والظروف وحدها . فقد طلب من الأستاذ حميد الطبعي أن أجيِب عن أسئلة وجهها إلى ليكتب عني دراسة ضمن سلسلة كتبه (الجذور في تاريخ العراق الحديث) فلم أجد في نفسي حافزا قويا خوفا من التهاون في الرد والمخرج الروسي والاجتهاد من الأجوبة ، لأن الحديث عن النفس ليس سهلا ولأن كل الذين كتبوا عني اعتمدوا في دراساتهم على إنتاجي وكتبي في تأليف كتبهم أو الترجمة منها إلى اللغات المتعددة . وأحد أقد أن كتبت عني ثلث دراسات بالإنكليزية والفرنسية والبولونية والعربية إضافة إلى ترجمات إلى اللغتين الإسبانية والبلفارية .

لا شك في أن الكتابة عن المعاصرين عمل خطاري تسجل فيه القضايا المعاصرة والأحداث التي قد تلعب في زوايا النسيان . ومنى لم تكن الباحث من دراسة آراء المفكر المعاصر وتناقش جذورها وتطور حياته الأدبية لمسوف يسجل جانباً من الحياة الثقافية ويرسم معالم الحركة الأدبية والتفكير العامة من خلال دراسة حياة المفكر والأديب .

ليس هذا الكتاب تاريخاً لحيان . إنما هي أجوبة لأسئلة مختلفة ساءرت فيها منهج الكتاب وجعلت محاوره فصولاً وتركت الأسئلة التفصيلية لأنها واضحة في الأجوبة . ولما انتهيت من الإجابة وجدتها مسجلاً بطرائب من حيان الفكرية والأدبية والمسيرة العلمية التي سرت فيها . فأنرت نشره كتاباً ليطلع الجيل المعاصر على حياة إنسان كاتع كفاهاً صعباً وجلعد جهلها مرا لبرئوى من العلم ويستفيد من الدراسة والبحث والتحقق .

وقعت حيان وقلمى وفكرى في سبيل أمى وطلت طاقى لأزاهى حرة الرأى طليقة الفكر متحضرة المجتمع تعيش أمة مطمئة مريحة المذهب سانية القصد ، أملاً أن يعرف الجيل الجديد حياة الكفاح التي عشناها وطريقة العائلة التي عاشناها لكي نعيش في قناعة ورضا .

نشأت في بقرية الجميلة . وكانت قرية صغيرة تحفها التل السامية الأصيلة والأخلاق البسيطة الساذجة ، وكانت أسرة واحدة يعرف كل واحد فيها كل أبنائها ولم تكن فيها غير مدرسة واحدة يأتمها أبناء القرى لإكمال دراستهم . ومعنى هطلت الأمطار كانت أرجلنا تغوص في الطين ، وكمن من واحد منا انزلت رجلاه وصاحبت ملاهه أرضها ، وما أكثر ما كنا نسلط في الرجل .

ولقد انتشرت فيها المدارس والمؤسسات الصحية والعلمية والإدارية الآن وتوسعت شرقاً وغرباً ودخلتها الحضارة وغيبت تلك المقاهم السامية وبذلت التل العالية شأن كل بلدان الشرق التي غيرها موجة الخط .

كان أهل بقرية يميلون إلى القدوة والدعة والسكون مثل حياة المزارع البسيط ذي القلب الطيب والنفس المطمئة القانع بما رزقه الله . لذلك قلّت بينهم العداوات والمشاحنات . وكان أول حادث قتل من عمل الوافدين إليها ، وهو الذي رج القرية رجا . لا يميلون إلى السياسة ومعاركها حتى ظهرت الأحزاب السياسية في بغداد وشكلت لها القروى في بقرية .

وبدأت النفوس تحس بالحرية والثاقفة في الانتخبات العامة ثم اعتضت هذه الأحزاب وضاعت معها حرية القول والرأي .

ولم تكن بغداد غير قرية صغيرة لا تتجاوز أربعة كيلومترات من باب المعظم حتى الباب الشرقي في الرصافة، وأصدر منها الكرخ ولكنها كانت تخرج بالحياة والحيوية . فبعد أن عرج الانكليز ظاهرياً منها تسلم أبناء العراق والعرب الحكم فحلوا من الحرية الفردية وضيقوا على الرأي لقتل الفكر الفعير والفكرة العلوفة ، وسجل التاريخ أن الحرية في عهد الاحتلال البريطاني كانت أوسع نطاقاً منها في عهد حكم أبناء البلد .

العراق بلد يفيض بالخيرات من كل نوع وكل شكل كالماء والمعادن وخصوبة الأرض، ثم جاء النفط والكثرت فزاد من هذه الثروة . فها مقدار فائقة الشعب من هذه الخيرات ؟ وما أثرها في التطور الحضاري والفكر العالمي ؟ بعد أن كثرت الأدباء والعلماء والباحثون والمفكرون وبعد أن انتشرت المدارس والجامعات والمصانع والمعامل ؟ ويمكن للباحث أن يقارن حياته المعاصرة بالوقت الذي عشناه عندما لم تكن هناك جامعة مرموقة أو مصنع كبير إنما هي كليات متشرة وحرف يدوية في كل المدن والقرى تزود أبنائها بالضروري من الحاجات العامة وقد تكفى ذاتها من إنتاجها وغطائها ولباسها .

وسيجد الدارس للمعاصر فرقاً كبيراً بين حياتي وحياته ومجتمعي ومجتمعه . فقد توالى الخيرات وتدفق النفط وكثرت حياة الترف والاحتياز في المواد وحسب المخترعات التي تقدم الإنسان وتزيل عنه الكثير من المشاق التي عانى منها الجيل الذي عشت فيه .

ولما احتجت إلى بعض المعلومات استعنت ببعض زملاء العمر ورفقة الدراسة فأسعدني الأخ عبد المجيد حبيب القيسي بمعلومات وافرة عن بطونة ودراستنا في الابتدائية ، وما زال يحفظ كثيراً من الذكريات . ثم

كتب لي الأخ كمال الميسى المحامي ذكرياتنا في الابتدائية والمتوسطة ووصف
حالتنا الفكرية الساذج وطموحنا في المدرسة ورسم حياتنا الفكرية .

وكانت كتابتنا في المتوسطة هي بواكير المساهمة في الصحف المحلية
واستعنت بذكريات الدكتور طه أحمد عن حياتنا في بعقوبة وأسباه
بعض الزملاء ووجدت الأستاذ الدكتور ماهر حسن فهمي غير من يذكر
أيام الجامعة فأستعني بما عن له ونشرت هذه الرسائل في الملحق ليستفيد
منها غيري .

وشكري للدكتور النظامي محمد يمان وأعظم الشكر وأجزاله للأستاذ
الجمعي الجليل وضع فلسطين على إشرافه على التصحيح وحل عبء كبير
في الطبع والثابتة .

وقد طلب مني الأستاذ حميد الطبعي أن أرسل إليه بعض الصور
لنشرها في كتابه فاستعنت بالزميل الدكتور أحمد نجم الدين فزودني بالصور
الجامعية وأضفت إليها مختارات تذكري بروابط الود والإخاء والعلم برواء
الفكر والأدب ، غشية الآنتاح لي فرصة أخرى ، فالشكر له ، فله الفضل
الأول في هذا الكتاب .

وعندما أرجو أن يكون قد أضفت جديداً إلى كتبي وأن يجد من يقرأه
بعض الفائدة موافقا لأرائي أو مخالفا لها عل أن أحفظ يوده .

يوسف عز الدين

الطائف

الفصل الأول

الأسرة والموهبة

الفصل الأول

الأسرة والموهبة

الموهبة إرث فطري ، فمن يكون الشاعر شاعرا أو الأديب أديبا ولا الرسام مبدعا إلا إذا كان يملك موهبة موروثة ، ولن يفيد أي أثر مصطنع أو تدريب في خلقها مهما بذل من جهد في سبيل خلقها ، ولكن الصقل يذهبها ويبدعها بصورة أجمل وبشكل فن أروع وإطار أهدى جزل وأسلوب علمي دقيق . فالطائر الفرد يولد ومعه صوته الجميل وفرد دون أن يطلب منه التفريد ، والرسام الموهوب يرسم رسمه بما وهبه الله من فطرا فنية وموهبة خاصة به دون أن يحس الناس على الرسم . وهكذا الموسيقي والشاعر والناقد .

إن الدراسة المستمرة والاستفادة من البحر الفني والاستماع إلى إنتاج الفنانين سواء أكانوا شعراء أم مغنين ، وقراءة إبداعاتهم والتعرض بإنتاجهم قد يفيد في تعليم الفن ولكن هذه الفائدة سوف تكون محدودة وهي أقرب إلى الاصطناع منها إلى الموهبة للبدعة والنفرة الفنية السامية السليمة .

وقد كان والدي رحمه الله طواقة للشعر . فقد كان يتشبع شعرا وكان له حس شعري جميل . فلذا ما خرجنا إلى خارج المدينة على ظهور الخيل كنت أسمعهم يتغنى بالشعر بأنواعه ، والشعبي كثيرا والضحك قليلا .

فاحسنت بالوزن والموسيقى ونشأت على رقة الشعر وجماله . . .

وكان أول هدية لي من حيوان شعر . لم يكن يملك مكتبة . . لأنه لم يأخذ العلم واكتفى بعلمه العسكري . كان واسع الاطلاع على معارف عصره وأشهر زماته . فقد شارك في الحرب العالمية الأولى وجمال في العالم المعروف وذهب إلى تركيا وروسيا وميادين القتال التي على منها ما على . . وكان يتكلم التركية والعربية والكردية .

وأما روحها الله كانت ذكية شديدة الذكاء ، وكان يسعدنا أن نحقق من الأم الناس وتحفظ الأغاني الشعبية فترددها لتضربها تعانته من وجع المرأة في حياتها وجمعتها . . فكانت أسمع الشعر عتدا كانت تهدهنا في الهدى بصوت رخم عذب حتى تنام ، وكثيرا ما كلفت تهنئها الأغاني الرقيقة حتى تبكي لروقة مشاعرها وعمق إحساسها الفني . وكانت ربة بيت من الطراز الأول نظيفة أنيقة تنظف البيت وترتب الفراش وتطبخ الطعام وتطعم الحطة أحيانا وتخبز في التور وتغسل اللابس وتقوم بكل ما تقوم به السيدات في زمنها من الاعتناء الكلي على النفس والاكتفاء الذاتي بالعمال البيت برغم كثرة الأولاد . ولما اعتزج (البريس) كانت سعادتها كبيرة لأنها تخلصت من الخطب والجلة وبخاصة الخطب الأخضر الذي يملأ البيت بالدخان عند استعماله . كنا سبعة إخوة ، وكانت تحلب علينا من الحسد لأننا سبعة أولاد ذكور ، لذلك كانت تنكر بعض البنوة وتقول إن الكبار أبناء زوجي والصغار أبنائي لتبعد عنا الحسد وترتاح نفسها .

ليس لي من أقارب أثروا في حياتي ، فقد كنت شديد الالتصاق بالدي . ولم يؤثر في شخصيتي أي إنسان إذ لم ألق في حياتي فردا وأجعله مثل الأعلى من الأحياء الذين كانوا يعاصرونني ، ولم أتم في حياتي أن أكون نسخة من أي إنسان لو اقتضى بفائدة أو شاعر أو مفكر . إلى أحب إتيانهم وألفته وأسير في هديه ، فلكل شاعر قصائد أعجب بها وله مثله لا أحبها .

أسرى متوسطة في العلم والجمع لأننا نعيش في بلدة لم تعرف من العلم إلا القدر المحدود ولكنها كانت تشيع بالأصل العريق والأصل الكريم .

ليس في بقوة مجالس علم أو معاهد دراسة ، فقد كانت مجالس العلم محدودة في العراق ، ومراكزها في مناطق معروفة في البلاد .

فنحن أسرة لها من الأصالة عراقية الجذور ، صديق البعد التاريخي . كانت الأسرة ومازال بعضها يسكن في سامراء ويدها الصدرة والسدة على الروضتين المقدستين للإمامين الجليلين علي الهادي والحسن العسكري . . فتدخلت بينهم المطامع وجرت إلى معركة دموية مؤسفة بين الأسرة نفسها وأبناء العم حتى دخلت سلطة داود باشا لقمي على الكثير من أبنائها . فضرقت بعد أن تسلم نصفها المتصغر السدة وهرب الباقون إلى بقاع العالم في الهند وبارما (راجات) ونهب قسم إلى إيران فأصبحوا أضياء ، وسكن قسم مناطق العراق المتنوعة وفري الجبال .

وكان جدنا قد لجأ إلى حدود إيران ، ولما خف الطلب سكن شهربان ثم انتقل ولده إلى بقوة حيث له رحم هناك ، ومجاشت بعض أقسام منها في رقابية وحاش بعضهم من القالة .

كان رأس الأسرة عم لي أحسن تعليمه وأصبح موظفاً - فرط في كل الأوت المال في (الديوان) الذي ورثه عن والده . . ولما جاء الاحتلال البريطاني اشتغل والده بالعمل الحر بعد عودته من حروب الدولة العثمانية لأنه غني اليد والنفس ففتح له محلين للبيع والشراء وضع ابنه الكبير في مكان قريباً أرميا في مكان ثان كان أغله من الموت فيه (عمداً) .

وكان لي شديد الكراهية للإتكليز الذين يراهم كفاروا احتلوا بلادنا ونقضوا على الدولة الإسلامية واستعمروا وطنه وأكلوا العرب والمسلمين .

كان متزوجاً من سيدة كردية خلف منها الولد الأكبر . ولما ذهب إلى ساحات القتال قيل لها إنه قتل في المعارك . ولما عاد وجدها قد تزوجت ابن خالتها .

رضي بالواقع بعد ذلك وتزوج أمي قريبة له فكنت الولد البكر . انضم إلى الأحرار الثائرين ونحاصم زملاء السلاح ، لأنهم قبلوا العمل في الحكم الوطني وأعانوا الانكليز في إدارة أمورهم . حاول أصحابه إغراءه بالعودة إلى الجيش فلم يظفروا بباطل . ويظهر أن عقيدته كانت راسخة بكرة الأجنبي ، وما كان يملك من مال كفه العوز واللجوء إلى الوظيفة . . حتى تلاحوا معه فقال لهم : أنا لا احترم الاستعمار الكافر ولا من يقدمه . فكان في ذلك فراق رفيق السلاح وزمالة الجهاد . وفي الثورة العراقية دخلت العشائر بعقوبة واستولت على مركز الحكم وأخلت عزاة الأمور وهبت بيوت اليهود والضعفاء الذين ليس لهم ناصر لومعين بحسبهم . فلجأت أسر اليهود إلى دارنا وحماها والذي من الموت ، ولم يكن قادراً على حماية أموالهم . وكان يقف في الباب لتراء العشائر ولا تدخل لسلب الدار . ولما علمت الأمور إلى مجراها استردوا أموالهم من تجارهم وبسائليهم المعروفين في البيع والشراء .

ولاستباب الأمن والسيطرة على الفوضى التي عمت البلدة تشكلت سلطة أهلية من كان ضابطاً في الجيش العثماني . وعين والذي ساعدا لحاكم البلدة العراقي . ولما تركت العشائر البلد بعد دخول الجيش المحتل ومهاجمة العشائر بالطائرات التي كانت اختراقها جنيداً ، أرسل والذي بأمر والأمر إلى الموصل حيث كان لنا أصدقاء فيها ، وأخذتني معها ، ولم أكن قد تجاوزت الأربعين يوماً . فلما ابن الثورة التي بقيت معي طول حين . ولا دخلت السلطة البريطانية إلى بعقوبة أخلت في محاسبة الثائرين والأحرار الذين وقفوا ضدها ، أو الذين كانوا يعارضون سلطاتها ونفوذها وقتلت

فأخفى بعقوبة الملاحسين في داره ، وكان في المرحاض عندما دخلوا داره ،
فقتل فيها ولمزال قبره في جامع الشاهنذر على ضفة نهر خراسان . وكان
والذي كثيرا ما يذكره بالخير ويعلم (المهجر) الانكليزي الذي قتله ويترحم
عليه . . ولأنك في أن الجيل المعاصر لا يعرف شيئا عنه ولعله أول شهيد
قتل في بعقوبة . وقد ألقى القبض على والذي مع جماعته وأودعوا السجن ،
وكانت السلطات تتفنن في إهانتهم ، فقد كانوا يجبرون على حل لثيابه في
الصفائح ورشها في الشوارع تحت تهديد السلاح ليكونوا عبرة لمن يفكر في
الثورة على السلطة .

وفي الليل اتفق وصحبه على كسر أبواب السجن والخروج . ويظهر أن
الحراس كانوا لهم بالمرصاد ، فهاجموا عليهم بالسلاح الأبيض وأصيب
والذي بطلعة في ساعده بقيت آثارها معه طوال حياته وسام نضال وشهادة
ثورة على الظلم والظوان . وصورت أمواله وأصبح بلا مال يقيم أوده .
وصار وصير حتى نفد الصبر والمال . فاضطر إلى الذهاب إلى خضعة
الاستعمار فقابلوه بهجاء وقالوا له :

كيف نخدم الاستعمار ونعمل مع خدمه ؟ .. وكان هذا آخر لقاء مع
رفقة السلاح .

بدأت مرحلة الفاقة تنسرب إلى حياته وتفتت أمواله بعد أن أصبح
معيلا لأسرة اعتادت على الرفاهية وطيب العيش . فقد كان كريما جوادا .
وحدثت بأن الشخص الذي بشره بولادة أطفاله ليرة ذهبية ، وما كان
أغلاما . إيا راتب موظف محترم . تعود على الكرم ، فقد كان والده يفتح
ديوانه للشارد والوارد ، واستمر أموره الكريمة في كرمه حتى أصبح كل شيء .

ما كان العلم بضاعته بالرغم من سعة اطلاعه وبقوله المرفف في
الشعر . إنه من أرواسط الناس ، ما كان فقيرا متريا وما كان غنيا . وبالعقوبة

بلدة زراعية وفيها حرف يدوية . يعرف كل واحد أبناء البلدة . فقد كنت
أعرف كل أبنائها وأعرف من ولد ومن مات ومن تزوج ولم تزوج إذ كانت
الفرجة نعم كل البلدة في الأعراس وحفلات الختان ، والحزن نعم كل
البلدة إذا ماتوا منهم رجل أو امرأة . . كان التكافل الاجتماعي واضحاً
بين أهلها بالرغم من أنهم من أصول متعددة وجنود متباينة . فيهم العرب
والكردي والتركى والأرمن وفيهم الشيعى والسنى ، وفيهم الفلاح
ومصاحب القهوة ومصاحب الحمام والإسكافي والبقال والمطبخ ولكلهم كانوا
أُسرة واحدة لا تعرف بينهم الطائفة ولا القبيلة ولا البلدانية ، فتجد
الزواجة بين جميع الطبقات والطوائف . . والأصول العربية والأجنبية .

كان والدى يتلى (بالسيد) ، وكنت أحس بالأحرام التى يديه له
الناس عند طلب مساعدته في بعض الأمور والدعاء له . يجلون إليه من
حزبهم أمر لو منى أضررت بهم أمة ليلاً أو نهاراً . ما كان يتأخر عن مساعدة
الناس وعدمتهم برغم طاقته المحدودة وقليته القليلة . إن الناس كانوا
يحبهون وكان يحب الناس . وأبنا كنت أتعجب أجد أحسن الرعاية لأل (ابن
السيد) . وكنت أسمع اصطاح الناس له والفرح . وما أغل حب الناس
وحقق عواطفهم .

كان شديد الحرص على تعليمي . أحملني إلى دراسة اللغة في المسجد
وإلى دراسة القرآن عند (الملا) شهاب و(اللاله) عارف ، وتكنى كنت
أحس بالضيق - الذى يمليه على أسلوب القراءة . فمُنَّ حفظ القرآن
حفظاً - ولا أحب الحفظ - دون فهم ، فتعدت على هذه الطريقة . . ولما
ذهبت إلى المدرسة الابتدائية وجدت الفرق كبيراً ، فنحن نجلس على
رحلات ، وكنا ندرس على الأرض وعليها الحصر التى تؤثر في أجسامنا من
كثرة الجلوس عليها وترك علامات في أجسامنا . . وكان القوس في المدرسة
يلرس وهو واقف وأمامه السبورة . وكان (الملا) يبعد على الأرض

ونشأ في حوله في تعليم القرآن الكريم . كانت في المدرسة ساعات لمحو وراحة بين ساعات الدراسة ، وما كانت لنا أية فرصة عند (اللالا) ، فنجلس من الصبح حتى الظهر ، وكنا نسمع اذا ما أُرسلنا في طلب حاجة أو القيام بعمل من الأعمال غير قراءة القرآن والجلوس الطويل . كان (اللالا) عارف بالعله العقل الأصل ، شديد القوة ، يعاقب على الصغيرة والكبيرة ، لذلك كنت أخاف منه ولا أريد أن أذهب إليه . فالتفت إلى اللالا (شهاب) وكان رفيق الخاشية والخلق وكنت أذهب إليه برغم بعد المسافة . كانت المدرسة الابتدائية من مآثر الدولة العثمانية ، فيها شيايبك عالية ومساحات كبيرة وتحيط بها البساتين وفيها حدائق جميلة ضام أكثرها بالبنايات التي شيدت عليها ، فضاحت محلها الصحية الرائعة بسبب التجديد المستمر . وكانت تقع في آخر بقوينة في الطريق إلى محطة القطار ، ولم تكن ورامها بنهايات حتى سكنتها بعد ذلك بعض الأسر . وكانت البساتين تمتد حتى تصل إلى سكة القطار والطريق العام الذاهب إلى بغداد وحماقين .

كانت رغبة والدي أن أكون متعلما ، وكان يحرص أشد الحرص على متابعتي في المدرسة . وعندما شطر السباه كان يلتحق على حصاه إليها . أحب أن أجيد صناعة العلم بعد أن أجاد صناعة الحرب وتعلم في مساحاتها ومواقعها فكان عذابه سيبا في منى من أن أكون ضابطا . فقال: يكفي أن تعلمت فيها . ويظهر أن الآلام التي قاساها والحوال الحرب في قفقاسية والآنخول وروسية كانت واضحة في نفسه مؤثرة في روحه .

دخلت دار المعلمين الابتدائية لأن الأسرة ذهبت إلى القفقاسية وكانت الدار تؤمن لي الغذاء والكساء والتعليم للجان والوظيفة المؤكدة . وكان والدي رحمه الله قد كثر عياله وزاد عدد إخواني وبناه بحمله الثقيل ، فتردت أن أساعده وأعت به على إخواني . يضاف إلى هذا أن ثانوية بقوينة ليس فيها فرح لحي ، وكنت أسبل إليه وألتي أن ألتزم فيه .

كنا نسكن داراً لا يشترك فيها أحد من الأقرباء ، ولم نشارك أحداً في السكنى طوال حياتنا . فلم يؤثر إنسان في حياتنا العلمية أو الفكرية سوى والذي رحمه الله بشموحه الأصيل وكبريائه المتواضع . ومن المصادف الجميلة أن كانت مكتبة تبيع القرطابية للطلاب وكان صاحبها محمد صادق أو صادق محمد من أهل الكاظمية وأصبح موطئاً في الثانوية المركزية في بغداد . . كان يؤجر لنا الكتب أسبوعياً بأجور زهيدة لأننا لم نقدر على شرائها ، وكانت سيرة عنترة بن شداد و (الزير سالم) وغزوات الإمام إلى اليمن و (رأس الغول) و (القنادل العباسية) و (عجيب وغريب) وغيرها هي ثقافتنا في هذه السن . وكنت دائم القراءة والإطلاع على ما يقدمه في صاحب المكتبة النشيط .

كان أثر القراءة واضحاً في حياتي ، فالتصرفت إليها متعة بالقراءة واستفادة من المحاولات . وعندما أعطاني (غزوات الإمام) على كرم الله وجهه وجدت فيها البطولة والإيمان فالتذلت أقرأ كل الكتب التي تحدثت عن سيرته . ولعل الرابطة الروحية والنسب العريق كانا واشجة هذه الدراسة فكانت أحس بالفخر والزهو والمباهاة بهذا الفارس القدام الذي يقدس سحره الشوك . . وأبكي للنهاية المفجعة التي أدت به لأنه استقام في حكمه فقلبه الأعوجاج .

كنت أكره قراءة والعة (صفيين) ولا أحب أن أقرأ عن مقتله وأتألم عندما أطلع على المؤامرات التي حيكمت للقضاء عليه . وأتساءل بعقل الصغير: هل كان العدل والإيمان والخلق الكريم والوضوح والبطولة الرائعة سبباً في خسارته ؟ وهل للمكر والحيل والتفلق والانحراف والخون من أسباب توفيق الإنسان ولا سيما بعد أن انتصر معاوية وجعلها ملكاً عضوياً ؟ وأقول:

اعتدل الإمام فكسر

انحرف معاوية فتحكم وانتصر .

كرهت الحكم المطلق والانتحراف الخلفي والدين عندما تأهت حكم
الغرد وسيطرته على مقومات حياة الأمة كلها طوال حياة الأسرة الأمريكية
ولم تستأمن أمانى عودة الوثنية الجاهلية عندما رضى العرب والمسلمون عن
حياتهم، ولم تُغنى ثورات الحق والإخلاص والمطالبة بحكم الشعب قتيلاً .
وأعجب من الجيش الذى يقاتل جماعة تريد الحرية ومع ذلك تموت فى سبيل
من يريد استعبادها وأساءل بمرارة :

هل الإنسان جيد فى طبيعه ؟

هل البشر وثيون بالنظرة ؟

هل العرب يريدون العبودية ؟

ولم تكن أصل إلى نتيجة ترضى الضمير البريء والفكر الساذج والنفس
الصريحة الواضحة .

ما كنت تجاوزت الصف الرابع وأنا أقرأ كثيراً من الكتب التى جعلت
إحساسى بالتناقض والحيرة والألم . ذهبت إلى المكتبة بعد أن فرغت من كتب
الغزوات وافتتح، وكان معنئ التوقف عن القراءة . وقد كان الرجل ذكياً فأعدت
رواية من الروايات الحديثة وكان مكتوباً تحت العنوان : رواية اجتماعية
غرامية . . ما كنت أعرف كلمة غرامية ، ولم يكن أمانى سواها فقرأتها
فتفتحت أمانى التحوام الجديدة ووجدت فيها متعة غريبة . . تتحدث عن
الحب ولقاء الذكر والأنثى والتجوين والهجر واللقاء . . إنها ألقاط جديدة
ما دخلت قاموسى المشحون بالفروسية والقوة والإيمان والغزوات .

كنت أقول للطالب: إذا أردت أن تتمتع اقرأ القصص المكتوب فيها
(غرامية) وبذلك قرأت مجموعة كبيرة من القصص الحديثة التى حوت
معارف شتى لم أعرفها من قبل . . .

يعقوبة :

يعقوبه أو باعقوبا مدينة تاريخية قديمة، ولعلها كانت أرامية تقع على طريق القوافل الداهية إلى خراسان وإيران ، وما زالت على طريق الزائرين للأماكن المقدسة . وكم من مرة جاء إيراقي يستجدي الناس ليواصل مسيرته مشيا على القدمين لزيارة النجف الأشرف وكربلاء والكاظمية وسامراء . . . وقد لوطن بعض الإيرانيين فيها واسترجعوا بأهلها . ومن اسمها يتضح أنها (بيت المقدس) أو بيت صاحب الكرمك ، وأهلها بصورة عامة لا يؤذون بعضهم بعضا لأنها بلد زراعي يمتلك أكثر أراضي أهل بغداد . وأنهم من له بستان أو حمام ، لذلك انتشرت مقولة (حملي لوبستاني) لمن يريد أن يظهر فقره . أو عندما يحاقب إنسان بصرف مبلغ لا طاقة به لدخله الحدود . وشعبها برغم الاختلاط العجيب في الأصول والجذور والقوميات والمذنب فقد وحدهم الصبغة العربية . فكلهم يتكلم العربية وتزوجوا لطيفة القوم وسباحة المجتمع الذي جمع العربى والكردى والإيراني والتركي في بوتقة واحدة . إن التسامح هو للسيطر عليهم والطيبة تعرف على أكثرهم بالرخم من وجود مظاهر المجتمع الزراعي كالخمس والحقد والتعينة،وعندها تضعف النفس ويكثر الفراغ . إنها قلق الزارع وحيرة الفلاح الذي لا يملك أرضه ولا يسيطر على ما يزرع ويحصد . وقد كانت تابعة لبغداد منذ العصر العباسي . وقد قال عنها بالوقت إنها قرية كبيرة كالمدينة ، وهي كثيرة الأنهار والبساتين واسعة القواكه متكاثفة النخل ، وهي راكبة على نهر ديبالى من جانبها الغربى ونهر جلولاء يجرى في وسطها ، وعلى جانبى النهر سوقان وعلى قنطرة وعلى ظهر القنطرة يتصل السوفسان ، والسفن تجرى تحت القنطرة إلى باجسرا وغيرها من القرى . وبها عدة حمامات ومساجد ، وينسب إليها جماعة من أهل العلم منهم أبو الحسن محمد بن الحسين بن حمدون البعقوبى قاضيها . وهي التي ذكرها الخيص بيص في رسائله السبع بسأل المسترشد أن يبنيها له وعرض عنها مال فلم يقبله وقد جعلها المهدي البهري بقوله :

الأقل لمرتاد التوال تطوقا يلققه هم عليه حريص
تخاف يعقوبا اذا جثت مصرا لهم بيت الضيف وهو خيصر
ابو الشيص لو واقام بمجاعة لأعوزة بين الحدائق شيص
ولو عروسة من شغلها قبل قد هوت الليل عشار قد هوين وخوص

وقد ظلمها الشاعر لأن الجرد من الوجود وكيف يتفق أهل بلدة لا يملكون شيئا . ولربما فرد واحد مية له . فهجا أهلها وكان حريا به أن يحجر الذي منعه منها . ولكن خوفه حول غضب على المسترشد إلى أهل البلدة ومن هذا يظهر أنها كانت غنية وعامرة ومن غير الأماكن ، وإلا لما استهات الشاعر في طلبها . ومن مظاهرها الواضحة أن الرابطة البدائية ليست قوية مثل بعض المدن التي تصل فيها إلى حد التعصب لأبناء البلدة والإشاعة بكل من يبرز منهم لعدم الرابطة القبلية أو الأسرية ، وأخيرا الرابطة البدائية بينهم .

وقد وجدت بطوية على الصورة التي وصفها بها بقوت الحموى . وللأسف الشديد هدم السوق الجميل المنطقى ، عندما فتح شارع بجانب نهر جلولاء (خراسان) ولا أعرف من أين جاء اسمه ، فهو يأخذ من نهر ديبالى ولم تعد المياه لصفحاتها قلعة على حل السفن . ولعل جلولاء هو نهر غير هذا النهر الحالي لأن النهر الحالي لا يصل إلى باجرا إنما ينتهى في (بهرز) ويضمحل في بساتين في آخره ولعل مسيرته قد تغيرت بإهماله . وقد اتسعت أنابيبه وعبئت نهر ديبالى وأنشأ الناس بطوية الجديدة . وأصبحت مدينه عامرة بأبنيتها الجديدة الحديثة . ولم يكن في بطوية غير ثلاثة حمامات أخذ شارع النهر اثنين منها وتدارك واحد منها نفسه ، وأصبح فيها حمامان وقد ابتنت القنولة حماما ثالثا . كنا نذهب إلى (حمام السوق) إذ لا تعرف البيوت حمامات خاصة بها حتى بنيت أول دار لي وأقترنت حجرة منها حماما خاصا . وقد أصبحت البلدة بعدة أمراض وطواعين قضت على أهلها . لهذا

لا تجد عرافة لليلة أو رابطة بلدانية بينهم تجمع أرواحهم وتشددهم إلى اسم الليلة . وقد عاش بعض ضباط الأتراك في بقرية من كان يحمل لقب (بك) وكانوا يرتدون الطربوش بالرغم من تغير لباس الرأس إلى (السدرة) التي جاءت مع الملك فيصل الأول وكانت تسمى أول الأمر (القمصية) ، وكان عند معتمري العمارة قليلا يعقون على الأصابع ، منهم (الملا واللالا) وإمام المسجد الكبير والمسجد الصغير الذي كان على شاطئ النهر وهدم عندما فتح طريق النهر ..

إن الأكثرية الساحقة من أهل بقرية كانت ترتدي (الشياخ) الأسود والأبيض الذي بقيت لفته البابية حية في أشكالها المتروحة ، وبعضهم كان يرتدي فوقه الخدال ، وهم كبار السن . وكان والذي يرحمه الله بعد عودته من تركيا يلبس الخدال (المقصب) وبه عقود مفضونة بالذهب ، ثم تركه وقال إنه ثقل . . ولما انتشرت موجة الملابس الغربية تركه قائلا هؤلاء لا يحترمون أصحاب الخدال ويحترمون (الأفتدي) التي يرتدي ملابس الغرب . وعندما انتشرت الملابس الغربية : شاعت أفتية :

نحن مستوى والباقي ليه^(١) .

طلقوا أرجلهم وتعذّن أفتية

وليس في الأفتية غير معنى للموجة العارمة لأرتداء الزى الغربي ، فرمت عليها نقمة أخرى لأو أفتية مناقضة لها :

لا تنفهر يا بوعفّال تزه السدرة قلدره

وفيها معنيان . . الأول هجاء للسدرة ومن ثم كانت السدرة مصنوعة من قماش سمين وجميل فإذا استعملها صاحبها مدة يأخذها إلى صاحب الأحذية فيصنع منها وجها للحذاء لأنها مرعبة وقوية .

(١) نحن - قول لوجهين - قريشيين

إن الملابس الغربية لم تفر إلا الشباب الذين كانوا يذهبون إلى بغداد وهم بها صلات متنوعة . وقد كان لباس الغربى يعنى التطور والعصرية والتجديد ، وأصحاب العقول جماعة جامعة جامدة متأخرة ، فيردون على الشباب بالنقد والتجريح . .

كان في بطونة جماعة من اليهود الذين يبيعون بالجملة لأصحاب الحوانيت وعدد محدود من الإيرانيين بدأوا يزاحمون اليهود الذين منهم صناعة الذهب ويدهم مقاليد الأمور التجارية الكبيرة . ولما تقدمت الحياة الاقتصادية انتشرت في السوق البضاعة المتنوعة وفتحت بعض الحوانيت لبيع المواد الجديدة والمخترعات الحديثة كالللمصباح والتلفاز ، إلا لم يكن في بقوة إنسان يبيع الأدوات الكهربائية الثقيلة . ولول مذياع اشتريته من بغداد كان حدثاً كبيراً في الأسرة لأن عدد مالكي المذياع كان محدوداً .

إن ارتفاع مستوى حياة الناس بعد انتشار عائدات النفط بعد الحرب العظمى أثر أثراً كبيراً فكثر الأبهة الجديدة بالطابوق والسمنت والحديد (الشيلان) . لم يكن من أهل بقوة غير عدد محدود من الموظفين ، فقد كان الموظفون يأتون من بغداد وعدد المعلمين منها لم يكن كثيراً في المدرسة الابتدائية التي كنا ندرس فيها . ولما انتشرت المدارس وفتحت أبواب العلم كثر المعلمون والضباط والموظفون . ووجود الثانوية وسع دائرة الثقافة ، فقد ذهب الخريجون إلى بغداد ودخلوا المدارس العالية وبخاصة دار المعلمين العالية والكلية الحربية .

أول خطبة

أول مرة ألقى شيئاً من محاضراتي شعراً كان في مدرسة شهربان الابتدائية أثناء نعمة العلم أيام الخميس ، فقد كانت قصيدة الزهاوى تلى كل يوم خميس ومطلعها :

عش هكذا في علو أياها العلم فزنا بك بعد الله نعتصم
فقرات قصائد جديدة للصالح النجفي منها :

أنا منها النهر أشقى وطني لم أزل أبكي لشرق الأردن
هو طفل لم يفارق مهده ولقد فاق صنوف المحن
أسفا قصر جناحه العلى وهو صغير لم يطر من وطن

وقصيدة سورية وغيرها من القصائد الوطنية والقومية التي نشرت في (الأمواج) . كانت قصائد جديدة لم يسمع بها من قبل ، لذلك احتفى بها المعلمون وفرحوا بها للتجديد . وفي الأسبوع الثاني طلب مني المعلم المراقب إلقاء قصيدة فقرأت إحدى القصائد التي حفظتها ، وكان الزميل كمال مصطفى القيسي يتناوب معي إلقاء قصائد أخرى في عدد من المناسبات .

احسنت لأول مرة بحلاوة ، تعلمت على القراءة وبدأت أحسن بجمال الكلمات وحلوة المعنى ورقة الجرس ، وبدأت تدخل في قاموسي الثغرى كلمات جديدة وألفاظ حديثة جميلة الرجع رفيقة المعنى .

فأض لي وأنا في بيت بعيدة عن عالم الكتب والمكتبات أن تبرز موهبي الشعرية ، وكنت أقرأ كتب التاريخ والأدب التي أجدتها في كل مكان دون أن أفقه بعض الحوادث والأمور السياسية وأحرف جلورها في مثل سبي . وفي المدرسة المتوسطة بدأت أجد بعض الكتب وأخذت الجرائد والمجلات المصرية كالرسالة والاحلال تصل إلى مكتوبة بأعداد محدودة وكنت عندما أذهب إلى بغداد أشتري المجلات القديمة ، وكانت تملأ سوق السراي وبأسعار رخيصة .

بدأت كتابتي في الجرائد وأنا في المدرسة المتوسطة . وبدأت مع صديقي كمال القيسي الذي أكمل الحقوق وأصبح من رجال الفكر المالي في الدولة بعد ذلك . وكانت جريدة العالم العربي أول جريدة نشرت فيها إسمي

وكانت فرحتي تفوق الوصف . وجرى نقاش بين كمال القيسي وبينى لا أذكره وربما أسقط بعض هذه الجرائد التي دار فيها هذا النقاش . وفي دار المعلمين نشرت بعض شعري . ولما أصبحت معلما كنت أكتب رسالة أسبوعية في جريدتي الزمان والعراق عن حوادث بعقوبة وأصف ما يشور في لواء ديالى من قضايا فكرية واجتماعية .

إن ظهور إسمي في الجرائد المحلية أحيانا وبالتوقيع المستعار مرات متعددة لفت نظر أهل بعقوبة وتمت في سمعة بين قراء الجرائد والمسؤولين إضافة إلى أنني كنت ألقى بعض الأحاديث والفصائد من الإذاعة عرفت المجتمع بـ .

كانت هذه السمعة الكبيرة بالنسبة لبلد صغير محدود ببعض المحتاجين لكن أتوسط لهم في حل مشكلاتهم ومساعدتهم في إنجازها عند كبار الموظفين . وقد كنت أجد استجابة ورعاية من الموظفين الكبار . هل هو خوف أو هو التقدير لأنى كاتب برزت في ريع بعقوبة التي لم يظهر فيها منذ زمن من يكتب اسم بعقوبة أمام اسمه .

ومن الطرائف أن أحد الحلاقين ، وكان غطاءً للأطفال ، طلب منى منع الحلاقين الذين يتون في أوقات الربيع لحتان الأطفال حتى يحتكر العمل وحده في بعقوبة . وكانوا يتون من بلاد (زحرت) . وكنا نسمى الحتان (زحرون) وكانوا مشهورين بإتقان الحفلة . وكنت قد عشت عندهم . والطريف أن (الزحرون) الذي قام بعملية الحتان لي قام بالعملية نفسها لأولادى ، وكان يرتدى ملابس مميزة ، ويرجى أن أطلب بمنع دخول المناسين . عرفت قصد الحلاق فقلت له : -

إن الكتابة عن هؤلاء تدخل في أمور الدولة وقد تمنع الدولة التركية أهل العراق الذين يقومون ببعض الحرف في تركيا من دخول تركيا عندما

تمنع الحكومة العراقية هؤلاء من محاولة اغتيالهم الزائلة هنا . ثم إن هؤلاء
عرب مسلمون ويجب مساعدتهم لاسيما وانت معروف ولقبك من يتق بك
ويدعوك لختان ابنه ثم إنك حلاق إضافة إلى عملك في ختان الأطفال .
وكنت مؤمنا بأن هؤلاء الذين يأتون من زعرت أكثر خبرة وأتق صناعة
منه . . لأن الناس كانوا ينتظرون هؤلاء حتى يمتثلوا بختان أبنائهم الذي
نسميه (الظهور) ومنها الفعل ظهر الطفل أي ختته .

الفصل الثاني

الطفولة

الفصل الثاني

الطلبة

طفولي عادة مثل أي فرد من أبناء الشعب . . وكنت أحرص في الكتابيب (للثلا) في بحرية القرآن الكريم قبل دخولني إلى المدرسة الابتدائية إذ لم تكن رياضي الأطفال قد تأسست في العراق . وكان الوالد يرسل ابنه ليتعلم القرآن وهو صغير . ولما فتحت المدارس الرسمية وجان دخولها لبلوغ السن القانونية كان الآباء يرسلون أبنائهم أيام العطلة الكبيرة التي كانت ثلاثة أشهر . . إليها ، ولزات القرآن الكريم فيها ، وكانت هذه المؤسسة تزدهم بأبناء المحلة خلال العطلة ، ويقل العدد أيام الدراسة . وقد كان للثلا تمتعا من السباحة في النهر الذي كنا نسميه (الشط) ويقوم بوسم أرجلنا بخاتم خاص فيه الخير حتى لا نسبح خوفا علينا من الفرق . فكان يوم الخميس ظهرا موعدا لنضع ساق كل طالب قبل أن يترك الكتاب . فكان الطلاب يدهنون الجسم حتى لا نسبح المياه . وكان بعض الطلاب يشي بإخوانه فكان للثلا يسم سيفانا يوم السبت فرائي . فتكر الصغار في حيلة أخرى هي وضع غطاء من الصفيح وضغطه بقوة وربطه ربطا محكما حتى تدخل حواف الغطاء في الجلد . وبعد السباحة يرفقون الغطاء .

ما كنت نابعة أو عبقريا في الطفولة ، ولكن يظهر أنني كنت متفوقا ،
 فإن أحد زملائي في الصفين الأول والثاني من المرحلة الابتدائية قال : كنت
 تستأثر بجميع الجوائز التي يقدمها المعلم وما هذه الجوائز إلا أقلام وصاحص
 أو مسطرة أو ماحية مما كان يعطى للطلاب المتفوقين . فقد حدثني بهذا بعد
 أن تركنا الدراسة وأحس أنها لم تترك بخيالي بصورة الشبح التائه في غياه
 الذكريات ، ولعل هذه الجوائز قدتها المعلم لي لأن كنت شديد الحفظ ،
 فقد كنت أحفظ القراءة الحلندية من أولها إلى آخرها والقراءة الرشيدة
 المصرية التي تدرسها في الصف الثاني برمتها ، بل كنت أتذكر الرسوم
 التوضيحية لكل موضوع ولها مجموعة حلوة من التصايد السهلة اللطيفة
 منها :

إنما فصلنا مرة في عصر يوم ضاحكه
 نشئ على أقدامنا بين الجهات الخالية
 فإذا الحقل جيلة تروى بهاء الساليه

وأحفظ قصائد الخوازي للتلحندة وكنت أرددها بسهولة وسر ، وبقيت
 ذاكرتي شديدة الحفظ ولكنها شديدة النسيان إذ أن الحفظ السريع ينسى
 بسرعة ما حفظه المرء بسرعة . والإنسان إما أن يحفظ بالسماع أو بالقراءة ،
 فهو إما أن يكون شديد الحفظ سمعا أو شديد الحفظ عينا فهناك من يحفظ
 بأذنه أو يحفظ بعيه وأنا أكثر حفظا عندما أسمع . وكنت أحفظ ما يقرأه
 المعلم دون أن أحرف الحروف المكتوبة للكلمة بركان المعلم كثير المراجعة
 للدروس فكنت أحفظها سريرا ، وهذا ما حببني إليه . وبقيت أحفظ
 الدروس كما أسمعها من المعلم حتى بدأنا في تعلم الخط والإملاء ، فتعلمت
 كتابة الكلمات والجمل وعرفت اسم كل حرف .

ما كنت لأراجع دروسي ، وكنت أكتفي بالإصغاء إلى المعلم لأننا لم
 نكن نعرف المراجعة في البيوت حتى وصلنا إلى الصف الخامس وجاءت

دروس اللغة الانكليزية والحساب والمهندسة . ثم وصلنا الصف السادس وجاء الامتحان العام (البكلوريا) ولأول مرة بدأت أقرأ مع الطلاب الدروس لاسيما الحساب والمهندسة وحل المسائل الحسابية . كانت أقل أشد حفظا من عيني لذلك كنت أضبع خطوطا تحت الجملة المهمة في دروسي وأرشدنا بصوت متخففى عندما أريد أن أحفظ التصويص وأعيد قراءتها بصوت عاليس لوصالت مع نفسي للتأكد من الحفظ والفهم .

الزملاء :

لا تسعفى الذاكرة بأسياء من كانوا معى فى الكتاتيب لكن يمكن أن أذكر من كان معنا فى المدرسة الابتدائية وقد أعتنى على التذكر زميلى فى الصف الأول عبد المجيد حبيب القيسى . من هؤلاء الذين كانوا معنا فى المدرسة : ضياء الدين أحمد وصار وكيلا لوزارة الزراعة ثم نقل إلى (الفلوق) ولطفى عزة أصبح رئيسا لبلدية بعلبقة وكان معنا فى الصف مجيد عزة الذى أكمل الدكتوراة فى فرنسا وتزوج فرنسية ودرس فى الحقوق وقد تولى إلى رحمة الله وخطاب إسمايل وصل إلى وكيل وزارة وتوفى وهو معروف بالخلق الرضى ، أما القيسى فقد أكمل الحقوق وحصل فى عدة وظائف كبيرة وعمل بالصرافة والتهكم للرير على الحياة . ومن معلومات القيسى : أن من معلمينا ضياء الدين الألومى وإسماعيل مصطفى الذى أصبح وزيرا وكان أمينا للعاصمة . ومن مآثره ردم ساحل دجلة وبناء المطاعم والمقاهى والحدائق فى مكان الردم وعبد المجيد جليل وصار مديرا عاما للأمن ، والمعلم شعبان رمزى وكان يدرس الرسم وشفيق سليمان الفكك العراقى وأصبح من رواد الصحافة وهو زميل نورى ثابت رئيس تحرير (حيزوز) وسعيد بهجت وهو من خيرة مديرى المدارس ثم أصبح مديرا للمدرسة المتوسطة ، وصالح عبد العزيز وهو معلم الخط وكان من أهل الموصل .

لم يكن في بعقوبة بعد حصولي على الليسانس من أصبح له سمعة علمية كبيرة وصيت في عالم الفكر أو الأدب أو الاجتماع ، وقد يكون منهم من نسبت اسمه . وغير هؤلاء من أصبح ضابطاً أو مدرساً في الثانوية أو موظفاً لم تنجح فيه الظروف أن يكون من قادة الإدارة أو كبار الموظفين ، ومنهم من برز في الحياة الاجتماعية في مجتمع بعقوبة .

الموهبة المبكرة

إن الموهبة لا يمكن أن يحسها العقل . وكنت أميل إلى الرسم والنحت وأحب الموسيقى وبخاصة ألحان الثرمار (الطنج) ، فقد كنت أنحط لبعض الرسوم أو الأشكال لا غير يا هن مشاهري ، ولكن لم أكن من المتفوقين في الرسم . فقد كان مني في الصف من هو خير مني في الرسم ، وكنت أجمع بعض الصور ورسوم الحيوانات على أشكالها المتعددة أستلهم منها بعض الخطوط وألصق بأشكالها وجمال تكوينها واختلاف أجسامها .

كنت أحس أن في داخل أنفعا عجيبة وألحانا متنوعة أريد لها أن تغرد أو تغني ، وكنت أحب دروس التشيد لأن فيها أنفاما حلوة وألحانا تهزني . وأحياناً أنحط دون فهم للمعلل . إنما الإحساس الفني في روعي نستطيع الأنغام والتلاحين المختلفة التي نحن بها التشيد . إنها أنغام تهزني أجهل كتبها ولا أعرف كيف تأتيني . ولما انقرد بغض أحس يا تتحدث وأشعر يا تتكلم ، ولكن حديثها الغميس الغريب ، وكلامها اللحن الشجي ، فكنت أشكل من الخيال تواليع موسقة وتواليع لها أنغام :

مبلا	مبلا	مبلا	مبلا	مبلا
ملارا	ملارا	مسي	مهير	مبلامي

وأستمر أردد هذه الأنغام ساعات وقد أغفيتها وأطبل في الوزن وكأنا
مروض الخليل المرعبي أو رنات الحان نيس فيها سوى الوزن .

نسان نسان نسين نسين نسان نسين

ولم أكن أعمل هذه الأنغام لأنها تسعدني وتطربني . ولو كان بغير أداة
موسيقية لأصبحت عزفا كبيرا . ولما كثرت جمال الشعر دون أن أظليه وقد
سجلت هذه الأحاسيس الفنية في مقدمة (الحان) .

إن أيام طفولتي هي أيام انتقال من بلد إلى بلد مع والدي الذي اضطر
للعمل موظفا صغيرا ليد حاجة أولاده وأسرتهم بعد أن فقد كل ماله . فقد
عين في (دلتا) الخالص وانتقل إلى طلي عيسى (للتصوير) ومنها إلى
شهربان (المقلدية) وبعدها (ببرز) ومليل وغيرها من القرى والمدن في
ديالى .

إن الانتقال من قرية إلى مدينة ومن مدينة إلى قرية أضفى نعمة
الاستقرار الروحي والعلمي . وعندما لم تكن مدرسة في القرية التي ألعب
إليها أدلوم في بقية للاستمرار في الدراسة فأحس بالقرية الروحية إذ لم
يكن أقربائي يتمتعون الحب والحنان الذي أحتاج إليه وأنا طفل تنظيقي
العواطف وتسكن كل بيت الحنان ، لأن لهم أطفالا مثل ويكون ما يكون
بين الأطفال ، وأكون أنا الخاسر بل اليد المفل . وكنت أحس بالأمر
وأحاول جهدي استرضاءهم ، وأقوم لهم بكل عمل وأتجنب المصاحبة مع
غيري فأصبحت كبيرا وأنا طفل ، وناضجا وأنا صغير السن ، أعتد على
نفس قبل الأوان ، ومع ذلك فقد كنت الثاني على المدرسة الابتدائية وكان
الأول ابن مدير الناحية وكنت الثالث على لواء ديالى . .

ولو كان لي حظ من رغبة العيش وراحة البال لكان أمري أمرا آخر .
واستقرت في الدراسة عندما كنت في القسم الداخلي فيه تأكل وتشرب وتنام

هل حساب الدولة التي تختار الطلاب الذين يعيشون بعيدا عن بعقوبة ولهم معدلات معينة ، فتصرف عليهم . ولم يكن المبلغ الذي تصرفه غير دينار ونصف الدينار كان يكفي لكل طعامنا وشرابنا وحمامنا . والغريب أن مدير القسم الداخلي كان يأخذ منا ربع دينار مع أن القسم الداخلي كان يستوفى دينارا وربع الدينار . وكنا نخاف أن نسال أو نحتاج أو حتى نهمس بكلمة واحدة طعامنا نأكل ونشرب .

ومن الطريف أن أحد الأطباء جاء إلى الداخلي ، ولعله كان سورياً ، وعلمنا كيف نأكل بالشوكة والسكين والأناكل بأيدينا وتسلعل معنا وقال: يمكن أن تأكلوا بالملقطة والشوكة وأن الغري يأكل بالشوكة والسكين . وتسلعل البعض: كيف يأكل بالشوكة ولا تخرجه ؟ ألا تدخل في لسانه ؟ وكان أكثرنا يغافل الآخرين ويأكل بيده حتى أصبحت عادة استعمال أدوات الطعام ملازمة لنا .

ولا حدثت والذي بذلك قال : كنا ضباطا ، وكنا نضع الشوكة والمعلقة والسكين في رباط الرجل أثناء الحرب . وقد كنت يوما من الأيام جالسا ففسلت يدي وأخذت أكل بها . فرفع الضباط الأتراك أيديهم عن الطعام . فقلت لهم: إننا ضباط ويجب أن نأكل مثل الأسود . هل الأسود تأكل بالشوكة ؟ وهل بقيت هذه الأدوات نظيفة ؟ فما أسرع ما أخذ الضباط يأكلون بأيديهم ، وحدثت عادة طعامنا داخل المعارك .

أكملت المتوسطة ، وقد نجحتنا سبعة طلاب في الدور الأول ، وكنت من الأوائل ، ولذلك حكاية طريفة . كان الامتحان في ساحة المدرسة الابتدائية الكبيرة ، وكان يراقب الطلاب المعلمون ، وكان هؤلاء يساعدون الطلاب الذين يروهم بحاجة إلى عون . ولكنني لم ألق بالعلمين ، وكنت أحسب نفسي وصلت إلى مرحلة التميز . وفي يوم امتحان الحساب أو الهندسة استنجد ابن مسؤول كبير بأحد المراقبين فأعطاه أجوبة الامتحان

في ذلك الدرس . ولا أخرى إن كان هذا المراقب قد أعطى الأجوبة أو إنى رفضت أخذها لأنه كان عدلاً وكان يمر على الطلاب فرادى ويعطيهم الأجوبة . ومن المصداق أن الأجوبة كانت مفلوطة ، فرسب كل الطلاب باستثناء سبعة كنت واحداً منهم .

كنت أحب قراءة التاريخ وأستعير كتب الصفوف الأخرى وأقرأها وأحياناً أقرأ الكتاب المقرر دفعة واحدة وبخاصة كتاب القراءة أو المطالعة . وكانت هذه الكتب محدودة وتناثر حتى تصل إلى الطلاب . فكان الطلاب في الصفوف المتقدمة يبيعون الكتب لمن بعدهم من الطلاب ، وكنا نقبل من شراء هذه الكتب المستعملة لسيين :

١ - أنها رخيصة بالقياس إلى الكتب الجديدة .

٢ - نحصل عليها قبل أن تصل إلى يد الطلاب الآخرين .

تلغى الوزارة كتبها وتقرر كتبها أخرى وتبدأ المناقشات بين الصفوف المتأخرة . فهذا يريد أن يسترد ثقوه ، وذلك يرفض ، وغالباً ما يكون النصر للبائع لأنه تسلم المبالغ ونصرف فيها خلال العطلة .

كان الشعر قريباً إلى نفسي ولا سيما ما كانت له صلة بفضايا العرب والاستعمار . فقد كنا نشد في المدرسة الأناشيد التي تهاجم الاستعمار البريطاني وكنا ساعطون عليه ونالقون على احتلال بلادنا كارهين لغته الإنكليزية . وظهرت هذه الكراهية بوضوح عندما أعلن رشيد عالي الكيلاني الحرب على الإنكليز . فقد تجمع الطلاب في الساحة وحرقوا كتب اللغة الإنكليزية التي كانوا يدرسون فيها وبذلك أغلقتوا التأثير البريطاني لأنهم اضطروا لشراؤها بعد ذلك .

كانت قصائد معروف الرصافي وعبد المحسن الكاظمي وعبد مهدي

البصير وعبد الرحمن أبناء لندرس في المدارس لأنها تطيع وتباج . من تلك
الأنثيد :

بالحمية والوصاية كلها معنى الأسر
وعلى المعيش بذلك أبدا لانصطير

وكانت تصان الأنثيد من الشام وتعلمها من المعلمين ومنها :

بأفلام الجمن عيم إتنا عوى الظلاما
ليس بعد الليل إلا فجر مجد يتنامى

ولكن الاستعمار وأعوانه ودعاة الإقليمية كانوا أقوى من التيار الوطني
لأن لهم نفوذهم وسيطرتهم ، ففشروا الأنثيد المضادة التي تغذي الإقليمية
وتفرق العرب . فقد تعلم الطلاب :

من جنوب الفلوح حتى الموصل أحيوا بالإخلاص عهد الأول

وكانت هذه الأنثيد وبدأ الشباب الذي كان يفخر بأنه عرب يدعى
بأنه عراقي . ثم طمرت المدن بالانتماء ، وأصبحت الألقاب بلدانية منتشرة
في العراق . فهذا بغدادى وذلك موصل وأخر نجفى أو بصرى وكثرت
أسماء واتجاهات تؤكد الإقليمية في الشعب العراقي . كالطعمم العراقي
والأدب العراقي وقد وقعت في الخلطة نفسها فسميت الأدب العربى في
العراق (الأدب العراقي) وسميت كتابين لي باسم العراق . وبدأت تظهر
أثار بابل ونيوى وصورة الجمل والسفينة والقفة العراقية على الطوايح
والنفود والبطاقات التي تباع للسائحين .

وكان هذا العمل غلطاً له تحليلاً مدروساً ، وكانوا في لبنان يصورون
الأكثر الفنية وفي مصر الآثار الفرعونية . وأصبح الاهتمام بالآشوريين
والبابليين والفينيقيين والفراعنة القصد الأول . وظهر ذلك واضحاً في

الكتاب الذي ألفه الأب أنستاس الكرملي عن تاريخ العراق . فقد أكد على هذا التاريخ ، وصر مرورا سريعا بالتاريخ العربي والإسلامي وهو الزمير عصور العراق وحضارته .

وكان تيار القومية والعرب يقف بقوة أمام هذا التيار ولكن بعد جيل أو جيلين وجدنا أبناء العرب أكثر انسكا بالإقليمية وأشد ارتباطا بها . ونشأ جيل هذا اليوم يقدم مصالحه القومية ومصالح العراق على المصلحة العامة للوطن العربي .

لم يبرز شاعر أو كاتب أو مفكر من أبناء بعقوبة ، ولعل الجيل الذي أتى منه تمكن من الاستمرار في الدراسة والحصول على الدرجات العلمية ، ولليل منهم حصل على الدكتوراة في فروع المعرفة المختلفة . وإذا أردنا أن نوسع دائرة بعقوبة وجدنا الدكتور فاضل حسين أول من حصل على الدكتوراة في التاريخ في لواء ديالى والدكتور عبد الحميد كاظم من الموصل وعبد علي البصام والدكتور أحمد نجم الدين من بعقوبة . وعدد الذين حصلوا على الليسانس أكثر من الجيل الذي عاصرته . فقد كان في الإسكندرية جاسم عبد الحسين السعدي حصل على الحقوق ومحمود حسين حصل على التربة الرياضية من القاهرة وصبي البصام ليسانس أداب وكلال القيسي ليسانس حقوق من بغداد . وبعد ذلك كثر المدرسون والضباط والموظفون بعد جيلنا ، وتأسست الثانوية وذهب أهل بعقوبة إلى بغداد .

وفي عصرنا أو مرحلتنا ظهر شعراء العراق وكتاباه الذين تأثروا بالأدب الغربي ولقاهتهم الأصالة ، ومن بعدهم جاء جيل أسف واتباع الطريق إلا القليل منهم .

الحالة الاجتماعية :

يعتقبة بلد زراعى . ونشأت حول هذه الزراعة الحرف المساعدة كالخضاعة والنجارة والتسجعة والغزل . وأكثر الحرف يدوية بدائية يقوم بها صاحب الحرفة ، وغالبا ما يورث حرفه لأبنائه . وإلى جانبها نشأت البقالة لبيع ما تنتجه الزراعة لأصحاب هذه الحرف ، ثم العطارة تستندها وتغلى الحاجات الأخرى . ولما انتشرت الحضارة بدأت حرفة اليزارة التى قضت على كثير من أعمال التسج ولم يبق منها غير نسج العبى والأغطية الصوفية المتنوعة ، وكانت تسمى (جاجيم) . وللأرض ، القنعة كواليان وجمعها (باتات) فى مثل هذه البيئة لن تجد طبقة منزقة إلا أصحاب الأملاك الذين يتكون البساقين والمقاطعات ، وكان أغلبهم من أهل بغداد . ولما كثرت وسائل التعليم وجاءت واردات النفط تغيرت هذه البيئة ونشأ فيها بعض الأغنياء .

لم تكن من طبقة غنية بعد أن ذهبت الأموال ، ولم تكن طبقة فقيرة متربة وإن كنا أقرب إلى الفقر منا إلى الغنى . ورثنا الكبرياء النفسى والعزة الروحية والنسب العريق مما جعل لنا مكانة فى المجتمع . فلما قلب (السيد) الذى كان يظلم اسم والذى وأخلاقه العالية ضياع احترام الناس له وتقديرهم لمكانة فى مجتمعه مع أننا لم نكون من المقاحرين بالأنساب والمبايعين بالأصالة والمحدد والشجرة الكريمة الملوكة . ولما ظفرت الحياة وتعلمت حطفت هذا الاسم الكريم من اسمى ، ولكن بقى فى الوثائق الرسمية حتى ظن المصريون بأنه اسم . فقد كتبوا أمام اسمى السيد يوسف عز الدين ومع ذلك لم يفضل المجتمع الاعتراف والاهتمام بهذا النسب العلوى . فقد كانت إهانة الحرم الحرام تمثل واقعة العطف ، وكان المشرفون يلبسونى للباس المقاحرة طفلا لأمثل أحد أولاد مسلم بن حنبل . وقد علمونا أن نقول :

هـ فكنا من السجن بالله يا سجان
إحبه أولاد مسلم نسل عدنان
هـ فكنا من السجن وإحن نجلزك
جدنا من زلال لكاي يسقيك

وهي أبيات عامة كثير عطف الناس وتزوج الحفدة على قاتل الحسين .
وكان والدي رحمه الله يمثل العباس لأنه كان سيدا وكان قارضا شجاعا . ولما
كبرت رفضت هذا الأمر . وكانوا يختارون أفتح الناس شكلا وسمعة ليكون
(الشمر بن ذي الجوشن) . ورفض والدي أن يجلس على صدره هذا
الإنسان متظاهرا بقطع رأسه لأنه كان ضابطا ما استسلم لعنوا وما انهزم في
معركة . وصعب عليه أن يكون غلولاً ولو في ساحة التمثيل وأن يجلس
على صورة إنسان معروف بعدم الاحترام والتقدير من مجتمعه .

وغذت هذه الأصالة والشعور بالنسب في روعي الكبرياء والاعتداد
بالنفس واللقب الكبيرة وإن ربت في نفسي الحجل والخوف من المجتمع الذي
كنت أعيش فيه حتى لا يؤذي إنسان بكلمة ، ويخرج إحساسي بإشارة
صغيرة .

الفصل الثالث

الدراسة العلمية

الفصل الثالث

الدراسة العلمية

المدرسة الابتدائية :

في الصف السادس الابتدائي بدأت أخلد شعر الشعراء وفيه بدأت الغرزة أو الغرزمة . وكملت رغبتي في الكتابة في الصف الأول الثانوي ، فقد نظمت أبياتاً في نعمة العلم الذي كان يرغف على سارية المدرسة تقليداً للشعراء الذين قرأ شعروهم في لقاء الطلاب في الصباح أيام الخميس . .

وكان مدرس اللغة يسأل عن إنتاج الطلبة . فقرأ أحد الطلاب الصباح الوجوه ، فاستدحه وأثنى عليه . وقام أحد أبناء كبار الموظفين فأطرى إنتاجه . وقلت أنا وألقيت الأبيات التي نظمتها في العلم وكانت تبدأ بكلمة (له) فهاجني وقال: بدأت القصيدة بكلمة لا يهوز أن يبدأ بها الشعر . . وقال من شعري ومعنى من دون سبب إلا لأنى لم أكن أنيقاً في لباسى مثل أبناء بغداد . وأحرص صوت الشعر في نفسي وقتله . . ومن الغرائب بعد أن أصبحت أمين الجميع العلمى العراقى أن جاء من لواء دهوك وقدم لى قصيدة له راجياً أن ألقى الراى فيها حتى يلقبها في مهرجان بغداد . وقال إنه جاء من بلدة لأنه لم يجد من يآتته على القصيدة سوى . . سبحانه الله . . بالأمس كانت نهضة مدرس يأتى لا أصليح للشعر وعلم تركه . .

واليوم يأتى ليعرف رأى فى شعره لأنه لم يجد أحسن من يأتى على شعره ؟ !
ومن حسن الحظ أن هذا الإنسان نقل بعد شهر إلى بغداد وجاءه بعده
استاذ فلسطين وكان شاعرا ينشر فى مجلة الحامد اسمه ميشيل حداد

ولما أتت شيئا من شعره حفظت منه :
إلى أنت فى البلى معنى
وسلوة كل إنسان حزين
فخلف يا إلى من شجون
وأحد حبى العتيق
من رى الملقى السحيق
يا إلى

آيات صورت المواطن الصادقة ، وبها رقة تهتز لها الأحاسيس .
وكان يشجعى على النظم ، فكُتبت إليه وأنا فى الوسطة أيتها أذكر منها :

إليك يا أبا نجوى
هزاد كله شكوى
لقد حطمى الدهر
وأنت نفسى البلى

فرح الرجل بها وأعاد للأوتى ودفعنى إلى الشعر وأعاد إلى الثقة بنفسى
وأخذت أنظم الشعر عندما وجدت ضيق التعبير عن رغبات نفسى
وهواطفى الكلمة . وكانت هواية الرسم تسير هواية نظم الشعر ولكن
مزالمت الكلمات المحدودة التى أعرفها تحول دون الوضوح ودون الإصحاح
الكامل لأن مواطن الراعى كانت أكبر من وصفى لمواطنى ومشاعرى إذ
تدفق بعف وصدق فى حين أن الإنشائات القليلة التى أعرفها تحول دون
رسم الصورة التى أريدها لمواطنى ومشاعرى .

دار المعلمين الابتدائية :

كانت الدار نقطة تطور في حيات الأدبية . فقد وجدت عندها كثيرا من الكتب في المكتبة ووجدت فيها ما كنت أتمنى أن أقرأه وأكثر مما كنت أفتله . صحت الكتب ولذت بأنواعها وتنوعها فكانت سببا في زيادة الكميات والالتقاط في قاموسى الشعرى بما قرأت من حواوين الشعراء القدماء والمحدثين .

وكان في الدار خيرة الأساتذة . ونقل عند منهم إلى التعليم العالي بعد ذلك فسمعت بزمالتهم . أولهم عبد الرزاق عيسى الدين الذى كان في الامتحان الشفوى يسألنى أن أقرأ آخر ما نظمت ، ولا يسأل أبى سؤال بعد ذلك . وكان يرشحنى لإلقاء القصائد في الاجتماعات العامة . . وكانت دار المعلمين الابتدائية نواة كبيرة في عالم الأدب والفكر قبل أن تأخذ دار المعلمين العالية مكانتها . . وكانت الوزارة ترسل إليها خير الكتب وأحسن المطبوعات . وكان مديرها محمد حاصم الجلى من نخبة الإفراسين المعروفين . وكان إبراهيم شوكة يدرسا الجغرافية ويدرسا الرياضيات شريف يوسف ويدرسا محمد على عبد الجبار وكتبهم أصبحوا من قادة الأساتذة وأكملوا دراساتهم ودرسوا في التعليم العالي .

إن وجود مكتبة ضخمة فتح أمامى ساحات واسعة من المعرفة . وقد كنت أحاول أن أتعرف على الكتب إذ من المتعذر قراءة كل الكتب مع وانجبت الدار . . فكنت أستعير الكتاب وأحاول التهام ما فيه بصورة عجل وسريعة وأقلب صفحاته وبخاصة إذا كان الكتاب من المراجع مثل تلخيص بغداد أو الأغاني أو الطبرى . ولكن كنت أقرأ بهدوء حواوين الشعراء وأحفظ مقتطفات من الشعر . . لذلك قرأت البحتري والمتنبي وجرير وابن زيدون وتركت شعر الفرزدق وأبى تمام والمعرى . كنت أحب شعر السليقة والبساطة والبس وأترك التعقيد اللغوى والصناعة الكلامية إذ لم يكن فولى

ومعلوماتي اللغوية قد وصلت إلى مرحلة تقبل الصور العقلية عند شعراء
الألفاظ وأصحاب المحسنات البديعية .

بدأت أنظم الشعر المقبول في دار المعلمين لأن الطور الثقافي كان يشجع
الطلاب على الإسهام في حفلات التعارف والمناسبات التي تقوم بها الدار . .
وأول الشعراء الذين قلدهم إسماعيل صبري والأعطل الصغير وعلى محمود
طه . .

ومن الطريف أنني هجوت زميلا في الصف دعابة ونمها . . وأراد أحد
الزملاء إيذاء الزميل فكتب الأبيات على السبورة . . فغضب منه وذهب إلى
مدير الدار يشكوه . . فإرسل المدير يسألني عن حقيقة الأمر .

لم أنكر وقلت له إنها دعابة شاعر لزميل له . . وأنه أساء إلى الطلاب .

لاحظت المدير ينظر إلى إكبار وجب . . وكان حازما صارما .

والغريب أنه عاقب الطالب وتركني بدون عقاب . . مع أنني كنت
شديد الخوف . وبعد زمن طويل حدثني الدكتور عبد الرزاق محيي الدين
بأن المدير سأله هل يوسف عز الدين شاعر جيد مثل معروف الرصافي ؟
قال له : نعم .

ولا أدري إن كان تركني لأنه كان يحب معروف الرصافي لو أنه خاف أن
أهجه .

وكان تعليقه للطلاب بعد عقابه :

إن الشاعر قال ما يحسه في نفسه عن زميله . وقد قبل زميله هجاءه
فيه . وأنت أسأت إليه لأنك نقلت الهجاء على السبورة فعرفه كل
الطلاب . .

وكان المدير رحمه الله عندما يحضر إلى الحفلات يمدحني كثيرا ويقدمني

أسرته وأبنائه الذين يحضرون معه إلى الحفلات .

رحم الله فقد قتل بعد تقاعده في ظروف مجهولة مؤلة .

في دار المعلمين وجدت جوا جديدا وأسلوب تعليم يختلف عما ألفناه في المدارس . فابلجوا مفتوح للمناقشة وكتابة البحوث ومعاملة المدرسين معاملة تقوم على الاحترام الكبير وإبراز شخصية الطالب العلمية والفكرية والادبية .. ولعل مرده ذلك إلى أن أكثرية المدرسين في ثانوية بعقوبة كانوا من أهل بغداد وكانوا يهذبون أنفسهم بحديث عن بلدهم فيعكس البعد على تصرفاتهم ... أحسست بالفارق بين التعليم الثانوي ودار المعلمين . ولاشك في أن بعض المدرسين من مصر والشام سواء أكانوا من فلسطين أم لبنان أم سورية كانوا أكثر صلة بنا من المدرسين العراقيين .. ومن هؤلاء بدأت شحنات القومية العربية تدخل في القلوب والشعور بالوطن العربي الكبير يسير مع الدروس ..

ونحن في المتوسطة حدثت حركة بكر صفدي وجمعية الإصلاح العلمي . والغريب أن المدرسين كانوا يتحدثون عن الرجعية والتقلعية وما كنا نعرف معنى هذه الكلمات . وكان كامل قزائجي يدرسنا اللغة الانكليزية ويتحدث عن قضايا فوق مداركنا .

إن دار المعلمين ثقلة فكرية بين المدارس التي يجب أن نتعلم فيها ما يقول المعلم وبين دار تفتح لك المجال للبحث والدراسة . وأنا أقيس بين أمرين أحسست بهما عندما كان يدرسنا مدرسون من ذوى الخبرة الواسعة وفي الدار جمهور متنازلة . من هؤلاء عبد الرزاق محيي الدين وعمر الدين آل ياسين لتدريس اللغة العربية وكان الطلاب يحبون الأول ويخافون الثاني .. ومن الصدف أن كنت أحد طلاب عبد الرزاق محيي الدين وكان شاعرا ذواقه أحس بما عتدى من قابلية شعرية فدفعني إلى الاعتداد بالنفس . وكان

يفتح في المجال لإلقاء شعري على الطلاب ، ومنه أحسست بالقُدرة
والثقة . وكنت ألقى شعري في كل المناسبات ، وللأسف ضاع كل هذا
الشعر . ومن القصائد التي ألفتها بيت لرقّده صديدي :

(الغرب يعرف ما للغرب من شأن)

أُعلنت أنشُر شعري بتواليح مستعارة (أبو نزار) (سمير الرفيف) وهو
أشهر الأسياء و (يحيى) و (السيد) .

وانصرفت للشعر السياسي والقومي والفرزول ، وكان السياسي مشحوناً
ببغض الاستعمار . ومن هذه القصائد :

أمثل العراق أحرر للضميم يفضح ؟

وهل إن أساد العروبة تفرح ؟

وبعد حركة رشيد علي جمعت كل شعري السياسي ووضعت في صحيفة
(قوطية) ودفنتها في الأرض . ولما حدثت الأمور إلى مجاريها وفتحت العلبة
وجدتها والأوراق ومادام وكانت تضمّ قودي في الشعر السياسي فأسفست أشد
الأسف على ضياع التدفق الشعري العفوي طامعا للأرض ، وعسرت شعر
مرحلة متدلّقة بالعطاء خوفاً من السجن أو العتاب .

سنة ١٩٤١

حركة رشيد علي الكيلاني هزت مشاعر الشباب العربي الوطنية هذا
حينها ، فقد كانت النفوس مشحونة بكرهية الاستعمار البريطاني ، وكنت
أكنّ للاثكليز كرها خاصا لأنهم ألقوا والذي رُسجنوه وبهم الذين طعنوه
وكانوا أن يقتلوه . وزادت هذا الألام أحوال الاثكليز في فلسطين والوطن
العربي . . وكانت الحرب العظمى الثانية تنشر أسوأ كثيرة عن معاركهم . .

انقسم العراق إلى قسمين :

قسم يولى بريطانية والاستعمار البريطاني من أصحاب السلطة والنفوذ ، وهم قلة قليلة .

وقسم يضمن أن تخسر بريطانيا الحرب وإن ترجع ألمانيا والحقور ، كرامة بالاستعمار البريطاني الذى أزعجتهم ذلة وهوان إضافة إلى أن الجيش البريطانى الذى سيطر على العراق أخذ رزق الناس فزادت الأسعار ارتفاعا وفرض نظام التسمين بالبطاقات التى لم يعرفها العراق من قبل وشحت الأطعمة والحاجيات الضرورية من الأسواق وأصبحت صفوف طالبي الخبز والصمون تطول كل يوم مع أن العراق بلد الخبزات . وبدأت الدولة توزع الأقمشة القديمة على الناس ، واضطروا إلى تفصيل البطانيات والأقمشة الرخيصة ملابس لهم ومناطق محلية من البرد وتعريضا عن الأقمشة .

إن التسمين بالبطاقات أضر بالعراق الذى اعتاد على وفرة المواد في أسواقه والمخاضة بين كل البضائع في حرب ليس للعراق فيها طاقة أو جمل غير إدعاء الحلفاء بأنهم يدافعون عن الحرية والديمقراطية بينما لننلات السجون والمعتقلات بكل حرٍّ أبى لا يسلم ركب الدولة التى كانت آلة بيد الإنكليز .

إن الشعب العراقى شعب صبور على شريدتر الأخضر واليابس ، ولكن للأسف لا يستمر في ثورته طويلا ، فهو كالحلقات التى إذا اشتعلت فيها النار احترقت كلها بسرعة وانطفأت بسرعة أيضا .

مر الشعب العراقى بعهود مختلفة ومتباينة ، وجذوره عميقة ، وكلها تختلف اختلافا عميقا . فله جذور بجميع الأمم من الآشورية والبابلية والعربية والفارسية والهندية واليونانية والسريانية والكردية والتركية ، فهو مزيج من حضارات قديمة ومن شعوب لها ملوحتها المخططة وعاداتها المتباينة . ولقد ذاق مرارة الاستعمار في جميع أنواره بداية من الإسكندر

الرومان إلى (سود) الانكليزي . شكل بشكل لا لفته يماثل أو يشابه شعباً من شعوب العالم .

الشعب العراقي :

العراق بلد غني وله مركز عالمي فهو ينبوع الخير في مائه وخصب أرضه . فكان مطمح كل الشعوب المجاورة والبعيدة التي تركت بصماتها في أرضه . فلو شئنا من فحص دم أي عراقي مستجده مزيجاً من كل هذه الشعوب . فسي العصر العباسي الذي سيطرت فيه بغداد والعراق على العالم جاءت الأسم إليه في هجرات متعقدة إنما جئوا في الدولة الإسلامية أو طلاب علم للدراسة في بغداد ، وأصبحوا حكاماً يساعدون بغداد على إدارة هذه الامبراطورية العظيمة . وجلبت الانتصارات الكبيرة عدداً من الأسرى من نساء ورجال من مختلف الشعوب المفتوحة حرباً ، وكثروا ذات اليمن وذات الشمال في العراق سواء في بغداد أو البصرة أو الكوفة أو مواسم أخرى فاحتفظت الدماء وكان يجمعها الدين الإسلامي واللغة العربية ، لذلك كان الشعب العراقي شعباً مفرداً في أخلاقه وعاداته ولا أشك في أن أكثره من العرب . ولكن صفاء الدم في العصر الحديث من المستحيل . إنه شعب نبيل متى وفيته له ، وله قلبية كبيرة على العمل والإبداع والتطور والتفوق ، قادر على الخلق والتنوع . فالتصحر الواسع وما فيها من خيال واسع في إنسانها أعطته حاسة قوية للتعرف على عوائلها وأسبغت عليه خشونتها . فهو معتد بنفسه دون إيذاء ، متحضر فيه بساطة الحياة بالرفق من حياة الفاقة التي كانت تشعل الصحراء قبل أن يتساح إلى العوالم المجاورة الغنية ويسكن العراق والشام . فهو قوى الجذور بالجزيرة ويحبها .

إن حياة العرب في الصحراء بما فيها من صفاء الهواء وقلة المشكلات

دعته إلى الحرية والبساطة وأكسبته عميلاً بمنحها ظهر أثره في قصائد الشعراء
 وغناء المغنين واختراع الأصوات والأنغام . . فظهر العراقي وكأن له عدة
 شخصيات متناقضة ، جاءت من اختلاف الثقافات وتباين الحضارات
 وعمق الجذور الفكرية والنفسية والاقتصادية . فهو في غلبة السعادة يشد
 أجمل ألحان الغزل وهو في الوقت نفسه جلد حزين قلق مضطرب يحس
 بالقرية الروحية . إنه متطرف في حبه وبغضه . . يريد الأمور واضحة
 صريحة . إنه متطرف تظهر فيه التناقضات . . فهو سريع الاستجابة يمثل
 قول الشاعر .

لا يسألون أحاسيم حين يندبهم في الثابتات على مقال برهانا
 وقول القائل :

للغدا العدا يطر السيف وللنسي حرم المشعم
 هذا وهذا فأبنا يسوي دم ويراق دم
 يعيش بين الكرم والقتال . . بين الساحة والغضب ، بين الرقة
 والخشونة

الصحراء البسيطة والمدنية أو الحضارة المتقدمة وجو العراق الذي يصل
 إلى الصفر في الشتاء والرمضاء في الصيف هي من أسباب هذا التناقض
 وتعدد الشخصيات في العراقي الفرد .

هل حياة البادية التي صاحبت العراقي ، والثقافة المتنوعة المتعددة
 المتقدمة هي التي شكلت هذا الشعب . . أم أن الجو المتقلب في العراق
 وانخفاض الحرارة في الصباح وميوحتها في المساء وارتفاع درجة الحرارة في
 الصيف وانخفاض البرد تحت الصفر والتقلبات المتعددة والمتناقضة في
 جلوره الفكرية هي التي خلقت فيه هذه الصفات ؟

سؤال يحتاج إلى دراسة علم الاجتناع وعلم النفس .

كان الشعب العربي يؤيد انتصار الحور في الحرب الثانية لاحتياجه إليها
كترامية للإنكليز فكان كل مطالب بالأصلاح يطلق عليه (تازي) ،
فانتشر البيت الذي نظمته بين الناس

وإذا تحررت الصواب بفمعة
لأروا عليك وأهموك (بنغازي)

وعندما وقف العراق أمام رغبات الإنكليز كانت نفوس أهل العراق
ولاسيما الشباب مشحونة بكرامية الإنكليز . فتصاعدت موجة الثورة
وعمت أرجاء العراق وانتشرت الروح الوطنية حتى كان أهل العراق
يرقصون طربا لكل عبارة تصاب بها جيوش الحلفاء ، وكان الناس
يستمعون إلى صوت برلين ومثبته من إذاعة بحراسة شديدة .

كان الملك غازي رحمه الله قد أنشأ إذاعة في قصر الزهور تدعو إلى
الوحدة العربية وتطالب بضم الكويت إلى العراق ، وكان الملك غازي
يشرف بنفسه على هذه المحطة ويوجهها فكريا وإذاعيا . فكانت تلهف
للشاعر والأحاديث وترجو أن توحد العرب . لذلك كانت حركة رشيد
حالي الجعرة التي أشعلت النار في الصدور . وتوهم بعض الشباب بأن
الإنكليز سوف يرحلون وأن العراق سيظفر باستقلاله كاملا .

لم تختلف عن الركب وألمت مشاعري هذه الحياة المتدفقة فنظمت
قصيدة ألقيتها من إذاعة بغداد قائلا :

ربة الشعر اسمعني بالقصيد أنت فيلنق وأنت نشيدي

بدأها بالخلول حل طريقة العرب ثم انتقلت منه إلى الموضوع نفسه فقلت
أعاطب بغداد :

إيه بغداد عسري لا تبالى بعدو أقتابه في الحدود
لرفعي الرأس شاعها بالعللى والكنى الخلد في جبين الخلود

هاهو الجيش قد أذل الأعدى حرس الله جيشنا في الوجود
 هو حلف لكل من رام سوءاً لبلائي لرضي الأبداء والحدود
 صغرى الحد في الذن وتباهى بليوث من الأبداء الصبد

ومها :

حرم الرأي أن يفتل صريحاً
 كل رأى في الكون غير رشيد
 إن رضىنا نجبراً وعصواً
 كيف نرضى بواد رأى سديد
 قلت :

إيه شمسي ، وأنت وحسب تشيدي
 حين أشدو وفي القريض قصيدي
 سوف نحييا بك الأنبي سكرى
 والفلات في حاليات المعقود
 بك يغدو العراق مهمل ورد
 ونقول الوقود : هل من جديد؟

وكانت أول أجرة لي من شعري (٧٥٠ فلساً) وكان هذا المبلغ تحولاً
 في حياتي الفنية والفكرية بعد أن فصلت لأول مرة في حياتي بذلة كاملة عند
 عياط في بغداد .

وسرحان ما قضى على الثورة العارمة بصدر الشباب ، وتقصفت أمانهم
 بالتخلص من بريطانيا .. ولو جمعت الدموع التي ذرفت يوم دخول
 الوحش على عرش العراق إلى بغداد لجرت في الشوارع .. ولو أن الحشرات
 ركزت لأحرقت البلد من حرارتها وحقن ألها .

أصبحنا نحن أبناء الجيل بالحقبة والحسرة والالام ، ولم نجد أشد أذاً على

النفوس من خسارة العراق في هذه المعركة .

أخذت السلطات نظاره كل من نظم شعراً في تأييد الكيلان . فقد جمعوا
البرقيات والمجلات والقصائد التي كانت تترك في الإذاعة والكتيبات التي
أخذتها من أصحابها وتبعت هؤلاء الشعراء والكتاب والفكرين ، ولا بد لي
أن أقول إن القائمين على السلطة لم يسجنوا ثلاثة من المفكرين هم :

(١) معروف الرصافي من الشعراء

(٢) فهمي النفوس من الكتاب

(٣) عبد الغفور البكري من الصحفيين

فقد بقيت المعايير القديمة ظالمة لأنهم كانوا من كبار السن ومن
أصحاب الأسماء . ولا بد أنهم تركوا غيرهم ممن لا أذكر . فقد كانت هناك بقية
من احترام وثيقة من سياد اجتهادى ذهبت من حكامنا بعد ذلك .

وأخذت الدولة تتبع القانون .

قدم اسمي ضمن أسماء الذين يجب أن يلقى القبض عليهم لإرسالهم
إلى المعتقل . ومن حسن الحظ أنهم لم يجدوا القصيدة منشورة ولم يجدوا لها
أصلاً في دار الإذاعة ، ولعل اسمي كان جديداً على الصحافة لأن طالب
فلم تشر القصيدة .. فأجلوا اسمي حتى يتأكدوا من هذا الأمر . وتشاء
الصدف ثاية أن قر الأسماء على صديق له صلة كبيرة بنا فشطب اسمي من
القائمة بعد أن وجد بعض الأسماء قد شطب ، ولأنهم لم يعرفوا عنواني ، أو لم
أكن مشهوراً ، نجوت من الاعتقال .

ولا أخرى إن كان لذلك أثره في التعيين ، فقد عينت في لواء دهلي
فطنان مدير المعارف إلى قرية إمام عسكري معلماً بالرغم من العرف السائد بأن
يعين خريج هذه المدارس في الآلوية والأقضية ، وأن يعين خريج الريفية في
القرى والأرياف لأنهم قد أهلوا لهذه المناطق ولأنهم أكثر معرفة منا بالريف

وتغالبه نحن أبناء المدن . ويظهر أن الرجل كان يعرف لو أن الأمن أصبح
بشاركتي في قصيدة وأن اسمي بين الشعراء المشهورين بالشهرة على السلطة
لأنه جاء في زيارة إلى القرية البعيدة التي لها يصلها أحد من المسؤولين . .
ولما عرضت عليه أمر نقل إلى المدينة لأنها المكان الطبيعي لي قال لي :

ألم تشارك بالفتنة العمياء ؟

قلت له . ما كان موقفك أنت ؟ هل أحارب الإنكليز أو انضم إليهم
عبد العزاق ؟ أليس هذا هو السيل الصحيح ؟

فسكت الرجل لأنه وجد أن الجواب سيكون في صالح . . ولا ذهبت
في نهاية الأسبوع إلى بعلبقة . قال لي المحاسب :

كنت جريماً ومريباً ولقد قدرنا عندك ومراحتك وكانت خطراً
عليك .

إن حصولي على أجر هذه القصيدة دفعني إلى ترجيح كافة الشعر على
الرسم لأن وجدت نفسي بقصيدة واحدة معروفة في بعلبقة . ثم إني
فصلت منها بذلة جديدة ولقي بغداد التي كانت مطمح أبناء بعلبقة الشباب .

بقيت ستة أسابيع في لمرية إمام عسكري . . ولم يكن أسمى غير اختيار
واحد هو أن أصلي . وكان أول عمل قمت به . . . أن نظمت مسرحية شعرية
تصف حالة الريف في العراق والفلاحين ومشكلاتهم المتنوعة وما يعانيه من
فقر وحرمان وسوء تغذية وكيف يتحكم شيخ القبيلة في الفلاحين وهم
صابرون على المرض والجهل والجوع . إذ لم يكن في القرية كلها قصاب
واحد ليأكلوا اللحم الذي لا يأكلونه إلا إذا أوفى الشيخ ولبنة لأحد الموظفين
الذين يصلون إلى القرية أوفى موسم من الفواطم العامة . أو إذا أراد أحد
الفلاحين أن يتخلص من ثور له أو خروف أصيب بالمرض .

في إمام عسكر :

قرية من قرى لواء ديالى تتبع (بلدوز) إداريا ، وتبعد عنها حوالي الساعة على ظهور الخيل ، لم تكن أسمع بها وأنا ابن ديالى . أينتها من الطون وليس فيها سوق للبيع أو الشراء إنما تباع السلع المحدودة كالقمشات والسكر والشاي في البيوت . فيها حلية القروي ومناجاة البدائي وحذر البدوي .

إن حاجات أبناء القرية محدودة ، فعندهم التمر وبعض الحبوب يزرعونها . بذاتية وبساطة ومناجاة في كل شيء . لا يعرفون اللحم إلا إذا ذبح صجل في الشهر مرة أو دعامم شيخ القليلة القرية منهم .

يفضون شتاءهم في المقاص البدائية ، وأكثر حياتهم يقوم على المقايضة . وكل جماعة لها جانب من الحائظ الطبي يخط عليه صاحب المنهى خطأ واحدا لكل شئ يشربه ، حتى إذا حان وقت جنى التمر أو الحصاد يسند هذا المزارع مقلدا من حاصله إلى صاحب المنهى .

كان مدير المدرسة خرج الرقيقة وكانت المدرسة هي البداية الوحيدة الحديثة التي بنيت من الطوبوق ولها أبواب من الخشب وشبابيك زجاج تكسرت من عصف الرياح . فكانا نلصق عليه الورق المقوى لمنع الرياح من الدخول إلى الطحبرات التي يدرس فيها الطلاب .

أكثر الطلاب لا يسترهم إلا القليل من اللباس لا يكاد يلقى أجسامهم إذا كانت السماء باردة والجو ممطراً . . كنا نوقد النار داخل الصفوف الثلاثة حتى تسرى حرارة الجو في أجسامهم .

تقع على النهر وأمامها ساحة كنا نجلس فيها أنا والمدير . وكانت أمال الزميل أن يكون مفوضاً في الشرطة حتى يكون بعدها معاوناً في الشرطة لأنه يحس بإهمال الناس للمعلم وعدم تقديرهم لجهوده .

كان لطيف الاخلاق سريع التكتة من أهل مندى جميل المنها حلو
الشكل لذلك فنتت به بعض صلبها القرية فكثرت حوله الشكاوى السرية
بدون توقيع .

كنت أبل عليه بعض القصائد ، ولا أظنه احتفظ بها بعد هذه الفترة
الطويلة ، ولم يتخل في يوم من الأيام أن أكون أدبيا له سمعة . كنت
لرأسل الجرائد وألقى بعض إتياسي في الإذاعة فكان هذا مثار دهشة أهل
بلدروز الذين يستمعون إلى المذياع لأنه لم يكن قد انتشر في البيوت . كان
في المقاهي من الضروريات الجديدة .

لم يكن في بلدروز غير مدير ناحية ومفوض للشرطة وقد يكون فيها
معاون مدير شرطة . بدأت سمعني تكبر أكثر من فواقع وحتى لأهل بلدروز
أن يكبروا هذه السمعة . معلوم في قرية إمام عسكر وليس في الناحية يسمع
صوته في الإذاعة وتنتشر الجرائد اسمه .

كان في بلدروز عدد من المقاهي وحمام أو أكثر ، وكنا إذا أردنا أن
نسل نذهب إلى بلدروز . مياه الحمام تأخذ من النهر ، وطالما غسلنا بالماء
الأمر الذي لم تتم نظافته .

كان القمل متشرا في القرية وبين أبنائها من الوساعة والإهمال نتيجة
الحفر الذي سيطر على الفلاحين المساكين والجهاال .

وجدت فيها شخصا متميزا هو (الجهاوش) فقد كان هو الموظف
للتقاعد الوحيد الذي ذهب مع الدولة العثمانية . وكان يحدثني كثيرا عن
(الفليج) ، لم أكن أعرف معنى الفليج وأحسب أن أعرف هذا الفليج
الذي لا يذوقه أبدا وهو يحلقه من لواء الاستراحة .

كنت ألقى ولقي معه وأنتج صبرى له ، وكان سعيدا بأن يحدثني عن
الحروب والغزوات التي قام بها في أثناء الحكم العثماني . . لم يكن يسير كما

يمشي أهل القرية . . إنه يسير بثوبه ووقار ويرفع رأسه إن سار في الشوارع . .

وكان في القرية عطار مؤهب ، له عندى ولد في المدرسة له خلق رضى وهو في عداد الملاكين ، إذ يملك شيئا بينما هناك من لا يملك شيئا .

وكان ابن شيخ قبيلة مجاورة للقرية يزورنى ، وهو لطيف المشر تبدو عليه سيئة النظافة لأنه يزور المدينة ويشترى منها ملابس . وقد دعانى إلى مضارب القبيلة وأكلت معهم ، بل كان يكثر من دعوتى لأنى لا أتركه دون أن يأكل معى .

كنت أجلب معى الزيت والخبز وحاجاتى المتعددة من بعقوبة . ولم يكن أهل القرية يرضون أن يبيعوا لى لأن البيع عيب . ولم يكونوا يرضون أن يهدوا لى لأن أكثرهم لا يملك ما يهدى . . كان عدد القاصرين محدودا وكانوا يمتنون علينا بمرسال بعض اللبن الذى يؤخذ منه الزيت وما يسمى فى العراق (لبن كيس) لأنهم بعد أن يفتروا اللبن يضعون معه الماء ثم يفضونه فى الشكوة ويأخذون زيده ويشربون هذا اللبن مع التمر .

كانت الصداقة مع ابن الشيخ قوية ، وكان يظننى من أهل الحضرة للترفين وأنه ابن القرية القوية . . وفى يوم من الأيام أراد اختبار قروستى لو أنه أراد إظهار براعته فى ركوب الخيل . . وجاءنى بحصان وقيل أن لركبه داعية ودبت على رقبته لئلا يلقى، وأخذ هو حصانا آخر حتى تنزه على ظهور الخيل . وما إن وصلنا إلى منطقة قرية من حيه حتى قال لى :

تتر يا سيد ؟

أراد أن تسابق على ظهر الخيل . .

فقلت له : إن أردت .

فانطلق على صهوة جواده . لم أكن أفكر إلا بالترعة واستهوانى طراد

الحبل إذ لم أسقط ظهرها منذ فترة .. وأنا به على حين قوة يضرب حصان
بعضه .. فما أحسست إلا والحصان ينطلق بكل قوة .. فعرفت أنه أراد
أن يتحدى ..

سبورت على حصان بعد المفاجأة وأخذ يعدد وأنا على ظهره بكل قوة
وطرت أسبق الريح .

لمسعت صوته ورائي يقول :

سيد .. سيد .. لا تستعجل .. ولكن كنت تركته في ظهر الحصان .
ولما أجهدت الحصان نزلت عن ظهره وريت على رجليه لأشعر الحصان بأن
أشكره .. والحبل تعرف وأنهم الشكر والتقدير وتعرف الفارس المسيطر
والضعيف .

وبعد فترة جاء يعدد على حصانه وقد ظهر عليه الألم والحسرة وقال نوافذ
ياسيد ظننتك (حضري) لا تركب الحبل .

قلت:همل الحضر لا يركبون الحبل .. ؟ ثم قال:فرقتي بالحبل .
قلت:ولم الحبل وأنا وأنت على ظهر الحبل ؟ ثم إنك ضربت الحصان
ولمحدثتي ولدت أن أسقط من على ظهره ، فكيف لو تقطرت ؟
أخذ يحذر ، وبعدما أفصح لي عن أمره فقال :

كانت خطيتي ، تراحمي ولدت أن أظهر لها براعتي في ركوب الحبل
فجاءت الحية على ..

والواقع نحن نملك حصانا في الدار كان والذي يستعمله في مهامه
الرسمية .وعندما أحله لأورده لواء أبتعد به إلى الشارع العام .. وكنت
أحاول السباق مع السيارات ، وبالفعل كنت أسبق بعض الثوريات .. إذ
لم أكن أسبق السيارات الصغيرة لأن أحرف سلقا أنني الخاسر .

وفي يوم من الأيام اختلط أحد سائقي سيارات الحقل منى وتذهب إلى
والدى يشكو من تصرفى . . أولمعه كان صديقا لوالدى وخاف أن يحدث
لى مكروه لأن الوالد رحمه الله عاتبنى يرفق وقال: يمكن أن تطارد على ظهر
الحصان ولكن قد تسحقك السيارة .

كيف أنقضى وقفى فى هذه القرية وكيف أنام على الأرض ؟

كنت جلست معى أدوللى البسيطة وبعض الكتب . . ولم تكن غير رزمة
كبيرة فيها اللحاف والدوثك والمخدة وحقيبة فيها ملابسى وكفى وضعت
على ظهر بخل استأجرته من بلنروز وركبت أنا على ظهر حصان وكان
الكلارى يمشى على رجله حتى وصلنا قرية إمام عسكر .

قبل أن هناك من يصنع السرير من جريد النخل وهو لا عمل ولكنه
خير فى صناعة السرر .

كنا بحاجة إلى جريد النخل لتصنع السرير . . من أين لنا بالجريد .
أحس طلاب القرية حاجتنا إلى الجريد فجاءوا فى الصباح وكل واحد
سحب وراءه جريدة أو جريدتين فتجمع عدد منها فبأمر الرجل إلى قطعها
ثم نقبها حتى شكل لى سريراً خاصاً بى . . وكنت أنام لى حجرة من حجرة
المدرسة .

حاولت أن أكيف تلقى فى هذه الحجرة وما كان معى من الكتب .
ومن حسن الحظ وجدت بعض الكتب التى ترسلها المعارف إلى المدرسة ولم
تفتح ولم يرها أحد . وقد كان بها كثير من الكتب المفيدة .

كنت أخرج متوقفاً فى الفضاء الرحب وأنتجع بجمال الكون وهدوء
الحياة وبساطتها بالقياس إلى حركة اللواصلات فى بطونة . . وكنت أرى
القلاحيات يحملن على رؤوسهن الخطب بلبله إلى بيوتهن .

كانت الزلّة تعمل بجد وجراً ، وكان الرجل يخلد إلى الراحة فى

المقاهي ويقضي الوقت في لعب الورق .

وكانت القرية تحظى عشرة أيام في السنة وتكون شديدة الحركة في قبيلة
نسيم المجاورة فيأتيها أحد قراء (الصعالي الحسينية) يتدب فيها الإمام
الحسين ويخرج جميع منهم يلطمون صدورهم ويكون . وفي العاشر منه تقام
تسيلة مقتل الحسين وتنتهي هذه الحركة . . بمقتل سيد الشهداء . .

ويخرج أهل القرية والقبيلة إذا جاءهم أحد المولفين كتمهيد الناحية
أو القوض لأن رئيس القبيلة سوف يذبح ذبيحة ، ولذلك يذوق هؤلاء
الطعام من الرز واللحم . .

الحياة رابية في القرية بين تعليم الأطفال وبين قضاء وقت في التفرج
على ما وهبها الله من جمال . . وفي الشتاء عندما تأتي طيور (الزراف) يخرج
بها ابن القرية لأنه سوف يأكل اللحم ويصطادونها بشباك يحدونها لذلك . .
عندما تأتي إلى الأشجار مساء .

ومنهم من يصطاد الصقور ويربها ليستفيد من بيعها ، وقلة قليلة
ميسورة الحال قادرة على تدريب هذا الطائر للصيد والقتل . .

لا بد لي أن أعمل شيئا وأملأ فراخي . . وقد شامت الصدف أن تحدث
حادثة زواج في القرية . . وقد تكون هذه الحادثة عابرة إلا أنني وجدت
شباب القرية يتلقون وينضمون على هذا الزواج ، ولا تحرم الأمر عرفت أن
الفتاة الشابة الجميلة حلم أبناء القرية كانت تحب ابن عم لها ، وكان هذا
الشخص متربا لذلك تزوجها شيخ له غنى ومال . فجز عليها الحسرة وعلى
أبناء القرية الألم . . إنها حادثة تحدث كثيرا بين أبناء الريف والقرى وفي
العالم كله . .

كانت فرصة لي أن أعمل شيئا فنظمت مسرحية شعبية صوّرت فيها

حيلة الريف وما يعتاتة الفلاح والمزارع في الريف، جازدت عليها من غريب .
فكانت مسرحية شغلّت فيها وقتي ..

مدرسة إمام عسكر :

كان في المدرسة ستة صفوف من الصف الأول إلى الصف السادس
ومدير المدرسة لم يكن قادراً على تدريس غير الصف الأول والثاني توائمه
وجعلها فرصة واحدة ذلك فهذا أصبح ؟

وضعت الصف الثالث والرابع في حانب من الحجرة والخامس
والسادس في الجانب الآخر .. ولكن كيف يمكن تدريس كل المواد
لأربعة صفوف في ساعة واحدة .. مع أنني كنت أطول الساعات ؟ لكن
الصعوبة كانت في تدريس اللغة الانكليزية والرياضيات والعربية إذ كل
درس منها يحتاج إلى وقت للفهم والدراسة . وبالرغم من محاولة عدم فتح
الصف الخامس والسادس فإن المعارف وافقت على جعل المدرسة ابتدائية
وبذلك حصل المدير على طموحه بأنه مدير مدرسة ابتدائية عوضاً عن
المدرسة الأولية .. وعسر الطلاب .. ولم تسعف المعارف المدرسة بمعلم
إضافي ، وهي بحاجة إلى أربعة معلمين . وهكذا كان شأن المعارف تعسر
دون رؤية أوتساع فكر .

كان عدد الطلاب محدوداً ، ولكن لم أكن أدير على إقبالهم أكثر من
التوام الرسمي لأن أهلهم يحتاجون إليهم ، وهذا خلاف نظام الوزارة .

حاولت أن أخذ معي وظائف الطلاب التي أعطيتها لهم ولكني بحاجة
إلى وقت التصحيح لتنبية الطلاب إلى أخطائهم كيلا يقعوا فيها ثانية وبذلك
يضيع الوقت في التدريس والدرس الجديد، وما كان الطلاب قادرين على
الدراسة في بيوتهم لأنها غير معدة للدراسة ، والطلاب يأتون إلى المدرسة

معيّن لأنها كانت من المناطق التي أعلن فيها التعليم الإجبارى .

كان مدير المدرسة يواجه مشكلات في جمع الطلاب ويقدم أولياء الأمور للمحاكمة لأنهم لا يرسلون أبنائهم إلى المدرسة . وكانت المحكمة بعد إجراءات طويلة تحكم على المتخلف بغرامة دينار واحد وهو مبلغ كبير إذا قيس بموارد الفلاح المحدودة .

لقد كانوا يكرهون المدرسة والمعلمين لأنهم كانوا سببا في أخذ أبنائهم للتعليم وفرض غرامات عليهم . صحيح أن حالات الغرامة كانت قليلة لأن الفلاحين كانوا يرسلون أبنائهم ، ولكن حضور الطالب مرغبا كانت له آثاره السبة على التعليم . . فيجب أن أحب هم العلم والتعليم إضافة إلى تدريس أربعة صفوف في وقت واحد ويدرس متعلقة . .

ومع أننى سويت الساعات في الجدول ولاءمت بين الدروس لكن كان لابد من ثلاث الدروس الصعبة في أكثر من درس خلال الأسبوع مما يعرقل الوصول إلى الهدف الذي كنت أتوخاه من تعليم هؤلاء . .

ومع أن راضى كان محدودا فقد حاولت أن أحييهم في بعض الكتب والأقلام والدفاتر بصورة عامة على شكل هبات تقليدية لمن يتفوق على أقرانه . . ولقد استفاد جزء من هؤلاء وبدأت الحمى لتحفز عند بعض الطلاب .

إنها تجربة قاسية جاءت من عدم إدراك المعارف بحاجات المدارس . قسى الوقت الذي لزدحت بحقوقه وغيرها من الأنشطة بعدد من المعلمين كانت القرى بحاجة إلى معلمين لأن المحسوبة القليلة كانت تؤثر أثرها وتعمل عملها في تخريب مصالح المجتمع في سبيل مصلحة الأفراد .

كنت بحاجة إلى الاتصال بالعالم الخارجى فأتى إنسان له صلات روحية بالأدب وليس في القرية أقل وسائل المدنية . فلما نجده من الدهر ونطلعه

بالشرب حتى بعضى وهبهات أن بعضى الماء . أما الطباء فكانا نعتمد على
الفوانيس وعلى المصابيح الجديدة التى تسمى (القلمية) وهى من الكلمة
الإنكليزية (قلم) . . كنا نستضىء بها وهى بالقياس إلى أبناء القرية ترف
كبير . كان النقط يأتى من بلندروز وكانت إضافة الفلاح ساذجة وبسيطة فهو
يضع ثمرة فى رأس قينة ويدخل من الثمرة القينة البسيطة حتى تصل إلى
قعر الزجاج (البطل) التى فيها عادة النقط وعندما تحترق ترسل بدخانها
واضحاً فى أنحاء البيوت الطينية الساذجة . . وهم يستشقونه مع الهواء .

كان البريد شحيحاً فى بلندروز وكنا نرسل الفرائش أسبوعياً لجليه .
ولأظن بين أبناء القرية من له صلوات بالعالم الخارجى ، فهو عالم مغلق
يتم بنفسه ومشكلات حياته البسيطة والساذجة .

اشتركت بمجلة الثقافة التى كانت تصدر فى القاهرة وبجريدة عراقية .

إن إلقاء بعض شعري وبعض الأسانيد من الإذاعة أثر فى مدير البريد
بل فى الناحية كلها . لذلك كان الرجل حريصاً على جمع البريد وإرسال
لحياته مع الفرائش عندها يذهب إليه . وكأنه يرسل بالتحيات إلى شكسبير
أو هوكتو أو الخبى أو الجياض . وبالفعل بالقياس إلى المستوى الثقافى كنت
أفوق هؤلاء العمالة والشعراء . فلم يكن هناك إلا بعض المعلمين
والموظفين الذين يهيدون القراءة والكتابة .

كان وجودى سبباً فى بحث حركة محدودة فى الناحية للقراءة والكتابة
وممارسة بعض الشعر تقليداً لهذا الصوت الجديد الذى أصبح معروفاً فى
الناحية . . أما أهل القرية فلا أنظهم عرفوا حتى شبتاً لأهم فى شغل شاغل
عن الشعر والأدب .

كنا نفرح إذا جاء العريف لأنه سوف ينزل فى المدرسة خبيفا ، ومعناه
أن أهل القرية سوف يقتسمون له كل شيء دون مقابل من الزيت واللبن

والتمر . وهكذا الجاهل يخاف من القوة والسطوة ، وهكذا الذين ربوا على الخوف والرهبة يرهبون القوة . . وعندما يأتي الفوضى تلوم قيادة القرية احتلالا واحتراما، ولا يكتفي إلا إذا حدث فيها حادث كبير .

بجملتنا مرة وأخذ يحدثنا عن كيفية اكتشاف بعض السرقات ، ولم تكن تلك السرقات إلا بعض الطعام والفاكهة التي يحتاج إليها الفلاح في قوته اليوم . كان يربط الأرجل بالقلعة ويقسوف الضرب حتى يسمع الآخرون صراخ المضروب فيخافون ويعترفون بسرقة البرتقال أو كمية من الحنطة أو الشعير .

إن الحاجة الماسة والخوف الكافر يدفعان الناس إلى السرقة ويسمونها أبناء القرية (الخوف) وهذا ليس عيبا إنما هي رجولة ونوة ومذعة فخر ، لذلك كان السارق لا يخفى سرقة ويخاصة إذا كانت السرقة من مكان بعيد عن القرية .

إن الإقطاع المحدود في العراق استغل هؤلاء الفلاحين استغلالا سيئا وكان له زبانية يحرسون الإقطاعي الذي تحول إلى مالك للأرض ، وكانت الأراضي ملكا للعشيرة كلها . ولسهولة ضبط أفرادها سجلت باسم الشيخ ، فتحول إلى مالك تحكم في رقاب الفلاحين أبناء عشيرته ، واستبدعهم . وفي بعض المناطق كان للإقطاعي سجن فيه يخلطون فيه بالأمره ومن لا يطيع تعليماته . . ويصفدهم بالحديد في أحيان كثيرة . .

عصفت العلوف مبلغا من المال لشراء الكتب ولتوزيع القرطاسية للطلاب ، وكانت لا تكفي هذا العدد من الفقراء والاحتاجين . . ولا بد أن تشتري لهم الأقلام والدفاتر التي تستهلك بسرعة ، فإنا أصبح ؟

اشترت كتباً مستعملة ، وبذلك وفرت مبلغا من المال اشترى منه الدفاتر والأقلام والمسطرات والممحاهات . . ولا بد أن يتابع الكتب حسبي

سرفت الفرق لو أنني أخذت -الدرطاسية لي لأن رجوته أن يوقع المستندات
بالبليغ كله بالكتب المستعدة مع أنني أخذت الشرح له السهب وبأنه
قبض المبلغ كله الذي خصص لهذه الغاية .

إنها مخالفة مالية ولو وصلت إلى التفيش لا أبحث بالسرقة . ولكن لم
يكن أمامي من حيلة غيرها أكفى بها حاجات الطلاب المحتاجين .

كنت أذهب شهريا لمقابلة صديق عزيز من الوطن العربي كان معي في
القسم الداخلي عندما كنت في الدار وكان يدرس الحقوق وأسهم بنشاطه
وأعده في حركة رشيد على الكيلاني . . وبعد أن تم للانكليز السيطرة بدأت
السلطات تطارده لتلقي القبض عليه فاحتفى في غرفة بغداد التي يسكنها
النصاري .

كنت أزوره وأشد أزره مع أنني بحاجة إلى عون نفسي . . وكنت أخذ
معي فصول المسرحية لكتابتها في دفتر واحد فقد كان ذا خط جميل وذوق
رفيع وكنت أريد أن يشغل نفسه بشيء من العمل . وقد استضدت من
ملاحظاته في الشعر كثيرا .

حاولت مساعدته برغم أن رأيي محدود فقد نخلت عنه الأصدقاء . .
وكانت السفرة بعد ذهابها شاقة فكننت أذهب على ظهور الدواب إلى بلدروز
ومنها أخذ السيارة إلى بعقوبة وبعدها أذهب إلى بغداد . . ولكن وجدت
من الوفاء عدم ترك إنسان كريم وعمرى نبيل يقضي بالإيمان العميق بحق
أتمه وتصيرها . وكان حلقا بأن الخلفاء سوف يخسرون الحرب . . وبالرغم
من معاناته فقد كان جليدا . . ملا حيطان حبرته بالقصائد التي كان
ينظمها أو يختارها لقضاء الوقت وكان يخرج ليلا مسترا حتى يخرج عن نفسه
عنها . .

ولقد ساعدته الظروف بالذهاب إلى البصرة والكويت وتزوج هناك

ولانت له أسباب الحياة والمجد والشهرة فكان خير صديق حبيب .
كنت أعرض عليه القصائد التي أنظمها لأقدمها للإذاعة وكان صادقاً
في تقديم نصيحا في رأيها وكان يكتب لي القصائد بخطه الجميل وأجدها
للإذاعة .

بقيت سنة كاملة أومسة دراسة في قرية إمام عسكر . . وبمضط
خارجي على مدير المعارف وتلبية لطلب خاص من أحد الأساتذة الطوبى
الذين درسوا ثم نقل إلى قرية الحويدر . وبذلك أعطف مدير المعارف
وعنه ولم ألق إلى بقية .

والحويدر قرية جميلة تقع على نهر دبال ولحقها البساتين من كل
جوانبها . وفي القرية بعض الأهالي يملكون جانيا من هذه البساتين . وهم
اجتبايون ولهم صلات مباشرة بهندك وأهلها ، ولزم من أصلناهم . قد
برز منهم الدكتور عبد الحميد كاظم (رحمه) وهو من أهل سامراء الساكنين
في الحويدر ، وهو من القلة الذين أكملوا دراستهم العالية حتى درجة
الدكتوراة . ومنهم شخصان آخران أكملوا الدراسة أحدهما في الحقوق والآخر
في الطب ، وعلى ما أذكر لعل أحدهما رقت الحاج على مع أخيه التي فاتي
اسمه الآن .

كان الطريق وحرا وصعبا ، وكنا نذهب إلى المدرسة مشيا على الأقدام
في الأيام الجميلة . وكان الطريق يسير نهر دبال ، فكانت الطبيعة بجبالها
وقبحاتها تختلف من وطأة السير . . وفي نزلت الأمطار استحال إلى برك
ولوحال . عندها لا بد من استعمال العربات التي تذهب إلى القرية .
ومع أننا استأجرنا عربة لنقلنا إلى المدرسة من القرية فقد كان يحملونا أن
نذهب إليها صباها وأجلاين ، ولكن لا بد من عودتنا في العربة عند الظهر
بعد إزهاق العمل الطويل في المدرسة .

فكرت في إبراز مواهب الطلاب . فقد وجدت عند بعضهم قابلية للكتابة والنظم وأخرجت لهم صحيفة الحافظ ، فكانت حدثاً كبيراً. فرح بها الطلاب والمدير المرحوم نظيف قاسم وبالفعل كانت مدعاة شكر وتقدير من المفتش عبد القادر سليمان فأرسل رسالة طويلة لأبد أنها محفوفة في ملفي فيها إطراء لطيف . وأعمل من الطريف أن الأستاذ عبد القادر سليمان كان قد عرسي في الابتدائية ، وقد درست أبناءه وبنيت صداقتي معه حتى تركت العراق ..

استمر نشاطي الأدبي والفكري ، وكنت أسهم في كل نشاط عام في بعقوبة .. ونظمت عدة أناشيد مدرسية كانت تترد في الإذاعة وعلى لسان الطلاب الصغار ، وقد لحن هذه الأناشيد كامل العزاوي وهو زميل عزيز من أهل بيرز كان مثلاً قديراً وقد أكمل دراسته في القاهرة .

فرقة تمثيل :

كان عند الطلاب الفقراء في بعقوبة كبيراً ، وكانوا يحتاجون إلى عون مالي ففكرنا أنا وهمد علي هادي السعيد وكامل العزاوي وحكمة ليبي في تشكيل فرقة تمثيل تجمع فيها بعض الأموال للفقراء .. ولعنازل الإخوان رئيساً لإدارة هذه الفرقة ، وقد مثلنا بالفعل مسرحية عربية وحضرها جمهور كبير. وكان أكثرهم حضوراً أولئك الذين تسلفوا أسوار المدرسة المتوسطة للبنات التي مثلنا فيها الرواية . كان يضطلع بالبطولة همد علي السعيد والعزاوي وكان لنا الأموال الثانوية وإدارة وتوزيع البطاقات وجمع الأموال لتسد مصروفات الفرقة .

وقد تبرع أحد المعلمين بالتوزيع ، وأخذ ثلث البطاقات وزعم بها إلى الجيش في التكتة . ولا طابته بالبيع فكبر بأنه تسلم من الضباط البالغ ، ولا بد أنه أخذها ولعب بها الفيلز لأنه من أشهر لاعبي الفيلز ، وبذلك

أضاع ثلث مجهودنا ولم نقدر على الوفاء بالعصروفت إلا بمشقة ولم يبق من المال إلا التزدد القليل ، وبذلك لصف الرجل أهم أعمالنا وأهدافنا النبيلة . . وقد قيل إنه مات بالسرطان . .

ومن الطريف أن أحد الشيوخ المشهورين بالكرم بين الناس كان في بحيرة وفتح في بيته ديوان ضيوف يرتاده الناس للأكل والشرب واحساء القهوة . . فذهبت إليه أرجوه أن يشتري بعض بطاقات مساهمة في مساعدة الطلاب الفقراء . .

قال : أنا أشتري كل البطاقات . فسعدت بهذه البادرة الكريمة ثم أرتد وقال : على أن تعلن ذلك قبل رفع السترة أمام الجمهور . فنزل الرجل من صني وقلت :

إن شراك العدد الكبير سوف يمتع الناس من رؤية الرواية التي بلدنا فيها طلائعنا ثم إننا نريد أن نساعد الفقراء ، ولا نريد أن نكون بوقا لأحد . والكريم من يتبرع للفقراء بصمت وعذوة . . ثم أعطيت بطاقة واحدة وأخذت ثمنها وانصرفت أسفا على هذا الاسم الضخم الكاذب .

١٧

مشكلات العراق :

كانت الطائفية والمحسوية والأسرية والبلدية متفشية في كل حياة العراق ، فقد خرجنا من حكم الدولة العثمانية وكان الحكم قد ورثوا المصائب من الدولة وقد طبقت على المجتمع العراقي بأسره . وكانت المحسوية بأنواعها هي الرابطة الاجتماعية أو الضمان الاجتماعي لأبناء البلد أو الأسرة أو الطائفة ، إذ أن مصلحة المجموع لم تكن تدور في خلد الحاكم العراقي . . وكل واحد يريد لنفسه المكاسب والمغانم وإن قلت له : إن التصرف بأموال الدولة بغير حقها حرام . . أجاب : إنه مال الدولة وليس مال أبيك .

إن الانقسام كان واضحاً بين الدولة وأبناء الشعب ، وقد ورثنا ذلك من العهد العثماني الذي كان أكثر حكامها من الأجانب بداية من حكم الأتراك في العهد العباسي والحكم الفارسي ثم الحكم العثماني والبريطاني . لم يكن الشعب العراقي في يوم من الأيام قادراً على انتخاب حاكمه أو له رأي فيهم ، إنما كانوا يفرضون عليه ، رضى الشعب لم لم يرض ، ولم تنفع كل ضروب الاحتجاج والضغط في إحداث تغيير جوهري في حياته .

ولم يكن للشعب دور حاسم إلا إذا سمع صوته وشارك في حكم نفسه . وبالرغم من أن بعض العهود بعد الحكم الإنكليزي المباشر أعلن عن أحزاب سياسية ووجود مجلسين للنواب والأعيان إلا أن تزييف إرادة هذا الشعب لم يكن مخالفاً على أحد ، فالحكومة تأتي بمن تريد وتنتهي من تريد . ولعلنا نذكر أن أحد نواب الشعب قال: إننا جئنا بإرادة الشعب فما كان من نوري السعيد إلا أن قال :

إذا خرجت من المجلس هل تغدر أن تعود إليه . ولعلنا أن يصنع . . إن الشعب العراقي مازال بحاجة ثقافياً وبحاج إلى سنين حتى يتطور وحتى يتحضر . وأن يسمح له أهدأه يمثل هذه الحياة المتحضرة . وسوف يفتنون أمله بالمرصاد بكل الوسائل الشريفة وغير الشريفة .

بقيت المسوية لتعبر في جسم الشعب ، ثم انحلت إلى المؤسسات الجديدة كالحزب والقوى والجمعية وال نقابة . فاعل كل يتحزب إلى ناديه الأسمى أو الرياضي أو ثقافته ، وقد تحول الإنتباه الأسرى والمشاركي إلى المؤسسات الجديدة . إن المؤثرات الوراثية والتقاليد السائدة والعادات التي تحكم الشعب العراقي بحاجة إلى زمن طويل ليواكب مسيرة حضارة البشر العالية .

مدرسة المؤيدس :

كنت يوما من أهلى جالسا فى نادى المؤيدس . . فجلس إلى جوارى أحد المعلمين الذين يعملون فى مدرسة بعقوبة الثانية . . وكان رجلا هيباً كريم النفس منطوياً على نفسه متعزلاً عن الناس من أسرة نجفية كريمة ، له قراءة وثيقة بمدير المعارف . قال لى : سمعت بأنك تريد أن تنقل إلى بعقوبة . . وأنا أريد أن أنقل إلى المؤيدس لأنى أفضل القرية لرخص حياتها ولأنى أريد أن أتصرف عن الناس ولأنها عادة . هل تريد أن تكون مكانى وأنهب فى مكانك ؟

قلت : هذه أمنية يصعب على أن أحققها مع مدير المعارف . . فهو يعرف مقدار رغبتى فى العيش فى المكان الذى يرضى . . ولكنه دائماً يصر على رأيه ، وليس لى قوة فى إقناعه .

أخرج الرجل خريطة مكتوبة وقد وقعها عليها طلب نقله إلى مكانى ونقل إلى مكانه وقال لى : وقعها وخذها إلى مدير المعارف لأنى لا أريد أن أراه . .

قلت : لا أظنه يوافق

قال : خذها وسوف يوافق .

ما كان عندى المقدرة على الذهاب إلى مدير المعارف لأنى أخاف موقفه منى ولكن معرفتى بقراءة الرجل له دعيتى للذهاب .

وبالفعل رفض مدير المعارف . . وعذرت إليه بالخريطة فأخذها من يدي وقال : تعال معى . وذهبا معاً ودخل إليه فى مكتبه دون استئذان . وبحزم وشدة ولم شديد من الرجل وافق مدير المعارف وعلى وجهه علامات لا أدرى أهم الحروف من الإهانة أم لأنه غسر رأيه . . كنت فى دهشة لأنه وافق بسرعة ولم يمس بنت شفة .

كانت زوجة المدير (رحها الله) ذات سيطرة كبيرة عليه . . وكانت هذه

الزوجة سليطة تشتمه علنا أمام الناس والموظفين . والغريب أنه كان يقبل هذه الشتائم ، ومن الغريب أنه أراد الذهاب إلى إحدى قرى اللواء ويذهب إليه الخشن وأحد الموظفين وطرقا الباب ليكون على رأسهم ولما خرج وهم يركوب السيارة صاحت :

فلان .. فلان إذا لم تهلب معك الحاجة القلالية لن تدخل الدار.إنها زوجة عرمة أسلمت إلى زوجها وأسرتها وكان زوجها يكره ويقول إنها خاطئة من اليوم الأول ؟ فلولا المحسوبة لما كان مثل هذا الإنسان مديرا للمعارف.فإن أسرة السيدة الكبيرة هي التي كانت تستد الرجل وكانت السيدة تحس بفضلها عليه،وكان مما لست أذكره .

ومدير مدرسة الخويطر إنسان فاضل بكل معنى الفضل ، على خلقه وادق ، غير الدنيا وساح في كثير من بقاعها . كان في الألفدان ودرس فيها وله خبرة طويلة في التعليم وكان مثالا كريما للأخلاقي ولقد استفدنا من خبرته ونجارته.كان شديد الإعجاب بتركية لأنه كان يذهب إليها دائما ، وكنا نهر بأحاديث نحن المعلمون الذين لم يروا إلا المناطق التي يعيشون فيها .. كان الرجل يملأ الفراغ عندما كان يعود بالعربة بعد يوم عمل ثقيل وعندما يهطل الأمطار في الشتاء وتكون الحيل المسكونة منهكة من وطأة الحمل وشدة الأوجال . فقد كانت الأمطار تحيل بعزوبة إلى برك لغوص فيها الأبقار إلا من بعض الشوارع ..

لم أكمل الدراسة الثانوية لأن كنت أفضل العيش في معهد فيه القسم الداخلي حتى أحيش بعيدا عن ملة الأقرباء . ولشأن الصدف ونحن في امتحان السنة الثالثة ليلا أن جاء أحد طلاب دار المعلمين وأخذ يصف لنا جمال الدار ومكانها في الأعظمية ومعاملة المدرسين والرفاهية التي يحش فيها الطلاب . فاستهزأ كثيرا ، ولعله أيقظ في نفسي الرغبة الكامنة في العمل

السريع لمساعدة أسرنا المحتاجة . . وأطلب الطالب وأغرى عدداً كبيراً من أبناء المنطقة .

وكانت فرصة كبيرة أن قبلت في دار المعلمين الابتدائية لآل من الطلاب المتقدمين ، وكان عدد الناجحين قليلاً في تلك السنة .

أمين المكتبة :

لما بدأت وزارة المعارف تحس بضرورة نشر التعليم عتجز نطاق المدارس عن طريق المكتبات العامة كانت بعقوبة أحد المراكز التي اعتمدت بها وطلبت مديرية المعارف من القيام بإنشاء هذه المكتبة ابتداءً من عمل معلما . .

إن الكتب من المؤلفات التي أحبها ، بل هي الحواشي التي استغرقت أكثر وقتي وفكري فأستعمل هذا العمل لأنه يفتح ورغبتني العميلة في توسيع مساحة معرفتي الأدبية والفكرية ، فكنت أستغرق في هذا ليل نهار أحد الفوائم التي أراها ضرورية لتزويد المكتبة بالكتب ، وكنت أقرأ فوائم كتب المكتبات وأختار منها ما يكمل مكتبة عامة تحوى أهم العلوم والفنون التي يستفيد منها القراء .

كانت المكتبة حجرة واحدة في بناية مهجورة كانت أصلاً المدرسة المتوسطة التي حرمست فيها بعد أن نقلت إلى الثانوية الجديدة قرب محطة المطار . وبدأت في تصنيف الكتب ووضعها في خزائن خشبية أعدت لهذه الكتب وجمعت من المدارس . ليس المهم نوع الخزانة إنما إعداد المكتبة للمطالعة والاستفادة . وطالبت بمنضدة كبيرة وعدد من الكراسي ليجلس عليها الطالبون فوافقت مديرية المعارف . وأجريت مناقشة لعمل هذه الكراسي والمنضدة وكان طابقي أن تكون من خشب الصاج الجيد لأنها ستكون كثيرة الاستعمال . . وكانت خبيري بالأخشاب جيدة بعد أن

اشتغلت مع نجار هتريف ، ويحصل أهلالي الهدية مع الأستاذ اسماعيل عبد الوهاب في التجارة التي كانت تابعة للمدرسة المتوسطة لقضاء بعض أوقاتها في عمل مفيد ، مثل التحريم لعمل التزيات والصواني وألحوت الزينة .

ولما جاءت الكراسي والمنظمة أصبت بخيبة أمل . فقد كان الخشب من الجاهل المصبوغ (بالسبريتو والدملك) الذي لن يلاوم طويلا ، فظهر الخش والزيغ الذي قام به المقاول ، ورفضت أن أوقع له بالتسليم ، فتركتني وذهب إلى المغلوب ووقع المسؤول ، ولعله كان متواطئا مع المقاول وقبض ثمن هذه السرقة . . وهل يمكن أن أتكلم ١٩

ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي أحسست فيها بأن في القوانين ثغرات وأمورا لا أنهيها . فعندما ذهبت إلى إمام عسكري . قدمت للمعارف أجور النقل التي تدفع لكل موظف بعين أول مرة من مسقط رأسه إلى محل عمله . فأنزلت وصلا من الكباري وصاحب السيارة وقلت إلى دفعت للحصان نصف دينار وللسيارة ربع دينار إلى يلدوز كما دفعت لصاحب البغل مثل الأجرة التي دفعتها إلى الحصان ويكون المجموع دينارا وربع دينار .

أرسلت الوصلون إلى بعلوبة . . وعندما ذهبت إليها وجدت المحاسب يرفض صرف المبلغ لأن مخالفت الأنظمة المالية التي تقرها وزارة المالية . ومزق القائمة وكتب أصنافا عجبية من عمالة إلى المحطة وإكبالية وحمالة في يلدوز وأنزل الديثار الذي صرفته للحصان والبغل وهكذا . ومع القائمة الطويلة وصلت القائمة إلى دينار ونصف دينار أو أكثر بقليل . . رفض صدفى وقبل الكذب الرسمي وزادت المصاريف . .

ما أصعب الأمور الرسمية . تصليق فتخسر .

وتكذب فترداد مالا . . إنه أسلوب رسمي .

حيث لأثير المكتبة . وبدأت بحماسة ورغبة في إعداد المكتبة للقارئ الذي لم يعرف المكتبة العامة في بغداد . ولم أر في أي بيت من بيوتها مكتبة . فالتاس في شغل شاغل برزقهم اليومي ، ونسبة الأمية كانت عالية جدا وعدم وجود مكتبات دليل على عدم الاهتمام بالعلم والأدب والشعر .

لم أجد في الجيل الذي قبل شاعرا أو مؤرخا أو إنسانا له شهرة اجتماعية أو فكرية أو سياسية . . وليس في البلد من أصحاب العلم من يعتد به أو له سمعة في بغداد . . صحيح كان هناك فاضل للعلوم الاحتلال البريطاني ، ولكنه لم يكن من أهل البلد ، ثم إن الانكليز نظروا وهو يفتي حاجته في المرحاض تسرعا أو سهوا . بدأت العمل بطبع أوراق الاستعارة على الآلة الكتابة وأعدمت دفترًا أسجل فيه الكتاب المستعار ليوقع المستعير عند تسلمه وأوقع في الدفتر أمام توليحه عندما يعيد الكتاب .

كانت المكتبة مجموعة من كتب إحدى المكتبات الخاصة التي اشتراها المعارف في بغداد ومازال اسم صاحبها عليها مع إهداء المؤلفين .

وبرغم البداية التي أشرت بها للمكتبة والتصنيف الذي وضعته بنفسى فقد طبعت أسماء الكتب والمؤلفين وقسمتها حسب المواضيع كالناريخ والجغرافية والأدب والدين والعلوم المختلفة . ونعيت إلى بغداد ودرست القواعد التي تسير عليها المكتبة العامة .

ومن الطريف أن المتصرف (المحافظ) كان من القراء الذين يطالعون دائما ، وكنت أعطيه الكتب التي يريد ، وكان مدير المعارف يوقع بدلا عنه في دفتر الإعارة معتقدا أن الناس على دين ملوكهم ، وحتى أي يخلو الموظفون حذره .

ونقل المتصرف ومعه عدد من كتب المكتبة ، ولم يرد المدير أن يطالب بها . ولما وجدني في حيرة أصدر أمراً إدارياً حسب صلاحته بحذف هذه

الكتب من السجلات وعدها ملفوفة .

وحان وقت ترفعي إلى درجة أعلى . وكثبت للعارف إلى الوزارة تطلب درجة لأعين عليها أميناً للمكتب بدلاً من الانتداب الذي انتدبني فيه مدير العارف . فما كان من الوزارة إلا الرضا وتعين أحد الموظفين على ملاك المكتبة على أن يعمل في بغداد . . جاء وسلم المكتبة وأعطتها وسافر إلى بغداد . وكان يحضر شهرياً ليتسلم راتبه ويعود يدرس عمله في الوزارة . وبذلك قضت المصلحة القروية حل المصلحة العامة ومصلحة الفكر كله في بلدة بحاجة إلى القراءة الجادة .

رفعت إلى الدرجة التي أستحقها ، وأعدت إلى التعليم ، وما كنت أحب التعليم الابتدائي لأن المعلم كالشمعة التي تحترق بنفسها ولا يقدروها المجتمع ولا يفهم لها احتراماً برغم أنه يحضر شبله بروحه في خلق جيل جديد .

وكانت حالة عدم الاحترام التي تحيط بالمعلم بين الناس تجعل المعلمين يفرون من هذه المهنة الكريمة إلى أعمال أخرى فيفضل الواحد أن يكون كاتباً في أية دائرة لها صلات بمصالح الكبار فراعاً من صفة (المعلم) .

ومن طرف ما سمعت أن أحد المعلمين الذين تخرجوا ليس ملائمه الجريدة البيضاء ونهب إلى البصرة من أن الخصب أو بالعكس وجلس إلى جانب (سيك) أمي عمله وعاد إلى أسرته وهو بملايس العمل وفيها بقايا السمك . . وماتت السيارة في أحد المتعلقات فوضع المعلم يده يحمي ملائمه من أن تلتصق بملايس السيك فصاح فيه قائلاً :

هل أنا نجس ؟ ووقع يده لكي يضره
وكان أحد المعلمين معه فصاح به : تأدب
قال له : لماذا أكتب ؟

قال له : إته معاون مدير الشرطة ..

فاعتذر إليه بأسف وقال له :

والله ظننتك معلماً !!

إن هذا العمل يعطيك فكرة واضحة عن مقدار الاحترام الذي يكته الشعب العراقي للمعلم .

إن حين يعمل في المكتبة كان شغل الشاغل ، ورأيت الثمرة التي أوشكت على الجني تسحقها الشجرة التي بدأت تثبت لنفسها بالأقدام . التي الأمر أشد الألم ولكن ماذا أصنع .

ذهبت لمخاطبة مدير المعارف أرجو أن ينقلني من التعليم إلى إحدى الوظائف الشاغرة في إدارته .. فرفض بالطبع .. ويظهر أنني لم أقتنع لوجود وظائف عالية بما كان مت إلا أن استند في كرسيه المتحرك وهو يقرأ جريدته وأولاًل جاتبه وتوجه إلى الحائط ..

أية إهانة أكبر من هذه الإهانة التي صبتها على رأسي ، فخرجت أجر رجل الأسى والألم ولم تكن الأرض تسعني حزناً وحسرة ولما هز كل كيان . هذا الإنسان الذي أدار على وجهه هو نفسه الذي ركض من أول وزارة المعارف إلى آخرها لما سمع بأن عدت ومعنى الدكتوراة واحتضنتني وقبلني وتوسل بي أن أشرفه بشرب الشاي في داره .. ولولا الجمالة والخلق الكريم لذكرته بما صنع معي ، وكان أحد أسباب هروبي من بعقوبة .

ورب ضلالة نالعة

كان نقل إلى التعليم أمراً مؤثراً لي ، فقد وجدت المعلمين للأسف الشديد لا هم لهم غير إضاعة الوقت في سقاسيف الأمور وترهاطها . ومن القلة النادرة منهم من يقرأ غير الكتب المدرسية التي تقررها الدولة . ومنهم

من حفظها وأخذ يرددتها لكثرة ما عرضها دون زيادة . والغريب أنهم يشاغبون ويأكل كل واحد منهم لحم أخيه وتحدث بينهم حركات ثقيلة والأمور لا تستحق التفكير فيها .

ومن القصص التي رواها لي أحد المسؤولين في الجيش أنه سمع بأن المعلمين في إحدى القرى في لواء دهالي تقسموا على أنفسهم وجرت بينهم معارك وشتائم ، فذهب هو بنفسه إلى القرية ليحصى الأمر . وبعد التحقيق وجد الأمور ثقيلة وقضايا الخصام لا تستحق هذه الضجة . وكان عاقلاً ، فجمع المعلمين في حجرة واحدة وطلب من المدير أن يأتي بجميع صانعي الطباشير التي في المدرسة .

فما كان منه إلا أن وضعها وسط الحجرة وقال لهم دعها أيها الإخوان تقاسموا الطباشير فإنه بضاعتكم . . وأردف قائلاً : أنتم أهل المعرفة وليس أقل من الطباشير في نشر العلم . . والخصومة تكون على أموال ومنافع . أليس من العيب أن يقتسم المعلمون وهم الذين يفسحون بزهرة أعمارهم في خدمة وطنهم .

فأحس المعلمون بالهدف الذي أراهه الجيش وتصالحو . . وكان المدير كلياً نخاصم المعلمون يذكروهم بالطباشير . .

عملت بالتعليم الابتدائي من ١٩٤١ - ١٩٤٦ ولولم أنقل من المكتبة وأحس بإهانة مدير المعارف لكنت حين سارت على وتيرة واحدة ، ولربما بقيت في بحفورة أعيش مع أحلام الكتاب والمؤلفين ، ولأخذني الوظيفة التي كانت تتفق مع هواي ولا تنفرت بها فقد كان إنشاء مكتبة في بحفورة عملاً للبهذا ، وكان همي الأول نشر الوعي وبث رغبة القراءة في نفوس أبنائها . . وبخاصة أن الأمية كانت غالبة أطنابها في البلدة ، وعدد القراء الجاهدين محدداً ، وكنت أمني أن أكون جماعة تطلع باستمرار وتقرأ دائماً ويحدها يبرز منهم شعراء وكتاب وأهباء ، إذ أن هذه البلدة لم يبرز في تاريخها

الحديث شاعر كبير أو ناقد معروف . وكان أكثر المخططين يأتون من خارج
بغفوة حتى دخل عدد منهم دور المعلمين وأصبحوا معلمين وبعضهم أصبح
طبيباً .

وصل داني إلى (١٢) ديناراً رفح إلى (١٥) وهدت إلى المدرسة
أعشى تحت كابوس مرهق . وزاد الطين بلة أن مدير المدرسة كان لا يفرق
بين الكتاب المربوطة والهاء فهو يكتب القراما (قرامت) والصناعة (صناعت)
على طريقة الأتراك لأنه تعلم في العهد العثماني ولم يحاول الاستغناء من
العلوم الجديدة . . وقد كان الرجل يعمل في التجارة ، فلما عسرت تجارتها
وكان أخوه مديراً عاماً عينه مديراً للمدرسة .

وكانت أحواله في كتابة الرسائل ودراسة الأنظمة وأرد على المكاتبات وهو
يقنع عليها . وجرى بيننا أمور أدت إلى خلاف ، وأراد أن يظهر لي
والمعلمين أنه يفهم وأنه قادر على إدارة الأمور . . ولكن أصحابه في
مديرية المعارف أرجعوا له بعض الرسائل وأنهم يرون ضرورة العناية
بالرسائل لأنها سوف تعرض على مسؤولين آخرين .

اتخذ أحد المعلمين مساعداً له بعينه على كتابة الرسائل وأرد عليها .
وجاءت رسالة من مدير المعارف يطلب فيها أموراً مستعجلة ، فلم يقدر
للعلم الذي يساعده على الفهم . وأرسل إلى غيره وإلى ثالث ولكن باءت
الأمور بالإخفاق . فقال له أحد المعلمين : لا يحل هذه المشكلة غير
يوسف .

فقال المذهب والله حتى يأت . فلما جاء المعلم أنهت بالبرقة واللمف
بأنه ليس مراسلاً وإنما يجب أن يحفظ كرامته معلماً ، فجلس ولم يذهب
إليه . فاحسّ وهو الكاشع القديم بالأمر .

فجاء إلى واعتذر عما فرط من سابق وقال :

سيد ، نحن في مأزق - فهل نرضى أن نلام من المكارف .
قلت : هات الرسالة .

فقرأتها وقلت : لماذا ذهبت منها .
قال : كلنا وكلنا .

أدبرتها على الحاضرين وكانوا في حيرة .

قلت : إن كاتب الطائفة أسقط كلمة واحدة موجودة في أملا الرسالة
تحت (الموضوع) فإذا وضعت هنا مستقيم الرسالة . ويتم المعنى . .
فأبهر وكان فصحت فصحا كبيرا .

ومن الطريف

أن للتير طلب منه أن يكتب تقريراً سريعاً عن كل معلم ويرسله إلى
المكارف . فدخل على وأنا أدرس قواعد اللغة العربية للصف السادس
وجلس في مؤخرة الصف وفتح دفتره . . انتهت من شرح الموضوع .

قلت للطلاب بعد أن انتهت من الموضوع : تريد أن نعرف بعض
الآيات الشعرية لتطبق هذه القواعد على الشعر العربي . وكتبت بينا من
الشعر الباطل . . وقلت للطلاب : لتعاون على شرح البيت .

من منكم يقدر أن يشرحه ويحلل كلفاته ؟

لم يقدر طالب واحد على فهمه . .

قلت لحمد الله أن للتير اليوم معنا وسوف يشرح لنا البيت ونستفيد
منه . . ونظرت إليه فأخفى بصره وتعلل بالكتابة وأنه لا يسمع ما أقول . .
ولكنني قليلاً لأرى على وجهه أثر هذا الطلب غير المتوقع . ثم قلت : سوف
أشرح لكم أنا البيت لأنه مشغول . ثم شرحت البيت وبعدها . قلت :
أصبح البيت مفهوماً . . من يقدر من الطلاب أن يحرره ؟ . ولم أتم قول

حتى رأته يفتق الدفتر ويقوم مسرعا نحو الباب . ظلمت بإضاءة وعلى
بولفر الأسف : لماذا تذهب وتزال في الوقت متسع ؟ لا تحترقنا من
وجودك . . . وصل إلى الباب وشكرني وحاله يقول :

وحياة رأسك لا أعود لظلمها، وحياة رأسك .

ولم يعد المنبر يحنها .

وكان القشون من اختصاصات أخرى ، وكنت أناكفهم وبخاصة
أولئك الذين يكرههم المعلمون لتعاليمهم . وكتب أحدهم عن تقريرا سينا
لأن كما قال أتعالى عليه .

كانت المراترة تظفر في حياتي معلما بالرغم من أنني حزت مكانة خاصة
بما كنت أكتبه وأتبعه .

وكنت قارئا نيبا لا أستقر على حال دون قراءة وكتابة . . . وكنت فائقة
مكتبة دار المعلمين كبيرة بالنسبة لي .

المكتبة الغنية بغير المطبوعات وفيها كتب مطبوعة في أورد با وقرأت أكثر
كتب المكتبة التي بدأت في تأسيسها لي بعقوبة .

وكانت دار المعلمين المعهد الذي فتح آفاقا على المعرفة والساع المجال
في عالم الكتب . وكانت هي الوحيدة التي عينت بيا وزارة المعارف حتى
أسست دار المعلمين العالية . . . وقد درس فيها أعلام الأساتذة وأصحاب
الفكر المرموقون الذين أصبحوا من كبار الأساتذة في الجامعة .

كان رد الفعل حقيقا في روعي لزاء مقابلة مدير المعارف الذي إدار لي
ظهري . ما العمل ؟ دخلت على كاتب الداتية واسمه أمين عيوش وهو رجل
كريم الأخلاق . وجلست في حجرته والألم يحرق روعي من سوء معاملة
مدير المعارف .

كان أمده كتاب فيه اللوائح والأنظمة التي تنظم الحياة الإدارية للموظفين في الدولة ، ووجدت إحدى المواد تقول ماعناه :

يجوز للموظف أن يأخذ إجازة دراسية بنصف راتب لمدة ستين .

انقضت وتغير حال من المزمع والكثير واليأس إلى الأمل والرضا . وكان السيد أمين يراقب حالتي فقال :

ماذا رأيت ؟

قرأت له ما قرأت .

قال إنها مادة ميتة وهي خاصة بالموظفين .

فقلت أليس المعلم موظفاً أم أنه درجة ثانية ؟

أحسن الرجل بما عثيت .

قلت له : لا يضرنا إن كتبنا (عريضة) لن نخسر غير الطابع والورقة والانتقال على الله . وكل ما أريد منك أن تلحق مدير المعارف بإرسال الطلب إلى بغداد .

وقد ربي الرجل بوعده وأرسل الطلب إلى بغداد . ولا سمح بعض المعلمين الطموحين بذلك كتبوا عرائضهم وأرسلت إلى بغداد أيضاً .

إنه أمل ضعيف ولكن لم يبق أمل غيري .

وذهبت إلى بغداد لتقابلة مدير الذاتية أو مدير التعليم الابتدائي، لا الخري، فرفض الطلب، وعدنا خاسرين متلّين .

وتشاء الصدق أن تسقط الوزارة، وما أكثر ما تسقط الوزارات في العراق ، وجاء وزير المعارف له صلة رحم في بطونة وكنا في العطلة الصيفية .

قلعنا إلى وزارة المعارف وكتبنا عريضة ووقعناها . وألحق أنني كتبت

العريضة وكان الزميل الدكتور أحمد نجم الدين يرددنا القصصها ويضحك .
ودخلنا على السكرتير .. وأخبرناه قصصنا وصلة الوزير بعقوبة ، فلم
يسمح لنا أن ندخل عليه ، وأجلسنا ، وأخذ العريضة بيده ودخل بها
عليه . فما أسرع ما خرج واتصل بالسؤول الذي طردنا وقال له بالحرف
الواحد :

(إن معالي الوزير يعطف على طلب هؤلاء المعلمين) . وأرسل العريضة
مع الفرائض لزيادة التأكيده على هذا المعطف الوزيري .

فرحب بنا ترحيباً حاراً وأجلسنا وأصدر الأمر الوزاري بمنح الجميع
إجازة دراسية إلى مصر .

سبحان الله! الرجل نفسه والمكان نفسه، فما أسرع ما يتغير هؤلاء ؟

والواقع أن معالي الوزير لم يكن بأبه لصلة الرحم في عقوبة إنما كان
رجلاً بعيد الفكر أراد أن يكسب الرأي العام ففتح كلية الحقوق على
مصاريعها، وقيل عدداً كبيراً من الطلاب، وتوافدت آيات الله عليه، وكلمات
المدح على أفعاله .

وهكذا العراقي ابن ساعته، يمتدح في ساعته، ويشتد في ساعة أخرى ،
يمزج أعمال الخير وتؤثر في مشاعره الرقيقة، ويثيره عمل الشر ، فيؤجج السخط
في قلبه . ويصدق الكثل (شيم للعبدى وخلا عبائه) .

هو مثل نهر دجلة صفاء ومثله ثورة ، ومثل النخيل حار حتى يكوئى ويأرد
حتى يتجمد . فعسى أن يدرس هذا الشعب دراسة نفسية واجتماعية . فإن
آرائى ، برغم محاولات المصادلة ، قد تصيب وقد لا تصيب مع واقع العراق
الاجتماعى والحضارى .

كبارك الشام

وصلت إلى الإسكندرية بعد سفرة طويلة توخيتها أن تكون رخيصة، وكانت سيارات تقطعها يوم من بغداد إلى الرطبة فلل أن الشامات قدمشق . ودمشق مدينة حلوة جميلة طيبة المناخ ومياه (الفيجة) باردة حلوة يحس الإنسان بحلاوتها وطيب مذاقها . وأهلها تجار بكل معنى التجارة، وهم أشد الناس حرصا على الماء وأسا ما في سورية رجال الكبارك عشوة وغلظة وطعما ورشوة. فالداعل إليها يلقى صنوفا متنوعة من الألبى في اللقابلة والمعاملة والحشوة. ومع حى لدمشق وإتارى لما حل بيروت فإن رجال الكبارك يلقون حجر عزة في سبل العودة إليها . . فإن فيها أصفك كراما من عيرة الأدباء والشعراء حيزتني من زيارتهم أعمال رجال الكبارك واللكوس في ثغور الشام عندما أريد زيارتها .

ولما كنت أذهب إلى أوروبا بسيارى ، كان يطيب في زيارة الأدباء والشعراء وأصحاب الفضل منهم. وأنا ذاهب إلى أوروبا وعائد منها أجمل طريقى على دمشق، ولكثمت في الآونة الأخيرة سمعت ضيائهم ومدوا أيديهم إلى الرشى . ففى إحدى سفراتى وأنا قادم من تركيا . . صرعت بدون وعى بوجههم فقد أرائوا إنزال حقائى وإدخالها للبى لفحصها. وقلت لهم: أنا مسافر عابر ولن أنام حتى في سفرى . . ولما ضالقت بى الخيل ركبت سيارتى وقلت لهم أنا عائد إلى بلاد الترك وإنكم لا تحترمون شعار (وحدة حرية اشتراكية) وسوف أكتب من تركيا إلى المسؤولين في دمشق عن سوء معاملتكم وإنكم لا تحترمون وزنا لشعار دولتكم .

وقد أحس رئيسهم بهدى قولى . . وحاول تبرير أعمال مساعديه . ومن ذلك اليوم وأنا أذهب إلى أوروبا عن طريق الموصل فالجزيرة وأدخل تركيا إلى أوروبا دون المرور بدمشق .

بقيت في الشام قليلا ثم أهدت (الباصر) إلى حيفا ومنها أخذت القطار إلى مصر مارا برفح .. كان القطار يسير خائفا مرتقبا فقد كانت فلسطين لتونا يلهب ..

كترم فلسطين :

ومن الطريف أنني أخرجت فلوس المحدودة ومعها جواز السفر من جيب في القطار ونسيت كيس النقود إلى جانبي فجاء رجل فلسطيني وقال : اتبه على فلوسك .. وكانت كل ما أملك في سفرى حتى أصل إلى مصر .. وقدمت له بعض النمر العراقي شاكرا لطفه ، فلما وصل إلى محطته عاد ومعك كمية من البرتقال اللطيف وهو يعتذر لي ويشكرني على النمر .

إن فلسطين هي الجرح الغائر في نفوس كل عربى . وكنت وأنا أمر بساتين البرتقال الزاهية الزاهرة وأرى ياراتها التي تسير على أسلوب علمى منظم أحس بالرخصا لأن لأول مرة أرى طريقة السقى بالرش الذاتي .. لجولت في حيفا الجميلة ولقائى أحد الإخوان هناك (عل آيب) وكانا نحن جارا أدخله في قلبي كما دخلت هذه المدينة ووطننا وجسمت كل معنى القهر والذل والخوان .

سافرت ولكن بقى قلبي في فلسطين يناجها بهرجاج الكلام والام الشعر . وفي الحدود المصرية في القنطرة تواجه كهوك مصر ورجلها كانوا كثيرى القمص والشعرى عن كل شيء يضايقون الناس مضايقة مؤلمة .

كان معى في السفرة من بعفوية الزميل محمود حسين وكان ذاهبا إلى القاهرة ولكنه تخلف . واحتريت بخطابه وقد وصلت معى إلى الشام .. فلما أصنع بها ؟ وشكلت على عبتا قليلا مع حقائى . أنا أعرف أنه لابد أن يأتى إلى القاهرة ، فتركت رسالة مع أصحاب السيارات أعبرهم بأن أبعدها معى .. والطريف أن الزميل كان قد جلب عددا من الهدايا من النمر لم أتبه لأخذها لأنى ما صعدت أن يأتى بصفيحة كاملة ، فكيف وقد

جلب أشياء لا تخطر على بالي . لم أخدعها معي واستولى عليها من استولى . . في الشام . وأنكروها عليه .

في الإسكندرية

أخذت قطار الإسكندرية مع هذا العدد الكبير من الخقالب . . وكان الزميل جاسم عبد الحسین قد سبق إلى الإسكندرية، فكان غير معين على تسهيل الصعب، وغير زميل ودليل سهل في الأمور وعرفني بالإسكندرية .

كان يسكن مع سيدة يونانية . . فسكنت مع فترة من الزمن في كاسب مزار وكان البيت على البحر . . ولاتسل عن ثورة البحر وهدير الأمواج وضرب الرياح في الشبايك . لم نكف مثل هذه المرحلة في الطبيعة في العراق .

وانطلقت إلى بيت الطلبة ، وهو مكان يوفر الطعام والخدمة، ولكن صخب الطلاب ولا أهلية المراقبين وصياحهم وركضهم وعربدتهم أدنى مرة أخرى .

فسالت الزملاء عن الحل . فاصبرت بأن هناك أسراً اجنبية تأخذ الطلاب معها وتؤجر لهم حجرة وتخدمهم . . فانتقلت للعيش مع أسرة يونانية، وكان معي طالب مصري يسكن في حجرة أخرى يدرس في أحد المعاهد المتوسطة . . لذلك كانت عناية الأسرة واحترامها منصتين على لأن طالب في الجامعة .

ذهبت إلى الإسكندرية وكانت الدراسة تركض ، فقد وصلتها في شهر شباط ١٩٤٦ ولم تبق أمانى غير عدة شهور للامتحان ، لأن الامتحان يكون في مايو . . وجدت المواد قد تراكمت والكتب والمراجع كثرت ووجدت نصاري في دروسي . . وطلعت النفس على العمل ، فما كنت أخرج من الحجرة أو المكتبة حتى أستطيع التحصيل ما حصله الطلاب . . ويمثل أمانى شيخ الرسوب ولوم اللاتمين . . ومن حسن الصدق أن الطلاب أضربوا

وعطلت الدراسة فكان ذلك عاملاً على راحتي النفسية. وأخلت المحاضرات من الزملاء إلى القدر وبدأت أتقاعها وأقرأ ألدولم بعد الطلاب من إصرارهم إلا وكنت قد نقلت كل المحاضرات .

اعتبرت علم الاجتماع والفلسفة فرعا لدرسي فيه . وكانت المشكلة أننا لم ندرس شيئا اسمه الفلسفة ، ولا نعرف أصولها وقواعدها والمصطلحات الفلسفية . فعدت إلى كتب الثانوية أستمع بها .

تعاوضت درس الفلسفة اليونانية مع اللغة التركية فهنا أصبح ؟ اعتبرت أن أحضر أكثر دروس التركية وحضر دروس الفلسفة اليونانية .

ولقد خيض لي أن أنجح فيها إلا الفلسفة اليونانية برغم جهودي وقراي، ولا مقر من الدور الثاني . .

ومن الطريف أن أحد الزملاء المصريين كان قد تختلف مثل في الفلسفة اليونانية. وقبل أن تدخل الامتحان بدأنا نستذكر المعلومات ونناقش الآراء شأن كل الطلاب لامتحان القابلية والمباحة والشعور بالتفوق .

سألني هذا الزميل . . عن النفس الإنسانية والفلاطون . فحدثته بكلامي وعباراتي عن الموضوع . . فنظر إلى وقال : بس . .

قلت : أجل .

قال : إسمع .

وأنا به بعيد ملكته أستاذ الفلسفة يوسف كرم بالنس دون أن ينسى حرفاً واحداً .

جرت وأتلى وأضعف قدرتي على دخول الامتحان، ولولا أنني أدخل الدور الثاني لتركنت الامتحان . . أحسست بالحبوط النفسي وضيق الحمة والخوف تتجول في روحي . . وأنا أخطو خطوتين إلى قاعة الامتحان . .

والغريب أن الامتحان كان من سؤالين أحدهما عن النفس الإنسانية ولم يكن أسمى غير الثبات .. فأجبت عن السؤال الأول وأخذت الطهانية تسرى في عروقي والحدود تنساب إلى مفاصل يدي حتى لاني أجبت عن السؤال الأول بما أُرغبت .. وبدأت أكتب في السؤال الثاني، فانسيت المعلومات وخلصت وأحسست بأن سيطرت على الامتحان وبينما أنا على ذلك الخروج سمعت صاحبي ينادي من خلفي:

طرفة الحفظ

استاذ يوسف .. ما أول النفس الإنسانية .. أرجوك ذكرني يا ولها . ١٩

قلت له يمس لا أعرف .. ويشهد الله لا أعرف أولها ولا أول فقره من الكتاب .

فرسب صاحبنا لأنه لم يكتب حرفاً واحداً .. وأصبح هذا الراسب من أصحاب الكلمة في مدينة الإسكندرية لأنه آخر للسؤال الأول .

وقد لاحظت أن كثرة الطلاب يحفظون المحاضرات بربتها حرفاً حرفاً ، ويرددون ما عليه عليهم الأسئلة سطراً سطراً ، ولهم قابلية كبيرة على الحفظ . وظهرت لي هذه الظاهرة بوضوح في أول حفل تعارف بين الطلاب الجدد والقدامى ..

فقد طلبوا من الطلاب أن يحضروا قصائدهم وكتيباتهم لإلقاءها في هذا الحفل ، وهو مناسبة جيدة تظهر فيها قابليات الطلاب الأدبية والخطابية ، ويحضر هذه الحلقة الأسئلة والعميد .

حضرت قصيدة أحسن فيها مصر وأهل مصر وأذكر سفرين من بغداد وعبور الصحراء . وجدت الطلاب كلهم يرتجلون الكليات والقصائد وأنا الوحيد الذي يحمل الورقة .. أحسست بالنقص والأسى من أولئك الذين يلقون الخطب ، وعللت تلاوة الشعر بالحفظ .. ولم تعد الموازنة النفسية إلى

كأن إلا بعد أن ألقى أحد الطلاب كلمة لتهيئة يرحب فيها بالطلاب
فصاح أحد الطلاب : أهد .

لم نألف في العراق كلمة أهد إلا في الشعر . . فاستغربت من (أهد) .
لهذا الطلاب يمد ما قاله كلمة كلمة وحرفاً حرفاً . . عندها تأكد لي أن
الطلاب لا يحفظون المحاضرات حفظ وإنما يحفظون عظيم . .

كانت ساعات كثيرة ، فإن الصحافة لم تذكر من القصائد غير قصيدتين
ومن الكلمات كلمة لأحدى الطالبات . . سررت أولي نسيات الرضا وبدايت
أول بقعة غير تسرى في روعي .

كلية الآداب

كانت الكلية بناية من بنايات الأسرة المالكة (طوسون) وكانت المكتبة
في قصره القاهر المزدان بالتياليل الرائعة والزخرفة الجميلة . فقد عشي
المسؤولون على القصر من الطلاب فأعدوه مكتبة عامة .

أما الكلية ومعها كلية التجارة فكانت في اسطبل القصر . فقد كان
كبيرا جدا وأضيف إليه بعض البنائات الضرورية كالطعم والمقصف
واقفلت الكلية من غرف الاسطبل قاعات للدراسة ، وكانت على تربة
المحمودية . .

كنت سكنت في كلب سوار . . وكان على أن أصرف أكثر من
ساعتين للوصول إلى الكلية . أخذ القرام إلى محطة الرمل ثم أخذ السيلوة
إلى محرم بك ثم أمتنى مرة أخرى . . ومن حسن الحظ لم تكن الدروس في
ساعات مبكرة باستثناء اللغة الفارسية التي استقبلتها ودرست التركية لأن
وقتها متأخر . .

ثم نقلت الكلية في السنة الثانية إلى بناية أخرى في الشاطي كانت
لستشفى إيطالي استولت عليه الدولة بعد أن خسرت إيطاليا الحرب .

وكانت بمثابة جبهة نظيفة أليفة .. إنها نقلة جبهة من الأسطبل إلى المستشفى .

إذا كانت المكتبة التي بدأت في تكوينها في بعضية ودار المعلمين قد فتحتا قابليتي على الدراسة وحب المطالعة ، وفقدتني كل منها بجانب فكري وأدبي واستغدت من المعلومات العامة عن الكتاب والشعراء والمؤلفين ، فإن جامعة الإسكندرية بأساتذتها رحم الله من مات منهم وأذكر الأساتذة محمد خلف الله أحمد وعبد طه الحلجيري وعبد حسين وحسن عون قد ملأوا نفسي بالثقافة وأحروا في روسي الاعتزاز بالعلم والفهم بما درسوه من علم جديد وفكر نقدي متميز وخلق روح الدراسة والناقشة في نفوسنا . فقد كنت أحس بحلولها للحاضرات ومعة الدراسة ولذة التبع والكتابة ، فقد كانوا عوناً كبيراً في إثبات ذاك الأدبية وقدرى الشعرية .

وأحمد الله أنني لم انقطع عنهم روحياً ، فقد كنت واثق العلاقة بكل منهم ، وأعديت كتبي لهم اعتزازاً بفضلهم واعتزازاً بفضلهم على .

كانت كلية الآداب تجري احتفالات سنوية ترحب بالجدد وتودع القدامى . وكانت فرصة جبهة لإظهار براعة الطلاب في هذين الحقلين إضافة إلى احتفالات الأقسام في ندوات علمية .. ومسرحيات وتشكيلات وفي أغان يرتلها الطلاب أو الطالبات لإبراز مواهبهم أو مواهبهن . كان أكثر شعر الطلاب من الغزل يمثل حرام الشباب وتداء الطبيعة .

أول قصيد في الجامعة

وفي الحفلات السنوية كانت القصائد تعرض على رئيس القسم لاعتبار الجيد منها بعد أن تجمع عنده . ومنها يختار قصيدة لتلقى مثل القسم في حفل الكلية السنوي .

كنا حشداً من الطلاب ، وكل واحد منا جليب قصيدة ونسعى أن يكون هو الفائز بالقائها .. وكنت أحس بأن غريب بين الطلاب لاختلاف في

اللهجة والصحية والمكان .. قد كنت قصيدتي وجلست بعيدا ، فكان
رئيس القسم ينادي على أصحاب القصائد لتلاوة جزء منها ..

جاء ثوري وكان امتحانا صعبا على إياها أول مرة في حياتي لأعمل في
منافسة أدبية . وكان عدد من الطلاب يجلسون في حجرة رئيس القسم
الكبيرة ، فدخلت والحياء يغليني والحجل يسيطر على .. ولم تطاوعني نفسي
بإدائه بدء في الإلقاء . وأحس الأستاذ محمد خلف الله بما يشمل في نفسي
وبدا يدايعني . ولما أطمأنت نفسي وهدأت لمرات أليانا من قصيدة (النيل)
أولها :

لا تسألني عن جمال السكون وعن ربيع الأسفل الحالم
قد انمشت في ظلال القنون نفحة طيب من شذا هائم
قد صالحت العطر ريق النعشون فاحتضنت بالوسم الباسم

رأيت وجه الأستاذ يهمل ويتصمت بكل مشاعره وقلبه ويتسم ابتسامة
حلوة عذبة وكأنه اكتشف شيئا جديدا .. ولم يهالك نفسه فقال : أحسنت
عندما أكملت المقطع الأول .. وقال : كفى ..

رتجعت أن تكون جميلة أستاذ للتلميذ .. فقد كان يسمع مقطعا
واحداً من كل قصيدة ..

والفتت إلى الطلاب وقال : انتهى الاختبار .. تفضلوا بالخروج
وأتركوا قصائدكم عندي ..

ولما خرج الطلاب وكنت معهم ناداني وقال : انظر ولا تذهب .
اجلس . ولما جلست قال : إنك الذي سوف تلقى قصيدتك في الحفل ..

كانت الفرحة كبيرة .. لم أكن أصداقها . فقد كان الحرف في قرارة

فليس لأنى لم أكن مصريا وحسب أن يكون الشاعر من الطلاب المصريين وحدهم .

كنت دائم الحركة والنشاط . فقد شجعت الكلية قاهليى الأدبية والفكرية . ولما نظمت الكلية موسمها الثقلانى كنت الطالب الوحيد الذى تلقى محاضرة عن الأدب العربى فى العراق مع أساتذة الكلية ولجنة الرأى والأدب .

وشركت فى مواسم الشعر لنتيجة ، وكان الشعراء والكتاب كرام النفس . فكنت أدعى إلى اللقاءات الأدبية والفكرية . . . ولعل أول طالب تلقى محاضرة عامة فى تانى الكتاب ، وكانت فرحتى كبيرة عندما ذكرت خبر المحاضرة جريدة الأهرام . .

ازدادت ثقتى بنفسى ، وزادت حركتى ونشاطى فى الكلية لأنها لم تكن تقف أمام قاهليى الأدبية ، ولم تكن تفرق بين الطلاب سواء أكانوا من مصر أم من غيرها .

أردت أن أنشر شيئا من شعرى فى الجرائد وكان فى القسم الشاعر كمال نشأت وهو من خيرة الشعراء ولما فى الشعر والخلق . وكان الشاعر يؤثرون بقصائده ويسمعى أياها فأسس بالعمادة التى يعالها الشاعر ولاسيما وقد كنت أعرف الزميلات اللواتى ينظم فیهن الشاعر شعره . وصرحت له برغبتي فى نشر شعرى فقال :

فى (الزمان) صفحة أدبية يحررها ويشرف عليها الشاعر الكبير محمد الأسمر ، فأرسل له قصيدة من شعرك فقد يفتار منها بيتين أو أربعة أبيات لأن ما بهله كثير . وأراد بذلك أن يدخل الاطمئنان إلى نفسى . . أرسلت أول قصيدة كنت ألقيتها فى الكلية بعنوان (شهن) منها

شهر وما أحلاه من شهر كأنه البسة في الشعر
قد مر بين الحب والطهر مثل الثلي الفواح في الزهر
أواه هل تنفع أواه؟ خافق نفسيه بلواه
من لفحات الوجد أشلاه ضلك العقل وأخلاه
وكانت الجنة مأواه ومن ريف الحسن نجواه
أجاب لما العقل نلاه كم عطف في الوجد أشلاه

وقلت للشاعر كمال إن نشر مقطع واحد فسوف أكون سعيداً لأن
صفحة الألب كانت مقرومة من أسئلة الكلية والشعراء والكتاب .

كنت أترقب الجريدة بفارغ الصبر ، وكانت الحية تؤذي . وما كنت
أدري بأن الصفحة أسبوعية . ولا يست من عدم نشرها لم أجد أرقب
صورتها ..

وفي الصباح قابلني أحد الأساتذة وعلى وجهه علامة الرضا والبهمة
فقال لي : مبروك يا يوسف .

قرأ علامة الدعة على وجهي .

فقال : ألم تقرأ الجريدة .

أيه جريدة ؟

جريدة الزمان قفيها قصيدتك الطويلة ، وأكد على كلمة الطويلة .
أكتسحتني موجة عارمة من السعادة ما شعرت بها من قبل . فقد نشرت
في جرائد العراق عددا كبيرا من قصائدي لكن لم أشعر بمثل هذا الشعور
المتع الجميل .

لعل أسلوب الأستاذ اللطيف وعلامة الإعجاب التي أظهرها لي هي
التي نشرت المتعة والسعادة في روحي .

هاتان شهادتان الأولى من رئيس القسم والثانية من الشاعر محمد

الأسمر . هرولت مسرعا لأقرأ القصيدة ، فوجدتها منشورة برمتها ولم ينشر غيرها في الصفحة . كانت هذه القصيدة سببا في ظهور اسمي . فقد أخذ بعض الطلاب والطالبات يحفظونها ويحفظون ما أُنشِر . وليس هناك سعادة تعدلها سعادة وشهادة على جودة الشعر من حفظه من أناس لا تعرفهم .

ومن الطريف أن كلية الآداب بجامعة القاهرة زارت كليتنا واجتمع الطلاب في حفلة شاي يرحبون بزملائهم ويدات الكليات بكلمة استأذنتها الدكتور محمد حسين (رحمه الله) وبعد أن انتهى من كلمته خرجت بقوله :

سيرحب الطالب يوسف عز الدين باسم الطلاب بإخوانه طلاب كلية الآداب بجامعة القاهرة . إنها مفاجأة لم أعتد على مثلها من قبل ، وفي اجتماعات عامة . . لم أكن قاترا على الأرتجال كإخواني المصريين الذين يملكون مقدرة كبيرة في الحديث ، ولها يلجأهم العرب في هذا الدور .

كانت النصبة بعيدة عني فقد كنت أجلس في أواخر الصفوف . وبينما كنت أعطو يهدوء وحيرة تذكرت قصيدة (شهر) التي نشرت في الزمان . .

ولما وصلت أمام مكبر الصوت وصعدت على المنصة قلت ما معناه :
بعد مقولة أستأذن لا يمكن أن أقول شيئا فقد قطع لسان كل خطيب
بعد بحسن عبارته وجمل ترحيه . . . والتفت إلى الحاضرين وقلت
ما رأيكم في أن ألقى عليكم قصيدة ؟

فصاح الحاضرون : نعم نعم ، ونعال التصفيق .

وتلوت البيت الأول وما انتهيت من صدره حتى سمعت الطلاب يكملون البيت . . الحق كنت بين أمرين جملون : هذا الفتاف الحلو وإكمال القصيدة . فأتينا أقول الصدر وهناك من يروى العجز .

بين الفرحه والتجمل والخوف والرهبة واللذة والسعادة قلت لهم :

هنا من لم يقرأ القصيدة أو يسمع بها - هل يسمح الحفاظ الأكاديم

بان أسمع من لم يسمع أو بان أحدكم ليقرأها عوضاً عني . . فصرخ أحد
الحاضرين :
من فمك أهل .

أقولها للحقيقة والتاريخ إن جامعة الإسكندرية لم تكن تفرق بين
الطلاب . الطالب يأخذ مكانه ، وما أحسست بالفرقة طوال حياتي
الجامعية . فقد كان الأستاذ عبد الحميد العباسي (ر) يرسل في طلب
ويتدبني لأمثل الكلية في المناسبات التي تحتاج إلى طلاب عن الكلية . قلت
له مرة : أما ترى إرسال طالب مصري يمثل الكلية أحسن مني ؟ قال بركة
ولطف :

أنت الآن طالب في كلية الآداب ، وأنت خير طلابنا ، ونحن نخطر
البحر ليمثل الكلية . . ولايمتا من أي مكان جاء مادام طالباً جيداً .

فتحت مصر عيني على أشياء كثيرة كنت أجهلها . فالاجتمع مفتوح
رحب الصدر بعيد عن القبيلة والإقليمية والبلدية . . فقد سبقت العالم
العرب حضارياً وفيها عاش مختلف الأمم والشعوب . وفي الإسكندرية
أخلط من شعوب العالم كله . وقد اختلطت هذه الشعوب في حياة مصر
وكونت حضارتها وأدبرت تجارتها وصناعتها وعلومها وفنونها .

كنت سيهوراً بحياة الإسكندرية وسحرها الرائعة والخلط الطلاب
بالتاليات ومناقشة الطلاب والطالبات في المسرات التي تشغل الجميع .
فالطالبة تجلس مع الطلاب وتقرأ وتكتب من أساء إلى هذه الحرية أو غشش
الحرية . وكانت تتم زيجات بين الطلاب والتاليات . والبنات أكثر صلة
بالتالب وأكثر دماً والتصالاً وتتخذ من السؤال والمناقشة سبيلاً للتعرف
ومن استمارة المحاضرات سبيلاً للرد والافتق والصدقة . . وكان الطالب
يعمل العمل نفسه عندما تعجبه الطالبة .

والمرأة أقوى من الرجل في مصر شخصية وسلطة ، ولعلها حادثة قديمة جاءت من الفراعنة واليهود . فالمرأة كانت تحكم وحصلت ملكة في مصر . ثم إن اليهود يخلعون المهور من النساء (مودة) وكذلك النصارى ، فانتشرت هذه العادة بين المسلمين لأن بنت اليهود والنصارى والأجنب عامة تتزوج بسرعة .

ويتزوج المصري السيلة التي تزيد مالا وجاعا وسكانة وعليا وشهادة ، ويخسر بهذا الأمر ، ويروا شيئا طيبعا ، ولا ترى المرأة في ذلك ضيرا . ولكن هذا يجرى في فقدان الرجل لسيطرته على المرأة . فهل هي الحضارة ؟ أم الحياة العامة ؟ أم التقاليد في المدن الكبيرة فقط ؟ .

والعراقي قلما يتزوج من هي أكثر منه مالا وجاعا وسطوة لأنه يحس بأن رجوله تنقص وشخصيته تضع . . وكان من نتائج ذلك قلة الطلاق في العراق لأنه بعد نشيئه للمرأة بينا أبجد الطلاق أكثر في مصر . . ولعل الأمر الآن يختلف في البلدان لتغير الحياة الاجتماعية ووجود الضمان الاقتصادي عند المرأة في العراق .

جمعية الشبيبة العربية :

الإحساس العربي مفقود عند أهل مصر لأنهم نشأوا نشأة إنسانية واسعة بل أمة . . فالتفرد راحة واسعة ، يشاركون شعوب الأرض حياتهم وقل اختلاطهم بالشعوب العربية المجاورة . فهم لا يعرفون الاقطار العربية .

ولقد كنا نحن جميع العرب نسمي بالشرقيين سواء كنا عربا أم أترابا . فلما أشاروا إلينا قالوا : إخواننا الشرقيون . جاعوا أو ذعبروا . وإذا أراموا التحديد قالوا : إخواننا من بر الشام .

ما كان المصري يعرف إنعوانه أو يفرق بين العراقي والإيراني والتركي . نشأنا نحن على حب مصر ، وكنا نعرف كتابها وقادتها وأحزابها ومجالاتها وجرائدها .

ولعل العراق فيهم الوفدي والسعدي الذي يدافع عن حربه حتى قتل فيه محمد باقر الشيبسي :

وأما هوى قلبي فللتلذذ والوفد

وقلنا نجد كتاباً أو شاعراً في العراق لا يذكر مصر وجرائدها ومجالاتها . كانت الرسالة والرواية والحلّال والقتطع والتفلق وغيرها من الصحف والمجلات تصل تباعاً فتعجب بطة حسين والعتدة وزكي مبارك كإعجابنا بشعراء العراق والوطن العربي وكتابهم .

كانت طرق التمثيل تصل إلى العالم العربي ومثلت أكثر من فرقة في بعقوبة على مسارح بدائية . وصلها يوسف وهبي و (شرقناطخ) ووصل الكتاب الكبار إلى بغداد والفرق المصرية الكبيرة مثل أم كلثوم التي استغنى بها الشعراء والكتاب كالرحباني والزهاوي ومع هذه المعلومات الكثيرة التي حملتها معي من العراق وجدت من يقول إننا شرقيون أو من بر الشام . ولعل قاصدة الظهر الحادثة التالية .

كنت ألعب وأنا في السنة الأولى إلى المطعم لتناول الغذاء ، وكنت مفتونا بحزب الوفد لأنه حزب شعبي ، فقرأ جريدة المصري لسان حاله كل صباح . فسمعت أحد الزملاء يصرخ ورائي أستاذ يوسف ، استأذ يوسف . فالتفت فوجدت بيده جريدة المصري وهو يقول بصوت مرتفع :

ثورة في بلدكم .

وهو يشير إلى مقال في جريدة المصري .

وقفت حتى وصل إلى ومازالت الجريدة مفتوحة بيده على الخال :

ماذا رأيت ؟ كانت مده :- غريبة هزت أعصابي وأخلي قلبي فقد كان
الصورة ثورة في الأفق
تصوروا طلابي في كلية الآداب لا يعرف العراق ، ولا يعرف شيئا اسمه
الوطن العربي .

هدت الحسرة روعي وزادت الألم عتدي لأن الطلاب لا يعرفون العراق
ولا يعرفون بين الشرق والغرب . . إنهم متعلقون على أنفسهم . فمصر هي
الدنيا ، وهي مركز الحضارة ، وهي رائدة الفضل لأنهم لم يتعلموا غيرها في
مدارسهم . وكانت السلطات تذكره أن تتسع أفاق الطالب المصري إلى
خارج حدوده التي رسموها له .

هذا الإحساس الذي ضايقني كثيرا شكوت منه إلى أستاذي محمد خلف
الله رئيس القسم ومن ثم عميد الكلية . . وكان عربي التجار كريم الأصل
يعتبر بعرويته وأصله وما كنت أعرف هذا الإحساس الذي يملكه أستاذي . .
قال : ما تقترح ؟

قلت : تشكل جمعية أو رابطة هدفها الأول نشر الوعي العربي بين
الطلاب .

قال إنها فكرة جميلة وأنا موافق عليها . اجعل ذلك على بركة الله . .
كان الدكتور محمد حسن الزيات قد عاد من جامعته وعين مدرسا في
الكلية . . كان الزيات نشطا فحدثته بالأمر كما حدثت أستاذي الذي طلب
أن يكون المشرف عليها من أعضاء هيئة التدريس ، فوافقت الفكرة له
وكانت له تجارب يمثل هذه الجمعيات في جامعته ، وأخذ يحدثني عنها وعن
نشاطها . .

ووضعت لها نظاما وعرضته على أستاذي والمشراف فوافقا على أن أبدأ
العمل . . وبدأت أتصل بالعرب بالدرجة الأولى في الكلية والعراقيين
بالدرجة الثانية فوجدت ترحيبا وتشجيعا كبيرا كما اتصلت بالأساتذة . . ولما

اكتملت الفكرة دعوت إلى انتخاب هيئة إدارية بعد أن وضعت مشاركة
ومزية طبع منشورات الجمعية ومطابقا الدعوة ونظامها الداخلي ..
ووجدت من اللياقة أن يكون أحد الطلاب الذين سبقونا في الدراسة رئيسها
وأكون أنا الأمين للجمعية لأحافظ على نظامها ونشاطها ، وبالفعل
ماضت .

نظمت عدة سفرات خارج الإسكندرية وإلى مصايفها وأهم معانها ،
وكان العرب والمصريون يعقبون أواخر النود في هذه السفرات . فبينهم
المصري والسوداني والسوري . وكنت أدهم من الكليات الأخرى من يريد
المشاركة في النشاط من العرب ، وأسعدني بأن جميع طلاب العراق انضموا
إليها .

وعقدنا الاجتماع الأول ونظمت عطفي باعتبار أقدمنا في الكلية حسب
ماعتمدت له ، وكان الرجل عيا للظهور لا يصدق في أموره حتى تخرج وقد
تولى إلى رحمه الله .

وشرفت بالرياسة .. وفكرت في إصدار مجلة على نطاق الجامعة .
واخبرت أعضاء هيئة التحرير من جميع الأنظار العربية ومن مختلف
الكليات . وأرشدت إصدار العدد الأول . واتصلت بقناصل الدول العربية
في الإسكندرية: السوري والعراقي ورجوهم أن يتحدث كل واحد منهم عن
قطره . ونجحت الفكرة وأصبحت كلية الآداب بؤرة للجمع وطلبت من
أحد الطلاب عر كان سودانيه أن يرسم لي خارطة الوطن العربي من المحيط إلى
المحيط وجعلتها شعارا للجمعية .

كانت مفاجأة لم تكن في الحسبان ، فقد ظهر الوطن العربي على نظام
الجمعية الداخلي ، وما كان أحد يفكر في هذا من قبل .

بدأت في إعداد العدد الأول ، وكانت عندي مواد جاهزة من

المحاضرات التي أقيمت في جمعية الشبيبة العربية . وكان أول المتحدثين
قنصل العراق ، وكانت attendance ١٩٤٨ هي موضوع الساعة وذكر أحداثها
وتحدث عما قامت به الدولة . ولكن الثورة كان قد قضى عليها وجاء إلى
الحكم من يند بها ، وكنت أسهمت بتقصيدة قديمة منها :

لقد يفتد عسري لائبال بعدو أفتابه في الحنود
أرفى الرأس شاتحا بالصلال واكتفى الخلد في جبين الخلود

ومنها :

أبي عهد يهمل فيه شقاء قد ينوء بالظلم والتكيد

كنت قرأت للمحاضرة وحلقت الأشياء البعيدة عن الأحكام العلمية
وصطلها صياغة ثلاثم البحث المنجود عن العراق . . وافقت مع مطبعة في
الإسكندرية وسلمتها السودات كاملة ، وافقت معها على أن أصبح
للسودات . ولما ذهبت في الموعد قيل لي إن المحافظ أرسل في طلب
السودات .

لم تكن هناك مراقبة ، فعجبت للأمر . لم يكن أملك إلا الذهاب إلى
المحافظ ولا أريد أن أصف ماكانت من بيروقراطية وشقة طويقة وضباب
للوقت حتى أقابل المحافظ . وقد كان الرجل كريم الخلق رجب بن ترحيا
شديدا وجلسا نتحدث عن سبب سحب السودات .

قال : إن القنصل العراقي اتصل بي ورجاني أن أسحب السودات من
المطبعة . عجبت منه ، وكان حريا به أن يسألني أنا لا المحافظ في الأمر .
وأخبره بأنه يريد أن يعيد النظر في المقالة وقال لي أرجوك أن تأخذ توقيعه على
كل صفحة ولن أسمح بنشرها إلا إذا ختمها ووقع عليها .
قلت : وفيه المواد ؟

قال : ليس لي اعتراض عليها .

أعدت المقالات إلى الطبيعة لاستئناف الطبع وذهبت إلى القنصلية ولما قرأها القنصل دعش لأنني أعددت المقالة إعداداً بعيداً عن مدح الأشخاص أو الهجوم على الآخرين . . وما أسرع ما عثم الأوراق ووقعها واعتبر اعتراضاً شديداً وأحس بالغلظة الكبيرة التي قام بها .

أصبحتا صديقين بعد ذلك . . وأعداني ديوان الكاظمي الجزء الثاني الذي أخرجه لأنه زوج رباب الكاظمي . . أنه حكمت الجاهلوني (رحمه الله) وكتبت مقالة عن الديوان نشرت في إحدى مجلات مصر ، وأعدت نشرها في كتاب (في الأدب العربي الحديث - بحوث ومقالات نقدية) . كانت المشكلة كيف أقبل المحافظ مرة أخرى لأن الرجل أصر على رؤية المقالة بعد توقيعها وبحثها بخاتم القنصلية .

بقيت منتظراً في العمر أكثر من ثلاث ساعات ، فقد أخبرني السكرتير بأنه مشغول ، ولم أتمكن من مقابلته إلا بعد إلحاح . . ولما رأها وافق على النشر ، ثم رجاني لإيقاف إصدارها . .

ما كنت بحاجة إلى النصيحة فالشاق التي كابدتها تكفي لإيقاف التطور السريع - لا - لإصدار مجلة مدرسية متواضعة .

إن توزيع المجلة مشكلة كبيرة والصرف عليها مشكلة أخرى ، وقد تم تعاون الجميع على التوزيع والصرف على المجلة . وأقسمت بعدها ألا أصدر مطبوعات في مصر .

أنهت الدراسة ووقفت في الحضور على الإجازة . . ونويت العودة إلى بغداد . فجمعت أوراق الجمعية وأبحاثها ومنشوراتها وأودعتها لدى أحد الزملاء وخطته سوف يستمر في النشاط العلمي والأدبي ، ولكنه للأسف

الشديد لوقف الجمعية وأهل لورائها وأحضانها وأعداد المجلة ومجلس
الجلسات وقائمة أسماء المشاركين الكرام .

العودة إلى بغداد :

وقيل أن أترك الإسكندرية بدأت أمر على جميع الطرقات من محطة
الرمل إلى محرم بك وكان أودع صديقا عزيزا ، وتلك حلق عندما أحب
بلدا أودعه كما أودع الصديق العزيز باستثناء بلد واحد لم أودعه في حياتي لأنه
لا يعرف قيمة نفسه ولا قيمة الناس ولم يترك في نفسي أثرا حسنا . ودعته
وبريت سبعة أحجار عليه . . بعد أن فقد كل إنسانية لأنه لا يملك من بيني
أدم إلا شكله وسأوريه .

وقد ودعني الصحب تودعنا حلرا جيلا ما زالت أذكره حتى هذا
اليوم . .

كانت عوقى بطريق البحر . فقد كانت الكتب التي اشتريتها كثيرا
وربعتها في صندوق كبير من الخشب . كانت الرفاعة ترفعه إلى الباغرا ،
وأنا أأمل الصندوق خوفا من أن ينكسر . .

ولا وصلت بيروت كانت الرفاعة تعيد الصندوق ، ولكن قبل أن يصل
إلى الأرض سقطت الكتب وتبددت على الرصيف فكانت ساعة حزن لي .
وما أسرع ما أعطيت أحد الخيالن مبلغا من المال فحطب المسامير والمطرقة
وأعاد الشحنة كما كانت ولم يتركها حتى أخذ منها كتابا دون أن يكون ملما
بالفراحة أو الكتلية، وهذه عادة حال الكبارك يربح شيئا فوق أجرته . .

وصلت بغداد عن طريق الرطبة لأنها أرخص طريق للعودة . . كانت
فرحتي بالعودة إلى أهل غير شهانة لي وأهل هدية وأحسنت فرحة التصرف في
ميراثهم والسعادة في وجودهم .

والغريب أن أحد الزملاء كان قد جالس وأنا أحد نفسي للسفر وقال لي :

أنت مجنون تريد السفر إلى مصر !!

استغربت من قوله وقلت : لماذا ؟

قال إن راتبك سوف يكون بعد مدة بقدر راتب حامل الليسانس .
أنت تصرف أربع سنوات من عمرك في الكد والدراسة والتعب وإلى خلال
هذه الفترة يكون الزملاء قد سبقوك إلى الترفيع .

ما كان الزميل الكريم يدري بما أعانيه من شعور فاضل وإحساس
نفسى، وأظنه لا يحس هو بذلك وإلا ما قال لي قبل سفرى هذا القول الذى
يُبطِط الحمة ويثقل من العزيمة . والغريب أنه قال كيف تعيش بنصف الراتب
الذى تأخذونه وأنت بجوار حراسيا ، ومصر طالبة والحاج إلى كتب ومسكن وأكل
وشرب وأجور مدرسية .

أحسست بخور في عزيمة السفر ووضف في الرغبة وهذا للحيل
العلمى . وبعد ما كنت أروى طبيباً من مصر عاش في بطفوية وقامت
بينى وبينه صداقة فهو طبيب حلو اللسان جميل المعشر . فالتحته في الأمر
وبخاصة قضية الغلاء في مصر قال :

إن أقل من نصف راتبك يأخذه للمعد في الكلية . كيف يعيش وقد
تكون له أسرة ؟ اذهب ولا تتوان ، فهناك من يحصل لك لأنه لا يقدر على
ما نقوم به من عمل وجهد وثقة بالنفس .

دارت كل هذه الحوادث أمامى وصاحبى الذى أراد أن يبطِط عزيمتى
بصافحتى ويثقل من التهانى على عبور الشقات والصعاب وحصولى على
الليسانس بشرف

هل أذكره بما قال ؟

ليس من عادتي إلقاء الناس

عدت إلى بعقوبة وقد تغيرت النظرة إلى ويندلت وجوه كانت ترتفع عندما كانت تتحدث معي . . وسلبت عبارات جماعة كانت ترى في المعلم غير ماثراء في المدرس وحامل القبلات . . . وكنت الجرائد ذكرت أسماء الذين تخرجوا ، وكنت منهم وأمام اسمي كلمة (شرف) فكان صدى هذا التخرج كبيراً في بعقوبة إذ كانت سمعة مصر ترون في النفوس والقلوب ، وكان للتخرج منها يعيش في حالة من التقدير والاحترام لأنها كانت كالمختل لا يخرج منها إلا الدقيق الناعم المفيد، وقلما ثمر الأحجار من هذا المختل الدقيق . كانت لحاسب الطلاب والحرص على سمعتها كل الحرص إضافة إلى أن الخريجون لم يكن عندهم إلا محدودة من دار المعلمين العالية . .

سجلت مباشرة معلماً في مدرسة بعقوبة الابتدائية ، ورجعت المدير أن أخذ بعض الدروس حتى لا أبقي بلا عمل . . إل أن يتم تعييني في مكان آخر . وكان مدير المعارف الأستاذ رفيع حلي من أكرم الناس خلقاً وأدباً وقد كانت تربطني صلة به من قبل أن أسافر . . بقيت في بعقوبة لا أراجع وزارة المعارف التي وصلتها النتائج حتى ارتحت ألياً من عناء السفر وإرهاق الدراسة .

ذهبت إلى بغداد لمقابلة المدير العام وكانت ألسني مفاجلة لم أعرفها فقد طلب مني أن أذهب مديراً لمدرسة الحى الثانوية . .

قلت له إن جئت بعد أن سجلت في المايستير والحى مدينة بعيدة ولا يمكن أن أستفيد من مكتبات بغداد .

قال : إن خرجاتك عالية ولا بد أن تحصل على الكفاية المناسبة .

فلما رآني رافضياً قال : اذهب إلى متوسطة الفلوجة مديراً ، وهي قرية من بغداد . . أحسست بأن المدير العام يريد أن يسد فراغاً أو يرضي

مسؤولاً في هذا الصنيع . كنت أريد أن أعيّن في بغداد مدرسة في أية مدرسة ثانوية أو متوسطة حتى أستمّر في تحضير الماجستير . عدت إلى بعقوبة بعد أن يش المدير العام من إقناعي وحثت من إقناعه .

عدت إلى بعقوبة ثانية ، وواليت العمل في المدرسة الابتدائية . . ولم يكن الأمر طبعاً في تلك الأونة . إن خرج مصر وبدرجة الشرف يدرس في الابتدائية . وبدأ القال والقليل بين المعلمين أنفسهم . وبدأت المدرسة الأولى تطلب أن أدرس فيها مادّة فُهِت التدريس في المدرسة الابتدائية الثانية . وكان مدير المعارف ينظر نظرة بعيدة ويرفض مثل هذه الطلبات دون أن يفاقمي أو يضغط علي . . وبعد أن هدأت الأمور ذهبت إلى بغداد وقابلت مدير المعارف العام فقال :

وجدت لك مكاناً في بغداد

قلت : على الأخير موافق . وجلست معه وطلب ثمراً إدارياً كان قد وزع فيه دروس دار المعلميات الابتدائية على محاضرين من كلية التربية ، وطلب من المسؤول أن أعيّن في دار المعلميات مع إيقاف الأمر الإداري المذكور . . قلت : دار المعلميات ؟

قال : لم تتعجب ؟ إنها خيرة المدارس . وهؤلاء مدرسون في التعليم العالي يلقون فيها محاضرات . . وليس هناك مكان شاغر لتدريس العربية في جميع ثانويات بغداد . . قال : سوف أوقف إصدار أمرك حتى تفكر جدّاً . . وكان رحمه الله لطيفاً رقيق الخلق . عدت إلى بعقوبة إلى عمل ولا حتى نزع العمل الآن فالتراتب زاد زيادة كبيرة ومكانتي ارتفعت وأحسست بوجوهي .

كنت أذهب إلى الأستاذ رفيق حلمي بين أوتة وأخرى وأجلس معه وأحدثني أخباره التاريخية الكثيرة . جاء السيد خورشيد سعيد لقضاء بعض الأمور الرسمية ، ولم يكن الرجل قد تعرف علي . ولما تعرّفنا قال له مدير

المعارف : تطلب إلى الأستاذ يوسف عز الدين أن يعين في دار المعارف
لرخص ..

فقال الرجل : لماذا لا تآلى إلى دار المعلمين الابتدائية وقد أسست صفها
الأول بعدة فروع وأنا أشرف عليها وعلى دار المعلمين الرشفة ويمكن أن
تأخذ دروسك في الصف السادس .. وقد تستفيد منك ثانوية بعقوبة
أيضا .. قلت: على بركة الله فأنا أحتاج هذه السنة أن أسفر مائاً وروحياً
في بلدى وهى ليست بعيدة عن بغداد ويمكن أن أستفيد من مكتباتها
أيضا .. قال مدير دار المعلمين: أنا مسافر إلى بغداد بسيارة الدار هل تذهب
معاً إلى وزارة المعارف ؟ قلت: على بركة الله .

لما دخلت على المدير العام فرح فرحاً شديداً بحضورى ولم أعرف سر
هذا الفرح إلا بعد أن علمت بأن الوزير سأل عنى لأنه وجد كل المتخرجين
من مصر قد عثوا وأنا لم أعين ، وكان قد أوصى بأن أعين في المكان المناسب
لأنى من المتقدمين في الدرجات .

قال : هل تذهب إلى دار المعارف ؟ قلت: الدار للمعلمين في بعقوبة ..
قال : على شرط أن تكتب ورقة تقول فيها بأن التعيين تم بناء على
رغبتك .. لأن الوزير ولجنة التعيينات العليا اشترطا أن تعين في مكان
مناسب .. قلت : موافق . وكنت له حاراً ..

أمر بإصدار الأمر الإدارى حالاً .. ولما جاء الأمر الإدارى لكى يوقع
نظر إلى بدعشة واستغراب .. وقال: أنت معلم جهاز إجازة دراسية .. قلت:
كنت جهازاً والآن أنا معلم في بعقوبة .. قال : وتداول في الطرسة ؟
قلت : وعلى هناك من خبر ؟

قال : كل هذا وأنا لا أعرف أنك جهاز وأنت تدلوم ؟ لو كنت أعرف
تلك لأصدرت الأمر دون أن تكدرى ولعيتك في دار المعارف وأنبئت الأمر

كنت ذكياً قبل بركة الله .

قلت : لم تسألني ولم تتحدث عن الموضوع ..

في دار المعلمين في بعقوبة :

كانت دار المعلمين الريفية في بعقوبة بسطة صفوف يقبل بها ابن الريف والقرية لتخريج معلمين يعرفون حياة القرية ويدرسون الوسائل التي ترفع من مستواهم إضافة إلى أن بعض المعلمين يرفضون الذهاب إلى القرى والأرياف إذ ليس فيها وسائل الراحة من ماء صحي أو كهرباء ولا حياة اجتماعية إضافة إلى أن شيوخ القبائل كانوا ضد تعليم ابن القرية لأن الشيخ يظن بأن تعليم القروي سوف يخرجهم عن طاعته ويفتح ذعته على العالم .

وكان المعلمون يلاقون مشقة كبيرة في الاستمرار في التعليم ، فكانت بيوتهم تسرق ويحرقون أثناء الليل وأطراف النهار يأمر من شيخ المنطقة أو القبيلة . فاقترح إنشاء الدار حتى يعود أبناء الريف إلى قراهم وهم أمهر الناس بالمحيط والبيئة . وقد وفرت الدولة هؤلاء الطلاب السكن والطعام والشراب والكتب والملابس خلال عراستهم وإلى تخرجهم من المدرسة الابتدائية إذ لم تكن المدارس المتوسطة أو الثانوية إلا في حدود ضيقة وكانت آخر هذه المؤسسات في بعقوبة إذ بدلت بالتدرج إلى دار المعلمين الابتدائية بعد أن توفر عدد من طلاب المتوسطة وكثر المخرجون من هذه الدار التي كانت الوزارة تعنى بها عناية كبيرة منذ تأسيسها وكانت ترسل لها خيرة الأساتذة والمربين ، وقد كانت في الرسمية في الريف القريب من بغداد . . . نجاح بعض شهور السنة حتى استقرت أمور في بعقوبة . وكنت مرتاحاً لأن أصبحت مدرساً في مجموعة من الطبقة الجديدة ، ولم أجد كماً مهماً ينظر إلى الفتش ومدير المعارف نظرة خاصة . وكان عدد المدرسين محدوداً بالثانوية ودار المعلمين وكل واحد منهم ينظر إلى أحمه نظرة احترام وود . . ولم تعد للمدير السلطة العليا والتحكم القوي الذي وجدته في الابتدائية

التي كانت حكرًا على مدير المدرسة ومؤهلاته أنه الخو مدير عام في بغداد .
كان عمل في إعداد الرسالة قليلًا ومحدود الجهد فقد أخذت مني أمور
المجتمع جانباً كبيراً من وقتي وإعداد الدروس وقتاً آخر . . . إذن لا بد من
النقل إلى بغداد ما دمت راضياً في إكمال دراستي وإلا مَرَّت على السنوات دون
أن أصل إلى نتيجة . قدمت طلباً للنقل إلى بغداد لأنني أريد إعداد رسالة
الماجستير وليس بغیر بغداد أحد المكتبات لآسيا وأن عمل كان في القرن
التاسع عشر ، وكل مكتبات هذا العصر في بغداد والنجف والبصرة . .
ويكفي أن أطلع على مخطوطات بغداد . و كان هناك من الفضلاء من
يتفهم هذا الأمر ويساعد على إنجاز طلبى العظمى . وكانت لجنة التفاضلات قد
عقدت اجتماعها وكنّت في بغداد . . كيف الوصول إليها ؟ .

كنت قد شرحت القضية للدكتور عبد العزيز الدوري وتفهّمها جيداً
وخشيت أن تنسب الأعمال الكثيرة أمرى . فكُتبت إليه رسالة مختصرة جداً
أذكره بالأمر وعدت إلى بَغدَاد . وكان الرجل عند حسن الظن . قال : لما
وصلت رسالتك عرضتها على اللجنة فاستجابت .

فذهبت إلى مدير معارف بغداد لينقل معي إلى المدرسة التي سوف
أعين فيها . . . ومن الطريف أنني لما قابلت مدير معارف بغداد قال إن
أقرب مكان إليك هو ثانوية الكرخ فإذا كنت راضياً فيها أرجو إعباري غداً
لأصدر لك الأمر الإداري . لكنّ إنها أقرب مدرسة لي لأنني كنت أسكن
(الفضل) لأن عدداً من أفراد الأسرة هم أصلاً من هذه المحلة البغدادية
المشقة وليس بيني وبين الكرخ غير عبور الجسر . . فذهبت إلى المقهى التي
اعتدت الجلوس فيها وحدثت جماعة من المدرسين عما دار بيني وبين مدير
المعارف . فوجدت إجماعاً غريباً بالاعتقاد عن المدرسة لأن المدير كان شهيراً
بسلطانه وسوء تصرفه مع المدرسين . . ثم أتوا على مدير الثانوية الشرقية
عبد الحميد راضي (رحمه الله) .

وبالفعل قابلت الرجل فكان مثلاً عالياً للمخلوق الرقيق والشهيد العالي

ورحب بي أجمل ترحيب وأحست بالرجل قريبا من نفسي ومن قلبي ..
وأصدر الأمر الإداري . وكنت أذهب كل يوم إلى مكتوبة وأعود صباحا
للتدريس وأقطع تسعين (كيلومترا) في اليوم. إنها العملية صعبة لأن أركب
السيارة من المكتوبة الشرقية إلى باب المعظم ومنها أذهب إلى مكتوبة وهكذا
في العودة، ولم تكن المواصلات مريحة إطلاقاً جيداً .

ولما نقلت الأسرة إلى بغداد بدأت أنصرف إلى الدراسة ومراجعة
المكتبات العامة والاتصال بأصحاب المكتبات الخاصة . كنت أروح نفسي
بالعمل في الدراسة ولما وصل الليل بالليل إلى تمام الرسالة .

وعندما أصاب بالإعياء أرتقي على الأرض حتى تستريح جوارحي
وأترك لنفسي التفكير في الفصل الذي أعده . ولكم ألمني هذا الإعياء من
أفكار وأراء عندما استلقي على ظهري وأنصرف إلى سقف الحجرة أعم
النظر فيه . كانت للدراسة في الشرقية والمكتبة العامة في باب المعظم وكنت
أختتم القمص للذهاب إلى المكتبة للاستفادة من المجلات والجرائد . وفي
أيام العطلة كنت أذهب إلى المكتبات الخاصة .. إنه عمل شاق مرهق
ولكنه كان جيلاً والليذاً، أما أشق على النفس وما أحلاه من شقاء وجهاد .
إن العمل العلمي متعة قلما يعرفها إلا أصحاب العلم وهواة البحث
والدراسة . فكل جديد يسعد وكل اكتشاف يملأ القلب بالرضا وكل
مخطوطة أو خبر يضاف إلى الدراسة تثبت في صرح العلم والفكر والأدب ،
وأنا أرتاد للجاهل الجديلة والساحات التي لم يصلها إلا النثر القليل الصبور .

أثر جامعة الإسكندرية

كانت الجامعة، كما قلت سبياً في بحث الثقة في نفسي والأطمئنان إلى
روحي . وزادها ثقة وسعادة عندما عرض على استاذي أن أدرس تحت
إشرافه الماجستير ، فقد كنت في قسم النقد (الامتحان) وقد ألقى هذا
الاختصاص وكان يسمى (الخاص) .

وقد فتح النقد وتدرّس أساتذتي عطف الله الأبواب النقدية أمامي ،
 ودرست النقد الحديث وتعلمت أشياء جديدة عن الأدب الغربي وبخاصة
 الأدب الانكليزي الذي لم أكن اطلعت إلا على تف منة . . ودرست لأول
 مرة أثر علم النفس في النقد . وفتح هذا العلم أمامي آفاقاً جديدة بالرغم
 من أنني درست علم النفس في دار المعلمين ثم درست (من الوجهة النفسية
 في تاريخ الأدب ونظمه) على أساتذتي مؤلف الكتب . وأطلعت أجمع كل
 المصادر العربية التي يذكرها استاذي في المحاضرة إلى جانب الكتب التي
 جمعها عندما درست النقد على الأستاذ محمد طه الحاجري . وعكفت على
 دراسة الكتب المترجمة عن النقد وقد وجدت صعوبة في فهم المصطلحات
 لكن كثرة القراءة ومساعدة أساتذتي والتبع المستمر للنقد حلت المشكلة .
 كان اختيار أساتذتي لي مدعاة للمخبر والثقة بقدرتي الأدبية فقد كانت العادة
 الجارية أن يبحث الطالب عن أستاذ يشرف على رسالته .

ترك لي الأستاذ حرية اختيار الموضوع ومقابلته بعد الاختيار . كنت
 أسير إلى الأدب الأندلسي لأنه أقرب إلى الحياة العربية الأدبية المعاصرة وثا
 فيه من جمال ورقة وتطور ولحمديد، وكنت أحب قصائد ابن زيدون لتطور
 شعره الحضاري بما يقارب تطور القرن العشرين . وفي بعض آرائه وأفكاره
 وشعره الرقة والعلوية وسهولة التعبير والوضوح مع جمال الأداء والعتابة
 بالمحسنات اللفظية .

أعلنت أنرا أنهارت كتب الأدب الأندلسي وأخذ ما يروق لي من نصوص
 لأنني لم أجد الموضوع بعد . ثم فكرت في اختيار الطبيعة والجمال في الشعر
 الأندلسي . . أطلعت المصادر تفرّفت إلى إشارات باللغتين الفرنسية
 والإسبانية ولا بد لمن يريد الاستقصاء من معرفة هاتين اللغتين ليتم بحثه
 ويصل إلى مستوى أقرب إلى الدقة منه في حالة عدم معرفته بهما .

كانت نالفة اللغة الإسبانية مغلقة أمامي تماماً ولم تكن اللغة الفرنسية

التي أعرفها تعين على فهم الأدب فيها . هل يمكن أن نعلم الإسبانية في مصر ؟ لابد من السفر إلى إسبانيا، وكم يستغرق تعلمها من الوقت حتى يتقنها الدارس ليكون قادراً على إلقاء لفته منها ؟
هناك طريقتان لاتأثرت عليا .

١ - دراسة اللغة الإسبانية

٢ - تغيير الموضوع .

مشكلة رسالة الماجستير

أحس استغثي بالمعاناة التي أحلها علي منها والقلق الذي ران علي نفسي ولم أعد أحذله عن الجهد في دراستي ، ولم تعد عندي تلك الحياة التي ظهرت عندما بدأت في البحث . . وما أشد الألم علي إنسان تاه في دروب البحث العلمي وساحات الفكر . . ولا يعرف له مستقراً كالملاح التائه في وسط المحيط .

لم يكن أمامي غير خيار تغيير الموضوع نفسه . فاقترح الأستاذ علي أن أختار الأدب العربي في العراق في القرن التاسع عشر الميلادي .
قلت بدون روية .

هل هناك شعر أو أدب في العراق في القرن التاسع عشر ؟

قال : حسنأ أكتب رسالة تبرهن فيها علي عدم وجود شعر في هذا القرن . ولأن بحثك عن العراق لهذا يساعدك علي استمرار العمل داخل العراق ، فيمكن أن تعود إلى بلدك . . فكرة رائعة لم تخطر بالبال رافقت في وكم من أفكار مفيدة قريبة لكنها بعيدة عن اليأس التي بها التفتاش والقلقها الصديقة المحضة ، ونشأب الحديث دون إعيال الذهن والتفكير العميق .

ماكنت أعرف شيئاً عن هذا القرن وماهولت من تاريخه إلا بعض الكتب القصيرة . فلابد من دراسة تاريخية بصورة منفصلة ومعرفة حياته الاجتماعية والإدارية والسياسية ، قبل أن نخوض شعره لأن الشعر جزء من حياة المجتمع ومصدى لمعاناته الحضرية وثقافته ومشكلات مجتمعه وحياته السياسية والاجتماعية والفكرية . هل أراجع ؟ .

الطريق مخوف بكل صعوبة وبكل ما هو مجهول وغامض ، لكن الرغبة في العلم والصبر على الدراسة واكتناء كل مفاتيح الأمور تفتح وتسهل كل صعوبات البحث العلمي الشاقة .

وأخيراً استقر الرأي على السياسة في هذه الفترة لأن العراق بطبيعته سياسي . فكل أبناء العراق صغبرهم وكبرهم يفرق نفسه في السياسة . فاختارت موضوعاً عنوانه السياسة وأثرها في الشعر العراقي في القرن التاسع عشر . وكان أحد الزملاء يدرس في دار العلوم ، فلما قرأ مذكرته الصحف ألحظ في تغير العنوان ووسط الدكتور محمود ضاوي الزهيرى فغيرت للوضوع إلى خصائص الشعر العراقي وأهدافه في القرن التاسع عشر .

اتسع البحث أوسع لأن الخصائص والأهداف كثيرة ومتنوعة ولكن اتساع رقعة البحث فتح أوسع أطلقاً جديدة من المعرفة . وتعرفت على سياط هذا القرن وملاحقه وشعرائه وكتابه ومؤرخيه . قلت : رب ضلونا نائمة . واضطرت لدراسة تاريخ العراق وإدارته وأشهر ولاته وتياراته الفكرية والأدبية والاجتماعية . خدمني هذا التاريخ كثيراً فقد كتبت منه عدة مقالات وألفت بحثاً منه في مؤتمر المشرقيين في الهند . ومن الطريف أن الزميل رحمه الله لم يحصل على الماجستير إلا بعد أن حصلت على الدكتوراة وعينت في كلية الآداب ودعاً من الزمن . فقد حالت مشاغله دون إكمال دراسته ، وطلب رحمه الله مني رسالة الماجستير وقرأها واستفاد منها كثيراً وقد تركتها في مكتبة الأثير عند الأستاذ كوركيس عواد واشترطت عدم خروجها

من المكتبة . والغريب أنه رحمه الله لم يذكر الرسالة بين المصانير التي قرأها . وقد قال أستاذنا فاضل بأن أثر رسالتك في الفصلين الأخيرين واضح كل الوضوح ولا يمكن للباحث أن يتخطى النظر . كما استفاد رحمه الله من كتابي (الشعر العراقي الحديث) في أبحاثه . . وهي رسالة الدكتوراة من جامعة لندن التي وقفت حتى ١٩٣٩ بداية الحرب العظمى الثانية وأكملت ما فاتني من دراسة في الماجستير وجعلت عنوانها :

Poetry in The Social And Political Development Of 20 th Century, Iraq.

وقد عرضت فيها الحياة السياسية في العراق أولاً ثم حياته الاجتماعية ، ولعل أول من كتب رسالة دكتوراة في هذا الموضوع وفي الأدب العربي الحديث في العراق . وقد طبعت ثلاث طبعت إضافة إلى الطبعة الانكليزية التي كانت كاملة . أما الطبعت العربية فقد حلف منها الفصل الذي يتعلق بالثورة العربية الكبرى لأن الطبع كان في فترة منع فيها كل شيء اسمه عرب وما يخص الهوية العربية . ويحل العراق بالمحنة وسيطر الحكم الفردي والفكر الواحد وعدد أصحاب الأفكار المعارضة في أرواقهم وأعمالهم في وعظفهم . ونسى هؤلاء التيارات الفكرية التي تسيطر على العراق والجنود القديمة التي تظهر في فكره وعمله .

والعراق يختلف عن البلدان الأخرى في تكوينه الفكري وفلسفته الفردية وشعوره تكوينه الذاتي ويختلف عن غيره من البلاد العربية والإسلامية بحب ذاته والإعجاب بنفسه . وبالرغم من مظهره الخائى الذي يحسه الناظر استسلاماً فهو يحمل في نفسه ثورة عميقة وتدفعاً قويا وعاطفة صادقة . فعل الحاكيم السيطرة على عواطفه بأعمال البطولة التي يؤمن بها والسخط الذي يسببه عليه . . وهو شديد التغلب بما أحب حاكمه في يوم من الأيام ولو أنه يحامله ويستكون إلى حكمه فترة من الزمن . إن

العاملة الجميلة والأسلوب الرقيق يجب أن يكون من إنسان يتمتع بالقوة
والشجاعة والكرم والبأس الشديد . هذا هو الزعيم الذي يرضاه الشعب
العراقي . إنه يجب الشجاعة والكرم والجسارة والجلود .

الدواينة في مصر :

لم أتناول دواينة في مصر مع الدواينة خارج العراق لأنها بلد عربي
ولأن لم أجد فيها صعوبة كبيرة في اللغة والحياة الاجتماعية والفكرية ولأنني
كنت على صلة روحية وأدبية بمصر بما كنت اقرأ عنها من مؤلفات وأطالع في
مجلاتها وجرائدها . . وبالرغم من أن مصر قد فتحت عيني على الحياة
الفكرية والأدبية والاجتماعية وتعرفت بوساطتها على الكثير من حياة الغرب
كاملة أو مشوكة فإن مصر تحولت تقليد الغرب في حياتها وتنمى نقل الحياة
الغربية إليها وبخاصة الطبقة الحاكمة التي كانت تتحدث بكل اللغات إلا
اللغة العربية التي كانت تعدّها لغة الفلاحين والطبقة الدنيا من أبناء
الشعب .

وتشاء الصدق أن أمش مع أسرة يونانية وأحس بما يضره الأجانب
لمصر والمصريين بالرغم من أن بعضهم لا يعدّون أن يكون سائق سيارة أو
إسكافياً أو بقالاً أو بائع طرير كضوء وراء المصريين ويقدمون لهم تعليمهم
ليحصلوا على أموالهم ولكنهم إذا خلوا إلى شياطينهم احتضروا مصر
والمصريين .

رأيت أوروبا في حياة هذه الأسرة ولكن في طبقة ليست عالية الثقافة
ورفعة المستوى الاجتماعي والاقتصادي وإلاً لما قلت أن التقدم طالماً جاء
يلتزم في الجامعة وتقدم له الطعام وتظف فراشه وملابسه وتقدم له الشاي
والقهوة مع كفتات الزحيف والانتشاعة الفضل (سيو يوسف) وجاء سيو
يوسف وأكل سيو يوسف . ولا أذكر طالماً استعمالوا معي (سيو) وهي

فرنسية ولعلمهم شعروا بالنقص لأن الفرنسية لغة العلية من القوم ولعلمهم كانوا يهابون المصريين الفرنسين وهم جماعة خاصة ترى نفسها أهل الطبقات .

مصر فتحت عيني على أمور كثيرة وأبطلت حاسة الملاحظة ونهت في رغبة البحث والاستقصاء وأهدت إلى ثقة كبيرة في نفسي . فالفضل الأول للدراسي في الإسكندرية هو ما أولتي من ثقة واعتناء فكري وعلمي وبرز شخصتي فيها .

في مصر علاقات مشتركة وأصول متشابهة وجذور متشابهة فهي أقرب إلى أوروبا من العراق وسبقت العراق حضاريا وتطورت أكثر من الأنظار العربية لأحداثها التاريخية ومكانتها الجغرافية والفكرية . لاشك بأن العراقي حاول أن يلحق بركب مصر ولقد دعا شأن العرب كلهم واستعار منها الرسل الأول للثقافة مع استاهم من بلاد الشام . وقد درسنا على عدد ليس بالقليل من الأساتذة منهم ومن الأنظار العربية الأخرى . . وكان العراقي مؤثلا لجميع شعوب العالم العربي من ساسة أو أساتذة ومدرسين وصحافيين وحرافين ولكن مصر كانت تأخذ الجزء الكبير من فكر المثقف بكل اتجاهاته السياسية والحزبية . فهو يقرأ للقبط والمثقف والحلال والرسالة والثقافة وما يأنه من الشام من صحف متنوعة وكتب متعددة إضافة إلى فرقها التمثيلية ورواد القنله . . فلما أعرف الشيء الكثير عن مصر قبل أن أذهب إليها وأصبحت هذه المعلومات الكثيرة جزءا من فكر المثقف وروحه . وقد كان الذهاب إلى مصر حلم كل متعلم وهدف كل مثقف وأمنية علية يتمناها الناس كلهم ، لذلك كانت فرحتي بمصر كبيرة والراحة - سعدت بها ورحي سعادة غامرة . ولما سافرت إلى أوروبا اختلف الأمر معي ، فقد سافرت وحيدا إلى المجهول خائف القلب قلق الروح حيران النفس . أما في ذهلي إلى مصر فلم أكن وحيدا فقد كان معي عدد من الزملاء . فقد سبقني

جاسم عبد الحسين السعدي وكان يرسل لي أعمله ويحدثني عن حياته في الجامعة ويرسل لي بعض الصحف المصرية وكنت أطلع على مايجري في مصر من لرامة هذه الجرائد المتنوعة . وجاء أحمد نجم الدين وقد فضلت الإسكندرية على القاهرة مع أنني ليلت فيها وكان فيها على جواد الطاهر طالبا في كلية الآداب بعد أن تخرج في دار المعلمين العالية وأرسل لي منهج الدراسة بكلية الآداب بصورة منفصلة . ولا أظن نظم الدراسة في الجامعتين تختلف . ذهبت إلى مصر وعلمني صورة عامة عنها وعن الدراسة فيها . ثم إن الدراسة فيها تجري باللغة العربية ووجدت عددا من الزملاء في الجامعة . وحضر بعد ذلك إلى قسم الجغرافيا إخوان منهم على شلش وعطاب حكار العلي وحيد الشمع عبد الوهاب وعلي عبد الحميد وعطير نعمان العميد فكان عند الطلاب من العراق جيدا إذ لم يكن فيها غير طالب واحد في الأص ب جاء قبلنا .

وكان معي كامل مصطفى الشبي ومحمد بالر عبد الغني والآسة ميري نخوحى وتألفت القلوب وكنا أسرة واحدة بسودها الحب والمساعدة والألفة الصادقة والمحبة العميقة .

إلى لندن :

وصلت إليها ولم أكن أعرف إنسانا ولا أخرى في مقرا . . ووجدت حجابا كثيفا من اللغة يفصلني عن العالم . . كيف جلؤفت ؟ . لا أخرى . . وكيف جئمتني الشجاعة إلى اختراق المجهول ؟ . إه التحدي والطموح ورد الكرامة . .

رفضت جميع الكليات قبولي مدمسا فيها واشترطت على الحصول على الدكتوراة مع أن عميد دار المعلمين العالية (رحمه الله) لا يحمل سوى

المهاتمة بوفى الكلية عدد كبير من حملة الليسانس والمجستير . وضججت
وقلت :

وهوجه البنية غاب القمر . كان رد الفعل على نفسى كبيراً وفى
روسى عميقاً مؤلماً . فواجهت ذلك بإرادة قوية وصبر عميق إذ لا يوجد
ألماس غير حل هو إكمال الدكتوراة . . لم أقتع كما قنع غيرى بالعمل فى
الثانوية وهو يجعل الماجستير فقد رفضت الموانع العلمى والذلة الدراسية فإن
جميع الذين فى مستوى الدراسى فى الجامعة لم يكونوا غيرا منى . كانت
الإجازة الدراسية التى حصلت عليها بعد مشقة ولأى وتعب وكفاح بحيث
 وجهاد مستمر لامتدئ الستين . أجل لم يكن أكثر من ستين ولابد أن
المشروع لم يكن يعرف سنوات الدراسة ولعله وضعها الأمور أخرى غير
الحصول على الدراسة فى الجامعات ، ولعلها للتدريب ودخول الدورات إذ
لم تكن فى العراق جامعات . وأكثر الذين وصلوا إلى مواقع العمل الكثير
كانوا من غير المؤهلين للدراسة الجامدة ومن جاء بعضهم من المؤهلين لم
يكتفوا بمثل هذه الأمور العلمية لأنها لانهم مصالحهم القومية ويكتفون أن
يرسلوا أبنائهم والقرابانهم فى بحثات تطول حسب رغباتهم وحسب أمانيهم
وسلطانهم .

لم أطلب بحث علمية لآل بعد تجربة كفالة دار المعلمين الابتدائية حيث
رفض أن يكفلنى أحد الأقرباء الذى حسبته أقرب الناس إلينا . أخذت
الإجازة الدراسية مجازفة ومغامرة فى حياتى . ولكن جهزت لها نفسى
وترسيت بعض الدروس الانكليزية فى معهد أجنبى بعد امتحان فى المستوى ،
وبالفعل نجحت فى الدورة التى أخذتها . ولكن هل هذا قدر يكفى لكتابة
رسالة دكتوراة ؟

كانت الأمور فى بغداد تلف حائلا دون سفرى وفنون مساعدتى . فقد
أضعت سنة فى بعثية حتى أستقر نفسياً ومالياً واجتماعياً . وكانت

المسؤوليات الاجتماعية مرهقة لي . وعندما ذهبت إلى بغداد رفض مدير المعارف العام أن يرمي بعمل إداري لأن التعليم كان مرهقا وباعثا ولما ضللت في الإعداد للدروس والتخطيط وتصحيح الكراريس في الأناشي والانتخابات مع أن هذا المدير العام الذي ذهب إلى رحمة ربه أولى قريبا له ومن أبناء بلده كل رعاية وكل ملبريد، وأراحه لأنه قريب .

النظام الاجتماعي في الحياة والغبين في الوظيفة والجهل في العمل نصيب كل من لم يملك جماعة تحميه أو كفا يقول أهل العراق من ليس له (ظهر) يستند إليه . ولم أكن من أولئك الضالعين وأصحاب الزلفى للرؤساء، وكنت شديد الاعتداد بنفسى وكرامتى . أذكر أن مدير المعارف في بعثية طلب مني أن أجلب له حاجة من السوق . فأتيت المبلغ منه ونلت على الفراش وقلت له تذهب إلى السوق واجلبها لمدير المعارف . ابتلع الإهانة التي أراد أن أعملها ، وبعدما لم يعد ثكلها . ولكن حملها في نفسه، وما كنت أقبل الخطأ أو ألقى أوامر لرئيس إذا لم تكن متفقة مع ما أفكر فيه من مثل حالة . . والرئيس في كل بلد عربي يريد أن يطاع لو أن يسمع وأن يقال له نعم، وذلك للأسف الشديد نريتنا التي قاعدتها الطاعة المطلقة وتلبية الأوامر التي كانت أهم عامل في تفرق من الرؤساء وأصحاب الكلمة والسلطة طوال حياتي .

كم أصابعت المحسوبة من مصلحة عامة وأعدت قضايا الأمة المسكونة لرغبة الأعيان القروية والزراعات الخاصة . فشك الشعب بالسلطة وما كان يوما والثقا بالدولة . فهو يراها منسلطة تعيش لأغراضها القروية وحاشيتها الخاصة . وهذا ماحدث لي مع مدير المعارف عندما رجونه مساعدا في التليف العبد الدراسي حتى لآل كنت أحضر للدراسات العليا فاعتذر بكثرة الأعمال الدراسية . والغريب أنه قال إنه لم يعين أحدا في الإدارة هذه السنة ولم تحمل هذه الكلية الكبيرة وقلت : ولا حتى فلان .

وكان هذا ابن عمه عيت (معاوناً للمدير المدرسة) . أخرجها في نفسه . كيف يخرج مدرس على مخاطبة المدير العام بمثل هذه الصراحة ؟ . ولا ألومه فهو واحد من أولئك الذين اعتادوا أن يعملوا وألا يحاسبهم الأتباع ، فكانت هذه الصراحة والوضوح طعنة في سلطته الفردية ، نازحاً لها بعد ذلك .

إنه من زمرة عبيد السلطة ، يتحكمون في مصائر التابعين دون حساب أو اعتراض ويحسبون أن جيلهم هو الجيل المثالي، ويريدون منا أن نكون طبق الأصل من تربيتهم . ألم يكونوا طامعين بلقة وعطشوع دون اعتراض . إنه للمجتمع الذي لا يرضيه أن يرفض الموقف الصغير أوامر مدير أموره وأن يناقش الطالب أستاذه والأبن والده .

كيف يرى المدرس الدليل الخاطئ جيلاً جديداً يريد منه أن يقرود الأمة ويخرجها من الخوان إلى الحرية ومن الذلة إلى الكرامة . . المدرس المعبود المطيع سوف يرى الطلاب على العبودية والذل والطاعة العمياء، وهذا سر بلاء الأمة وأهم عامل في تدويرها العلمي والفكري .

ما زالت روح السلط - والحكم الفردي وحسب الاستبداد تسيطر على الشعب العربي . ولن تقوم للعرب قائمة إلا بالحرية الفردية والاستقلال الفردي والتفكير الواسع . . كانت هذه الحالة الكامنة في نفس جزءاً من ثورة كاشفة في روح إنسان حر يريد ألامه سعة العقل وأطلق الفكر وجماع البحث العلمي الصادق والناقشة الصريحة . ماتت هذه على الخضوع والذلة ، وتلك الحالة رافقتني طوال حياتي . . لذلك كنت أبعد عن مراكز السلطة ولا أحتك بالرئيس وأقرب إلى المسؤولين إلا بقدر محدود .

إن مدير المعارف الذي قلت له بصراحة إنه عين ابن عمه في عمل إداري وجد نفسه مكشوفاً أمامي . فقد عدّ هذه الصراحة تطاولاً على سلطانه . . ولم يجد ما يأخذه على فأنسرها في نفسه قلباً عريضة طلبات الإجازة الدراسية . . ووجد اسمي أول المؤهلين . . أجل كنت أول

المؤهلين . . اعترض على فرعى ولم يعترض على اسمى حتى لا تظهر اللعبة . . لكن بعض الحيرين الذين يعرفون الأمور ويواطها تداركوا الأمر . ولولاهم لكان أمر الإجازة الدراسية في خبر كان . رحمه الله إنه عبد الله هي الذين أنزل الله على قلبه شايب الرحمة والفضلان .

إنها عزات نفس واضطراب روى وقلق عاطفى لا يعرف آثارها إلا أولئك الذين رزقهم الله الحس المرطب والنظرة الصادقة والعاطفة الرقيقة والشعور الدافئ .

ومن الغريب أن أولئك الذين أدخلوا معى الإجازة الدراسية والذين أراد للتدوير العام إعطامها لم لم يكمل واحد منهم دراسته أو يحصل على الدكتوراة . . وهكذا كانت تدور حكومة العراق دون فكر واسع أو رعاية لها فيه مصلحة الشعب والنهضة .

وصلت إلى لندن بعد سفر طويل ذكرته في كتابى (وعلات الذكرى بطرائقها وغرائبها) بعد أن مررت بعدة مدن . ووقفت في استانبول وقضت بضعة عطلاتها . وعشت مع الأجداد أجل عيشة فكرية ومع أهل استانبول ومعرفنا من العرب على ضفاف البسفور وفى حنايا آثارها الرائعة وفى أحضان بحرها الجميل وجزرها الجميلة ما لا يمكن أن أنساه . وإن لزورت على هذه الذكريات وانخفضت في عالمها الخاص وحجبت في حجاب كثيف .

كنت في لندن أسبق الوقت وأطلق الصعوبات وأواصل الليل بالنهار للدراسة والعمل والترجمة والكتابة ودراسة اللغة الانكليزية وإجادة الكتابة . وقد كنت أقبل على عمل بشوق برغم الإرهاق وأواصل البحث والكتابة برغم المشاق التى أحاطت بها ولا أحس بالوقت حتى تطل على الشمس من الشباك وأحس بحرارتها نجوى هذا الغروب الوحيد في حجرة بالسعة منها .

العراجل والصعوبات كانت تدفع روى إلى الاستمالة بالعمل ، برغم

وأزمات مؤلمة وطعنات عميقة كانت تصلي بين الفترة والأخرى من أناس
كنت أرجو أن يكونوا في عرفنا وسننا ، يشدون أزرى ويحidon الثقة إلى
روحي والعزيمة إلى عملي .

أصبحت يمرض في المعدة من الإرهاق والعمل للتواصل . ولولا الطب
المتقدم في بريطانيا ومساعدة طبيب المنطقة المستعرة في العلاج لما شفيت أو
تمكنت من التغلب على هذا المرض .

القلب الكبير الذي أولاني إياه هذا الطبيب عندما عرف أنني أعمل
للحصول على الدكتوراة عطف الكثير من المرضى حتى إنه دعاني لقضاء نهاية
الأسبوع مع أسرته في الريف الأنكليزي . ولكن أن لي أن أصبح نهاية
أسبوع واحد .

كنت أتمنى أن يفهم الناس مقدار المعاناة التي عايتها في لندن ومقدار
الغربة الروحية التي سيطرت على وألحوف التي هذّ روعي وجسمي
والعمل المرهق الذي قمت به للتغلب على الصعوبات الكثيرة في تخضير
الدكتوراة .

هذا قد تعالي فقد عبرت العرائيل والصعوبات وكانت حائزا لمواصلة
العمل ولم أكثرث بالإرهاق والمرضى - لأن كنت أحتاج الإخلاق وشمسكة
الشامتين وسخرية العدل والحاقدين .
وصلني الشاعر .

كل للصائب قد تمر على الفسق
وهيون غير شبهة الحساد

إنهم أعداء لأنك نجحت وهم يكرهونك لأنك وفقت في هدفك .
فالتجاع والتوفيق من أسباب كراهية بعض صفار النفوس لك . . الذين إذا
مانعج الإنسان قالوا له مايريد متى أحقق أمهات عليه سهولة العلوم

والعذاب والسفيرة :

والناس من يلقى غيراً قاتلون له

ما يشتهي ولأم المخطيء الجبل

بل إن بعض هؤلاء يرى نجاحك وتوفيقك سبباً ، ويرى تقدمك في مضامير الحياة عيباً يجب أن تمتد عنه وتزوي لأنك سبقت .

ما أغرب الناس .. !!

وما أصعب أفعالهم .. !!

ولغيرت الأمور عندما عدت أهل الذكورية ، وأعطيت بالأخصان والقبيلات ذلك الإنسان الذي أدار لي ظهره لما رجوته أن يتقلني من عمل . وكثرت قبيلات التفاق والعواطف الكاذبة وأصبحت عبرى الزمان . وأنا الذي بخل عليه بعمل كاتب (صانعة وواردة) في معارف بعقوبة . وكان لا يزال أهلاً لهذا العمل .

حياة أوروبا الجديدة على بكل ما فيها ، وجمتمعها غريب وحضارته المتطورة تفوق الحياة التي عشتها في العراق ومصر .. إنها مجتمع متناقض بالقياس إلى مثل وحداثتي وتقاليدى .. إنه مجتمع بعيد عني في العلاقات العامة والمظاهر الحضارية والتقاليد الاجتماعية .

الحرية في الغرب :

كل شيء يختلف عما ألفته في طراز اللباس وتقديم الطعام ونوعه والسلوك العام في الشارع والكلية والحديقة والبيت ، ولقاء الناس في الحدائق العامة مع الراحمين والناديين وهم شبه عراة تحت أشعة الشمس ولتحتهم بالاضطرار كل اثنين من ذكر أو أنثى . . والقبيلات العارمة أو للعريضة أمام الناس بدون حياء أو وزع أخلاقي لم تكن هذه من المناظر

المأثومة لي .. وهذه الحرية المطلقة في انتقاد الدولة والأحزاب ورؤساء
الوزارات وحتى الملكية وظهور الآراء المتصارعة بصورة جلية . والانتقادات
من شيوعية وفروضية ومحافضة دون خوف من الشرطة أو هبة من السلطة
تجهر العربي لأول مرة عندما يلتمسها ويراعها ويسمعها .. ما أصعب التكلم
وأبعد الفارق .. كل شيء غريب .. اللغة ولطوب السير من اليسار
وإختلاف التكيليل والأوزان واللوان مواقف السيارات والمواصلات .. لم
أجد إلا شيئا واحداً يشابه ما وجدته في العراق وهو بقايا صانتيق البريد
الخمراء وسيارات النقل العامة الخمراء ذات الدورين .

صحيح أن الملابس التي تلبسها مثل ملابسهم وهي السرة والسروال
(البطلون) ولكن هل يكفي للظهر الخارجي لكي يسبح عليك حضارة
الغرب .

فمنها كنت متأنقا وأبست أجمل الملابس وأفضل الأريطة والتبعات ..
فإن الحضارة جزء من المجتمع العربي .. الانكليزي لا يكذب وهو واضح
وصريح في بلائه ولا يخدع بعضهم بعضا .. ونحن نكذب في كل ساعة
بشعور أو بلا شعور ونقسم الإيمان المغلظة دون أن نعي ماتقول ..
مأسمعت انكليزياً القسم طول حياتي في انكلترا . وإذا أراد أن يؤكد يقول
لك : ثي بانتي عملت ، لو ثي بأن التحدث واقع . وهو أمين لو صدقته
ونحن نُدّر قلب نسير مع الأهواء حيث نميل خوفاً من الموروث الذي
استكن في اللاشعور .

إنها الحياة التي عاشها الغربي فرضت عليه مثله . فإذا كذب لن يقدسه
المجتمع وإذا أعطى عوقب . كل واحد يحس بأنه جزء من الدولة لأن الدولة
جزء منه لا يمكن أن تخدعه ولا يمكن أن يستأثر الحاكم بالمتع ويترك الشعوب
تجهر الشعرات والمثل الزائفة .. بحارب من خرج على المجتمع ولا يقبله
ويرد إلى طريق الصواب .

فإذا وقعت في صف للدخول إلى المسرح والسبب لا يمكن أن يسمح لك بالتخطي والمزاولة . إذا اصطفت القوم للدخول إلى حصة التطار فيجب أن يكون الصف للجميع ومن أراد الإسراع عليه أن يحضر مبكراً أو أن يحجز مكانه مقدماً . كل شيء بنظام لا يهتم أحد ويحترمه الجميع .

نحن كأبناء مرارة الحكم الإنكليزي وجبروته وظلمه وكذبه وخداعه في العراق والعالم العربي . لذلك كانت دعشني كثيرة من سلوك الإنكليز في ديارهم . هذا الاختلاف بين الشرق والغرب واضح أشد الوضوح . لذلك اضطرب كثير من ائمة في فكري وتناقضت كل المفاهيم التي أعرفها واختلفت الآراء التي كنت أحملها . أين غدر الإنكليز ومكرهم ؟

وصلت إلى لندن وأنا أهل أطنان الكرامة والبغضاء وكثيراً من التوجس والخوف والحذر من الإنكليز . وكنت لا أصلى هذه المعاملة اللطيفة التي ألفناها من الشعب البريطاني وأصحب من احترام الإنسان لأخيه الإنسان في الجامعة والندوات الرسمية وعند البقال والبائع ولا أجد سوى كلمة «شكراً» وعبارة الرقة في المعاملات بين الناس .

كنت أتحلف من كل مسؤول وبخاصة الشرطي . . الذي ألتنا في العراق وسفناً مرارة الحوان والإهانة والاستعلاء . . لأنه يمكن ملاحظة من رئيسه فيصّب على أبناء الشعب . الشرطي هنا دقيق للماملة مسارع لخدمتك لا يتركك حتى يحس بأنك راضيت ولا يتركك وأنت ضائع إلا ويهديك السبيل . . فهلايت شرطياً صاعياً أو مدعياً بدهوى كاذبة أو صائحاً . إنه لطيف بأسلوب رسمي وإن لم ينسم لك .

دقيق وإن لم تحس بالعاطفة الجياشة التي تظهر عند الشرقي . إنه يخدمك ويحترمك دون أن تحس منه بالئة والتفضل .

كم مرة أوصلي إلى المكان الذي ضللت دونه . . كنت هت في إحدى

الجنابا في لندن .. في ذيل المدينة .. فوجدت هاتفا موضوعا عليه علامة الشرطة . رفعت السماعة فرد علي إنسان .. وقال :

هل أقدر أن أساعدك ؟

قلت :

ضللت الطريق

قال لي : أين تريد أن تذهب ؟ . وذكرت له المكان الذي أريد .

قال : ما اسم الشارع الذي أنت فيه ؟ ولما سميت له اسم الشارع .

قال : انصرف إلى اليسار وامرر حوالي مئة ياردة سوف تجد موقف

(باص) ينعطفك إلى المكان الذي تريد بعد أن تدفع كذا من النقود .

قلت : أريد (الأنتركاوند)

قال : إنه بعيد ويجب أن تسير حوالي نصف الميل أو أكثر .

قلت : أستعمل الباص والشكرك .

كان يتحدث معي بهدوء وكان يتكلم بوضوح ويكرر الكلمة مرتين فقد

أحسن بآتي لا أتمكن من ملاحظة حديثه ..

وقد أحب الشعب الإنكليزي الشرطة وقفاي الشرطي في خدمة هذا

الشعب وقضاء حاجاته . فإذا ضاع عقل سارق إلى الشرطي .. فيأخذه

إلى داره بالسيارة أو يتصل ببلويه بالهاتف . وكم هي الغرائب والطرائف

التي تحدث للشرطة ومن أطرفها : أن سيدة عجوزاً لها همل (غسيل وكوي)

شكت إلى شرطي في المحلة كثرة الجردان . وفي الصباح وجدت قطعة في

المحل ، فقد أدخلها في الكوة التي يضع أصحاب الملابس الرخصة

ملابسهم فيها بعد أن يكتبوا عليها أسماءهم عندما يجلبونها قد أغلقت

الدكان . لم أجد ثقة بالشرطي وعلاقته بالناس أكثر من ثقة بريطانيا

بالشعب وثقة الشعب بالشرطي . إنه يحس بأنه يقدم شعبه ويحرم

على راحته ويخدمه بكل إخلاص ويحرص على راحة الشعب والنظام عنه ضد الانحراف والمصوص ويحس أفراده بكل احترام وتقدير .

ففى أيام عيد البلاد نهال الهدايا الرمزية عليه حبا وتشجيعا ومبالغة الحب والشفقة حتى نيل إن جميع مشكلات الشعب يحلها الشرطى .

كانت مفاجئة لى أن أجد الانكليزي يحافظ على حرية الآخرين من الموظف فى البريد ، إلى موظف جوازات السفر والكثارك كلهم يعاملك بشفقة واحترام حتى تشك فى أن هذه المعاملة الحسنة لك . فقد اعتدنا على أمور فى أوطاننا لم نجدوها فى بلاد العدو المستعمر الغلثم .

سفرة الخارج والداخل :

دعنا نحدد معنى الدراسة فى الخارج بعد هذه السفرة الطويلة . فالسفر خارج الوطن العربى سفرة خارجية كما ذكرت ، أما سفرة الوطن العربى فأعدها سفرة داخلية .

فلنبدا بالدراسة فى الخارج للحصول على الدكتوراة . .
ذهبت إلى بريطانيا سنة ١٩٥٣ .

مررت فى سفرى بعدة قطار ومدن كبيرة . فقد سافرت بالقطار عن طريق القوصل - تل كوجك إلى استنبول ومن استنبول أخذت بطاقة سفر إلى مارسلية فى فرنسا وكنت أتوى أن أخذ القطار منها إلى باريس فلندن .

فى الباغرة وجدت جماعة من أهل العراق من البنى ماوجدتهم . فقد كنت أحس بالوحدة والغربة فى الباغرة وكانوا ينامون على ظهر الباغرة فأحسست بالراحة والرفيا لأهم من بلدى وقضيت معهم السفرة من استنبول حتى نابل . وكانوا متأكفين هالفتهم وأحببت منهم نفرا . . لذلك عزمت على صحبتهم وتركت طريقى الأول لأسافر معهم . وظهرت براعتى

سفرهم في أثينا عندما وجدت بعضهم يريد المتح الرخيصة بل الشفوف
الجنسي ويتأكد هذا الاكتشاف متأخرا في نابولي .

قلت لهم: هذا فرق بيني وبينكم . . أتتركون رؤية حياة الشعوب
للمحطرة والفرجة على المتاحف والآثار ومواطن الحضارة إلى متعة مؤقتة . .
رخيصة تافهة ؟

قال أحدهم :

أما شجعت من الدراسة ؟

مسكين أكثر أبناء أمتنا . يضيعون أموالهم وصحتهم وقواهم هدرا
دون أن يغلظوا عقولهم وينبذوا من ثقافتهم وسعة اطلاعهم ومعرفتهم .
الغري قبل أن يسافر يعرف أسماء المتاحف والآثار ودور المسرح ومبهم من
يشد الرحال من بلد إلى بلد لتأخذة أوبرا أو رولية تعرض في بلد آخر أو
الاستماع إلى فرقة موسيقية . . يمكنك أن تجد الفرق واضحة بين إعلانات
أصحاب شركات السفر . فقل أي شيء يدعوتك في الغرب . . إنها ميزان
واضح للعب برغبات الأمة . . الغري يعلن عن أماكن صنع التحف
ومعارض الصور والصناعات الشعبية ودور الموسيقى . وفي الشرق يعلن
عن أمور معروفة وقد لا يعلن وإنما يذكر الأماكن التي ألفها أبناء أمتنا .
يلعب الشرقي للخمر ولعب القمار وغيرها من لعب فيقتل في الإنسان
إحساسه الذاتي للرفق والإنساني الرقيق . ثم إنه يقصد من حوله بالمعطيات
والهبات غير الطبيعية والتي كثيرا ماضحك هؤلاء وتسخر منهم . يقبلون
هذه الأعطيات والهبات لماكرين ولمرحون من سلاجاتنا ومتعشين لهذا الكرم
الغريب .

كانت فرصة رائعة وحلوة أن تركت هذا التركب بالرغم من أسنى على
بعض الغري فيهم . فقد كانوا من قوى الخلق والطبيعة القشرية السالجة

لكنهم لا يقدرّون على الفكّك منهم . فقد ارتبطوا من بغضاء معهم ولا بد أن يعرفوا مجتمعون .

بعد أن تركتهم التركت في رحلة جميلة رائعة جلت فيها بأجل الأماكن وتنتع بالطبيعة الجميلة في جزيرة إيطاليا . رأيت ملأ أكن أنصوريه فتنة وصعرا وجمالاً وقد تحطت عن ذلك في كتابي (رحلات الذكرى بطرائفها وغرائبها) عن هذه السفرة بتفصيل . . . وكنت أكني أن يزور هؤلاء الأكثريولس وأثار اليونان ليتعرفوا على معالم يزورها السياح كل سنة ويقضون فيها أياماً في خلال التاريخ وعين الحضارة التي ولد فيها هومروس وأخلاقون وأرسطو . إن قول أحدهم : أما شبت من الدراسة ؟ أعطى الفكرة الواضحة عن جهل هذا وأمثال وسذاجته وظلته . . . وحيواته الكافّة في جسمه .

مررت بروما بعد أن جلت في ربوعها . إنها متحف بكثرة آثارها وتعدد ثرائفها . وبعد متعة روحية أخذت القطر نحو باريس ولت فيها بعض الأيام وجلت في متاحفها وتنتع بمشاهدة روائع الفن وشاهدت بعض مسارحها ثم سافرت إلى لندن فوصلت إلى محطة فيكتوريا الشهيرة .

أول مظهر يحس به الغريب في لندن اللغة بالناس واحترامهم لك في مقابل ذلك وهما قاعدة الحياة العامة في هذه البلاد . تلق بك ولا يشك في قولك ويعترمك ويعتدرك إنساناً وإن لم تكن قد رأيت من قبل .

بعد أن سجلت اسمي في الجامعة وأخذت بطاقة طالب . . أرسلت إلى مديرية التسجيل رسالة أرجو أن أكمل الوثائق التي تحتاجها خلال ثلاثة شهور . .

يا الله . . أصبح طالبا وأستفيد من المكتبة والمطعم والدراسة ومميزات الطالب وأنا لم أكمل الوثائق في حين أنني أكملت كل شيء في مصر . . ولم

تكتب لي جامعة القاهرة حتى رسالة واحدة تشعري بقول الوثائق ؟ .
هذا غلوق حضارى ضاح في الشرق للأسف الشديد . ويظهر في
القرب . احتملت الجامعة على قول وما قدمت لها من أوراق ناقصة . . أنها
ثقفة عجيبة وغريبة لم نحلم بها في الأسفل في الشرق العربي .

كم هي تعقيدات التسجيل في مصر وكم وثيقة مضللة . . وما عند
الأحتم والتوقع التي تملأ الوثائق وعدد الطرايح التي تلتصق فيها . . وبعد
كل ذلك ترى بعض الموظفين يقول لك هنا ناقص ختم أو أن التوقيع غير
واضح . . بكبرياء مفتعل ويرفض الطلب دون أن يعاون الطالب في أهم
أعماله وانتصاضاته . . أو يرشده إلى سواء السبيل .

هل أنسى مقابلة الفصيل العراقي في استانبول الأولى وكبرياء الكلاب
وعجرفة المزلة وإدعائه المخلوق ونفخته المروية لأن أردت منه أن يتفضل
بالمصادقة على وثيقة عراقية كاملة الأحتم والطرايح والتوقع بعد أن وضعت
باللغة التركية وختمت بخاتم الخاد طلاب تركية ؟
فرفض بحفاة مفعوت وقال :

ليس هذا شغل أو عمل . . ولو ثبت على قوله لاحترمت كل الاحترام
لكنه تضائل واضمححل عندما علم بأن لي صلة بقريب السفير وأخذ يتوسل
لي وأصبحت من أصحاب الألقاب ومن قوى المقامات وقدم لي المشروب
الذي تركته في مكانه ولم أشربه ، وكان عليه أنه لم يعرفني .
هل عين ليخدم من يعرف ويسهل أمور أصحاب النفوذ ؟

لم يأخذ راتبه ومخصصاته الوفيرة من خزنة الدولة ليعيش في غير
عيش ثم ييخل بمخدراته على أبناء الشعب ؟

إن كثيراً من موظفي السفارات العرب في البلاد الأجنبية يرى الوظيفة
تشرافاً له وميزة خاصة ، لذلك لا يعرف أكثرهم راجبه إلا في مصالحه وفي

تثيت وظيفته بالزقنى .^{١٠} سائل والهدايا والبرقيات التى يرسلها
المصريون .. ذلة وكذب . برا . وللأسف أكثرهم يصدق بالكذب
ويطرب له ويريد ويشتج عليه .

شغلوا أنفسهم بكل شيء إلا خدمة المحتاج وساعدة الميضر . إن
الدليل الذى ترى فى الهوان هو الذى يفتك بلدال الآخرين .
ومن عاش فى العبودية كيف يعطى الحرية ؟

الدراسة الزهقة فى لندن :

فى لندن وطلت نفسى على الدراسة المتواصلة . وكانت أهم قاعدة فى
هى إتقان اللغة الانكليزية .
سجلت نفسى فى ثلاثة معاهد .

الأول لتعلم اللغة الانكليزية، وكنت آخذ فيه ساعتين كل يوم .
الثانى لتعلم النطق الانكليزى، وكنت آخذ ساعة واحدة مركزة فى
الأسبوع .

وبذلك أتيج فى الاعتلاط بالطلاب الانكليز لتعلم اللهجة الانكليزية
والتعرف على المستوى اللغوى لهم .

وبعد ذلك سجلت فى المعهد البريطانى وبدأت آخذ دروسا متعددة كل
يوم إضافة إلى التعرف على الحياة الفكرية والفنية والاجتماعية التى يقدمها
المعهد للطلاب الأجانب .

تعرفت على الأدب الانكليزى بالذهاب إلى المسارح المتعلقة بدراسة
النصوص الشعرية وبخاصة إذا كان المسرح يعرض روايات عالية المستوى
من روايات شكسبير . وكان مدرس اللغة الانكليزية يذكر أهم الروايات
التي تمثل على المسرح أو تعرض فى ذلك الشهر فى دور السينما .

كان عمل مرهقا . فانا أواصل القليل بالتهار لدراسة اللغة وكتابة
لصول الرسالة وقراءة المراجع المتعددة ومصادر البحث المتنوعة . وكان
يشرف على رسالتى فى أول دخولى الجامعة مشرف لا يريد أن يفهم
المجربى العلمى لرسالتى . ووجود مشرف مؤقت لا يفهم ما أريد ولا يحاول أن
يفهم ما أكتب آخر عمل الجامعى حتى فتحت لىلى أفاق مشرف جديد
أخذ يعمل بصورة مستمرة ويعلمه ويفكره معى فتطقت لى السير بسرعة
وثقة ونشاط .

كان المشرف المؤقت متحملا على مؤرخى العرب الذين أرغوا للفترة
التي أكتب فيها ولا يرضى الاستشهاد بالكتاب الأمريكىين والغربيين
ولا يرضى إلا بكتاب الانكليز ومؤرخيهم . ورب فائدة نافعة . فاضطرت
لدراسة ما كتب عن العراق فى هذه الفترة وصارت عندى بعض الكتب
الشائعة باللغة الإنكليزية .

موضوع الرسالة قائم على قاعدة كبيرة عن السياسة وأثرها فى الشعر
العربى فى العراق ، وقاعدة مسالمة هى المجتمع وأثره فى الشعر . فهى من
التاريخ العربى المعاصر والحديث ، لذلك كان الموضوع حساسا ودقيقا
ومؤثرا .

ولما عاد الأستاذ المشرف فوجئت الكربة بعد شهر صعبة . ولقد
استفدت فائدة كبيرة بأن بعض الأساتذة الانكليز يجانب الصديق والصواب
ولا يحب أن يسمع الحقيقة إذا كانت ضد الانكليز . ولا ألومه فى ذلك
ويطامع أن الحقيقة قائمة على نصوص وشواهد لا يمكن أن يكذبها صاحب
الرأى الحر والبحث العلمى المجرد .

سألت نفسى : هل هذا الأستاذ تأثر بنا وأصبح شديد الحساسية نحو
ما يكتب عن وطنه لأنه شديد العناية بجزء من الوطن العربى ؟ ولماذا
بصرامة فى جريدة (التامس) وأثر عليه نواب البرلمان فهدوا عليه .

كان أستاذي الذي التقت معه من بغداد (ألفرد كيوم) . وهو قس ، ومثال للطيبة والخلق الرغبي وقد خدم الإسلام والعرب عندما ترجم السيرة النبوية إلى اللغة الانكليزية وأسهم في كتاب (ثراث الإسلام) في طبعته الأولى وكتب كتاباً عن الإسلام . ولا أحس بالشك في حلها بأن عهد بالإشراف إلى الأستاذ داوود كاكون لأنه سوف يترك الجامعة أستاذاً في إحدى جامعات أمريكا .

حاول مساعدته إقرائي بأن أعيّن محاضراً في الجامعة لأنه سيكون هو رئيس القسم . . وأن القسم بحاجة إلى ، وأنه يتقن بعلمين وبحش . لكن تخبرني معه لم تشجعتي على العرض ولأن جئت في مهمة واحدة هي الحصول على الدكتوراة ، وقبلت العمل في الجامعة معناه أن ألتحق في لندن عن زوجي وأولادي الذين يزفون شوقي إليهم كل يوم ، ورجية في العودة إلى العراق لحملته ورد جهله على . وفضلت للصراحة العامة على رغبتي الشخصية . وعندما أكون عضواً في هيئة التدريس في جامعة لندن سوف ينظر إلى أبناء العرب نظرة عالية لشعورهم بالنقص أمام كل انكليزي استعمر بلادهم وأقال أوضاعهم . وتلك طبيعة الأمم ، تنظر للغالب نظرة عليا . . ولكن لم أكتف بهذا . كانت حصيلتي لندن إضافة إلى الدكتوراة مجموعة شعرية طبعتها الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة ثانية سميتها (لغات الحياة) . فقد عانيت من شديداً وبأسائها الأمرين وكنت أجد في نظم الشعر نسبية وعزاء . كما كنت أكتب بعض المذكرات باللغة العربية لأحس بأنى ملزمت قارئاً على الكتابة باللغة العربية بعد أن عسرني اللغة الانكليزية وحياة الانجليز وحضارة الانكليز ومجتمعهم وملات حياتي ، ولا أجد فككاً من هذا المحيط إلا بالكتابة بالعربية . وأصبحت مذكراتي مطبوعة بين يدي القارئ ولها ألام النفس وفرتها وسفري ما بين بغداد ولندن . . إنها خاطرات صادقة ومذكرات واضحة لمواظف شاب ملتهب العاطفة صادق في مشاعره يعمر قلبه بحب البشر وما داخل قلبه الحسد لأي

سبب من الأسباب وما عرف الحقد حتى على أولئك الذين أسأروا إليه .
وفي كل يوم يقول ساعهم الله وهذا هم إلى الخير لأنه يؤمن بأن الحب يظهر
النفس وأن الود الصادق يدخل الاطمئنان إلى القلب ، وما عرف الطمع
فقد أعطاه الله خير ما أعطى وسخر من الحساد وأصحاب الحقد والجشع
واحتل لهم الأعداء مردفا قول الرسول الكريم :

(خير الناس أهداهم للناس)

أجل كنت أحتل الأعداء لكل مسيء إلى وكل إنسان لا يريد الخير
للإنسانية ، ففى ذلك راحة النفس .

كانت جامعة لندن باعنا فكرنا لى وحضارنا لروحي وكانت حياة
للجتماع الحضارى من أهم العوامل المؤثرة فى تطورى الفكرى وحدتى
العلمى . ففى الجامعة تعلمت أصول البحث العلمى للتحايد وأساليب
المراسة المثقة .

كنت أتمنى أن أحصل على الدكتوراة من القاهرة بعد أن حصلت على
المجستير من الإسكندرية . . وكانت أوراقي كاملة فى القاهرة .

بعد التحدى الذى قبولت به فى بغداد أرسلت بظلمى إلى لندن
وأكسفورد وكامبردج وأجابتنى الجامعات الانكليزية ، وسكنت جامعة
القاهرة .

فسافرت إلى لندن وواليت الرسائل إلى القاهرة . . لآلى كنت شديد
الخوف وحميق الحية من جامعة لندن لغة وفكرنا وحضارة .

فما ردت على القاهرة برغم مرور ستين وأنا أحب فى كتابة الرسالة .
ولما انتهيت من الكتابة وجميع الرسالة ولجليدها وأنا فى الطريق لتسليم النسخ
إلى مسجل الجامعة جاءت المعبزة الكبرى برسالة من جامعة القاهرة
تعتطف على وتتلطف لى قبولى طالبا لى الدكتوراة ، وعسدت الستين

الضاحكين سنة واحدة في (أسلوبها الجامعي) ويجب أن ألقى سنة أخرى حتى يحن لي الحصول على الدكتوراة .

بخ . بخ يا جامعة القاهرة .

هذه هي أمثنا . كم أضاقت من وقت !

وكم أهدوت من قوى الإبداع ومقومات الفكر الأصيل لأنها ما تزال تسير بأسلوب قديم ونهج عتيق . . أكل الدهر عليه وشرب كل طعام العالم وميل البحر

كل شيء سقط في عللنا العرى خاضع للشعور بالنقص وعدم الثقة وإظهار المعثرات المارغة والفروسيات الكثافة .

الظواهر والتعقيد وحب الذات والشك في الآخرين من مظاهر التخلف العميقة في النفوس . فالوظف لا يتق بزميله ولا يرثيه ولا يمن يعاونه في عمله . الشك وسوء الظن والانهام هي القاعدة واشتهر القول (إن سوء الظن من حسن الظن) . النفوس لا يتق بظلاله ومنى وثق بهم عند ضعيفا . والشرى لا يتق بالبايع وإلا عد مغفلا . إنها حلقة متصلة وقوية الرباط في مجتمعنا سداعا خياع الثقة ولحمتها الشك في كل شيء .

وتكثرت في بعضهم حتى يشك بنفسه . . إنه المجتمع الذي ابتلى بواقعات كثيرة خلقت منه الشك وسوء الظن .

عندما كنت في الإسكندرية تقدمت بعنوان الرسالة لأستاذي المشرف وقد كان رحمه الله رئيسا للقسم وصيدا . . فقدم العنوان إلى مجلس القسم وبعد الموافقة والمناقشة التي لا بد منها حسم الأمر لأن المشرف سيطرة إدارية ثم أرسل العنوان إلى مجلس الكلية . وبعد الموافقة ذهب إلى الجامعة ولا أعرف ماذا جرى له ثم عاد إلى الكلية .

إنه وقت ضائع أصله الشك وعدم الثقة بالأستاذ والكلية ومجلسها .
ولي لندن اتفقت مع أستاذتى المشرف بجلسة واحدة على العنوان
وسجله وأخبر الجمعية بذلك وكفى الله الباحثين شر الروتين . . ولما انتهت
من إعداد الرسالة قال لي الأستاذ المشرف :

على نريد أن تناقش الرسالة ؟

وبهذه البساطة وبكل الوضوح وجوته التأجيل لأنى مرهق الأعصاب .
أنا أعدد الوقت الذى نريد ؟ قال: عندما نرتاح نحدّ ، وحدد لي الموعد الذى
نريد به أعجب العجب أن يكون للطلاب رأى في وقت المناقشة . . بعد أن
سافرت للراحة من هذه البحث وإعانة قراءة الرسالة . عدت إليه فقال لي
برقة :

هل أنت مستعد الآن ؟

قلت : نعم !

قال : هل يلائمك يوم الإثنين ؟

قلت : نعم .

وسألت : هل قرأ المناقشون الرسالة ؟ قال : نعم . عند ذهابك
للاستراحة والاستجمام انقروا معى على الموعد . .

ذهبت إلى غرفته ولم يكن فيها غير المناقشين وفى الغرفة إيريق للشاي
وأكواب حسب لي أستاذتى كوباً من الشاي ونحن نشرب جرث المناقشة بكل
بساطة وبكل سهوله وبسر ولم أجد فى المناقشة هولة إظهار البراعة العالية
أو العنتريات الفكرية ولا إخراج فى الأسئلة ولا مبالاة فى القول . . وبعد
حوالى الساعة والتصف قام أستاذتى . ولما رأته قائماً قلت لمصافحنى
وشكرون على الرسالة .

وخرجت من غرفته حامياً النفس مطمئن الأعصاب .

المجستير :

أربع ساعات أو تزيد كانت مناقشة الماجستير في جامعة الإسكندرية . وكان عدد الحاضرين في القاعة الكبرى كبيراً وبالرغم من أن الأساتذة الذين ناقشوا هم من نخبة الأساتذة علمياً ومعلماً ومفهماً وتواضعاً فقد طال أمد ساعات النقاش . رحمه الله وهم محمد عطف الله أحمد ومحمد طه الحاجري ومحمد حسين فقد كان جو المناقشة مشحوناً بتوتر الأخصاب وطافها بالرغبة . هيمن عليه الخوف والقلق .

ولما انتهت انهار على الزملاء بالأعضاء والقبيلات وكأني أخرج من معركة من معارك الحرب وقد انتصر فيها القائد الجسور وبقيت أعضاؤه تائرة مضطربة مع أني أحسنت في العمل وكان المناقشون من أحب الأساتذة إلى نفسي والفرحهم إلى دوسي وكنت أرتبط بهم بروشاح عميقة استمرت طوال حياتهم ..

غير أن للامتحان والمناقشة العلنية أمام الجمهور رهبة في نفسي تخلق جواً من التوتر والقلق والخوف .

الدراسة الخاصة :

بدأت في دراسات خاصة في المسجد للدراسة باللغة العربية والفقه ولكن الأسلوب الذي سار عليه الأستاذ كان شديد الإزهاق ، فقد كان يطلب مني حفظ المتن حفظاً دون أن يشرح لي شرحاً مقنعاً . فإذا ناقشته في الأمور قال لي إنها فوق مستواك العقلي ، فتركزت الدراسة غير آسف عليها . كنت طالباً في الدراسة في الصف الخامس في الابتدائية وكنت كثير الاغلاط في القراءة . وكان يهضب ويقول : لاتلمن .

ولم أكن أحرف كلمة (اللمن) وما كان رحمه الله يعرب لي الكلمة التي أخطأت فيها أو يدلني على الصواب .

ودرس القرآن الكريم عند عدة مدرسين على الأسلوب القديم . وكنا نجلس على الحصير ونقرأ المدرس ونحن نردد مايقوله أو كان يوجه طالباً أقدم منا لتدريسه . والطريف أن بعض هؤلاء كان يدرسنا علامات الإعراب باللغة الفارسية (كالزير والزير واليشر) عوضاً عن الضمة والكسرة والفتحة . وكان علينا أن نحفظ ذلك غياً أيضاً . وهو إرهاب آخر ودراسة دون فهم . وكان هؤلاء يعتمدون على الحفظ على التعيب لذلك كثيراً ما كنت أنهرم من هذه الدروس . ولما كانت هذه الدورات في الصيف فقد كنت أشتاق إلى الدراسة في المدرسة النظامية فأجلس على راحتي وعتدي مكان واسع وساعدنا المعلم على الفهم بالسهولة والطباشير . وكانت هناك فترة راحة بين الدروس لا نملكها في هذه المدرسة الأهلية القديمة إلا لقضاء حاجة .. أو شرب الماء ..

وبعض هؤلاء كان يضع القرية وفي فيها قسبة ننص منها الماء داخل أهل التدريس حتى لا تترك القاعة أو الحجرة التي تدرس فيها . وكنا نسعد سعة خاتمة عندما يرسلنا المدرس لقضاء حاجات النار في الخارج أو يرسلنا إلى السوق لطلب (التركيلة) المعمرة من القهوة المجاورة .

ودرس القرآن على (لا لا عارف) و(علا شهاب) وتطورت هذه الكتابات . وجلب لنا بعض الرحلات أسوة بالمدراس من جراء تدخل المعارف . وكانت الدروس في بيوت المعلمين ثم خصصت (الكنية) في بحرية لتعليم القرآن واقتسم المعلمان هذا البناء الطيف الذي هدم للأسف الشديد وهو من طراز معماري جميل ودخل الشارع العام بعد توسعة الشارع الذي يسير مع نهر خراسان .

إن ضيقت التاريخ ليس من السهولة ، فقد كنا ندرسي أيام المظلمة لدرسية بصورة عامة . وبدأت قبل دخول المدرسة الابتدائية - وخلال لدراسة في المدارس الابتدائية درست في بحرية ثم الخالص (الثالثة)

ثم منصورية الجبل (عقل عباس) ثم في المقدادية (شهريلان) وكان ذلك سببا
في خلق حالة نفسية من الاضطراب والقلق ، لأنني لا أكاد أكون صداقات
وأكلف المحيط حتى تنقل إلى مكان آخر من لواء ديالى .

العمل الرائع

النبيوغ والاكتشاف

الفصل الرابع

النمو و الاكتشاف

إن المبتكر والمكتشف الواصل من نفسه لا ينخر بما اكتشف أو يبايها بما ابتكر ، ولا سيما إذا كان صاحب نظرية جديدة في الأدب أو الفن أو أضاف شيئا لم يسبق إليه باحث في ميدان علمه وساحة دراسته. ولقد لا يعرف أنه اكتشف جديدا أو ابتكر رأيا حديثا لأن الاكتشاف الجديد والنظرية الحديثة غالبا ما تكون جزءا ذاتيا من فكرة فردية وحالة ذاتية يفرضها عليه العمق الروحي والفكري . ولا يعرف ذلك إلا إذا وجد صدهاء في المجتمع أو الفكر أو إذا كان له رد فعل في الساحة الحضارية . لأن الإبداع لا يمكن فصله عن فكر الإنسان الذي يحس بأنه جزء لا يتجزأ من هذا الفكر . . . ومنى ظهرت آثار هذا الرأي في ساحة الفكرية علم أنه جاء بشيء جديد . . . لذلك وجدنا كثيرا من المبدعين والمفكرين والفلاسفة لا تكشف نظرياتهم عن إبداعهم إلا بعد موافقهم وأحيانا بعد قرون متى توفر للدراسة باحث أو أراء دارس أن يكشف عن إبداع أحد العلماء والأدباء والمفكرين . فنظرية العمران التي جاء بها ابن خلدون لم تعرف إلا في العصر الحديث بعد أن توفر لها باحثون ودرسوا المقسمة فوجدوا بأن ابن خلدون جاء بشيء جديد في علم الاجتماع . والقاضي الجرجاني ونظريته في الملكية التشريعية والتحويل على

التأمل الباطني الذي اخذه من عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإحجاز) وشرح نظريته في النظم وأسس كتابه على الأسلوب النفسي فكان كتابه (آراء البلاغة) من لوائك الدراسات في علم النفس والأدب. ولم يعرف ذلك إلا في العصر الحديث . فعبد القاهر أول ناقد عربي بحث الأسلوب العلمي النفسي في النقد كالطرب والألفه والغربة التي عرفها العصر الحديث متأثرا .

وإذا كان لصاحب النظرية أو الرأي الجديد من بدل على أمثاله أو إذا انتسب إلى مجموعة فكرية أو طائفة علمية أو شلة حضارية فسوف يشتهر علمه ويذيع صيته وبخاصة أن هناك من يحسن الدعاية لنفسه ومنهم من ينجله العلم والرؤية العميقة والتأمل الواسع من نشر فضله أو ذكر إبداعه وجديده .

والمجتمع المتحضر الذي يتبع آثار المفكرين يعرف قيمة الجديد والمبتكر بعد أن عصفت مؤسسات للاختراع في الغرب وأصبح للعلم حيونه التي يتابع بها كل إبداع .

ومع ذلك فالصنف أو الحظ يلعب دوره في شهرة الإنسان المبتكر ، والظروف العامة تعمل عملها وتؤثر أثرها حتى في الغرب . فقد منحت جائزة نوبل إلى ت م س إليوت مع أن عزرا باوند هو الذي صحح له شعره وهو الذي نصح له فصيلته الشهيرة (الأرض الخراب) وحلف منها ما لايراه جديرا بالبقاء .

يبدع المبدع دون أن يحس المجتمع به إلا إذا كان متطرقا في الرأي ثائرا في قوله موقعا في التطرف والإثارة. فقد أرسلت نقالا إلى مجلة (العربي) بعنوان (تجديد الرصافي) ونشرته المجلة بعنوان (شلوة الرصافي) فأحدث غسجة لأن العنوان كان مشيرا. ولما غيرت العنوان لم يلتفت أي باحث إلى الموضوع لأن أعدته إلى (تجديد الرصافي) وطبع في كتابي (في الأدب

العرب، بحوث ومقالات نقدية) فقد صدم الساحة الأدبية بالعنوان فقط . حتى ثار على الأدباء وأصدر أحدهم كتاباً كله شتائم وسياب . رحمه الله . فقد اعتذر قبل موته ولكن ترك وراءه أثراً يندل على عقله وفكره . ولولا العنوان الكبير الذي وضعت له المجلة لم المقال بكل هدوء ولم يلتفت إليه باحث .

فلابدع إذا لم يكن وراء جماعة تنشر رأيه وجمع يبنى نظريته وحزب سياسي يست قوله وينشر فكره وتخلق المؤسسات منه شيئاً كبيراً فلن يسمع به أحد أو يصبح رائداً لأن الجماعة أو النادي أو الحزب يريد أن يرتفع بارتفاع أسياد أممته وشعرائه وكتابه وينشر أسيادهم وينشر صيتهم .

فكم من إمام في الفكر الإسلامي لم يعرف إلا بعد أن ثبتت آراءه جماعة وتحزبت فئة أو دولة أو سلطان لنشر فكره وقفاه .

وهل انتشرت المسيحية إلا بعد أن تبناها الملوك ؟

وهناك مراكز عامة للمشهرة . فالمواضع تكون بؤرة الشهرة ونشر إسم المبدع ، فشاعر في بغداد أشهر من شاعر الديوانية والتجف . وشاعر القاهرة أشهر من شاعر بغداد ، وشاعر لندن أشهر من شعراء العالم الثالث ويلزيس تدفع بالكتاب إلى الشهرة فجاء إليها هينغواي فاشتهر وسافر إليوت إلى انكلترا فطار صيته .

رائد الأدب :

إن ما قمنا به من جهد لم يصحبه الدوى والدعاية ، فقد كانت آرائنا هادئة في كتبنا ونظريتنا رابضة في طيات ما نشرت . ومنى أتبع لها باحث سوف يخرجها من السكون والتواضع إلى الضوء الساطع . صحيح أن عذوب علمي الجديدة معروفة وأسلوب بحثي واضح كل الوضوح عند المفكرين والكتاب وطلاب العلم الذين جاءوا بعدى ولكن المعاصرة

حجاب .. بل إن أحد الزملاء أخذ كثيراً من إنتاجي واستفاد منه ولم يذكر حتى اسم كتبي ضمن المراجع والمصادر التي استفاد منها .. سيأتي الوقت الذي تعرف فيه جلد أبحاثي وريادة فكري عندما يلقف ناقد نفسه فيدرسها ويعرف مقدار أثرى في المعاصرين . وكتبي أول لبنة في البحوث الجامعية ولكن لم يتج لها باحث أو دولة أو ناقد ينشرها . وكم من أعلام حرموا نصيبهم المقدر ومن شهرة طارت بعيدة عنهم كل البعد . فالحليم الشهير بعد أن ترجمت ربايعاته إلى الانكليزية على يدي الأديب (فزجرالد) وأصبح على لسان كل إنسان مع أن الرجل كان عملاً من رواد العلم ورياحاً له نظرياته الكثيرة التي واكبت الحضارة الإسلامية وهذا كافتور الإخشيدى من أحسن حكام مصر وأقدرهم على إدارتها وقد رضى بقلب أستاذ ولم يلقب بالسلطان . وهذا (نراقوش) وهو من غير من ساس وقاد الجيوش وبنى العمارة في مصر لكن سمعته ملطخة بالوحل لأن (ابن ممان) كتب عنه (الفانوش في حكم نراقوش) وأظهره بمظهر الأحمق النافذ . وصدق الناس هذه الأقوال وهذا ميكافيل وأراؤه السيئة في الحكم طار صيته مع أن كتابه نموذج للانتهازية وسوء الخلق الرديء .. لأن أحد الملوك قد تباه . وإذا تبعنا الشهرة التي حصل عليها بعض الناس لوجدناها كالطبل صوتاً ومثل يخطه غواء . فالشهرة ونشر الإبداع الفكري لا بد لها من مسيات وإعلان مستمر دائم وضعت القواعد الأولى للأدب العربي الحديث والتفند النفس وتلويح الأدب في العراق في كتبي وسبقت الكثير من الباحثين والدارسين في بحوثي العلمية والجامعية مثل :

- ١ - الشعر العراقي في القرن التاسع ، خصائصه وأهدافه . العراق .
- ٢ - والشعر العراقي الحديث والتيارات السلفية والاجتماعية .
- ٣ - وفي الأدب العربي الحديث : بحوث ومقالات نقدية .

٤ - وتطور الشعر الحديث: بواعث النفسية وجلبوره الفكرية

٥ - وأثر الأدب العربي في مسرحي الأدب الغربي

وهي وغيرها من كتبي الكثيرة الرائدة في حقلها إذ لم يسبقها في نهجها رسائل علمية في هذا المصير سواء في مصر أو أوروبا - في الدكتوراه أو الماجستير حسب علمي، مع وجود دراسات علمية قليل لم تسر في الأسلوب العلمي النظم وتضع القواعد الحديثة للدراسة المنهجية وتهد الدراسة للبحث بأسلوب علمي منظم. وأحسب أنني أول من تبنى في العراق دراسة النقد النفسي في كتابي (في الأدب العربي الحديث) و (قول في النقد وحداثة الأدب). ولبي كتبي بواكير رائدة لكثير من الآراء التي أصبحت منتشرة بين المثقفين لأن درست عددا كبيرا من الطلاب الذين أخذوا مركز الصدارة في الحياة الأدبية والفكرية وأسعدوني عندما أصبحت أراهم جزءاً من فكرهم دون أن يحسوا بأنني أول من قلت هذه الآراء والنظريات. فقد وضعت عدة قواعد وأبحاث جلبور الأدب مما لم يسبق إليه يالحت .

نظرياتي الجديدة :

أشرت في كتابي (التجديد في الشعر الحديث: بواعث النفسية وجلبوره الفكرية) إلى نظريتين مهمتين في تاريخ الأدب الحديث في العراق والعالم العربي .

الأولى : أثر القبح في الأدب والخلق في الإبداع وبرهنت على ذلك بالأثر النفسي في الإنتاج الفني للشعراء وتوجيه علم النفس في إبراز الظواهر النفسية والفنية في إبداع الشاعر العربي بصفة عامة .

الثانية : الوثنية وأثرها في الإبداع في العالم العربي، فقد ظهر لي أن الشعراء في العصر الحديث يعيشون في دوامة الوثنية الشعرية، وأصبحت القاعدة العامة لكل الشعراء والمبدعين في الوطن العربي، واتخذوا من

الزعماء والرؤساء أمثالها وألحقة جديدة وأولادها جديدة يقيمون لها الشعائر الأدبية ويحرقون لها البخور الشعري ويصاحبوا في خدمة هذه الوثنية بفكرهم وشخصياتهم وأصبحوا جزءا من الوثن الكبير والصنم الشهير بشعرهم وأدبهم، وصنموا الصنم الشعري والوثن الأني الذي علقوه بأنفسهم والأمثلة كثيرة، وقد ذكرت بعضها في كتابي (التجديد في الشعر الحديث: بواحه النفسية وجلوره الفكرية) .

ومن الأمور الجديدة القديمة التي ما لبثت إليها الباحثون الخلط بين فترة الدولة العثمانية التي انتهت بالدمستور العثماني المعلن في ١٩٠٨ ودور الأتراك الاتحاديين الذي تلبوا ظهر النجم للعرب . وجه الباحثون لخطوطا بين العثمانيين والترك، وخرجوا الأتراك على أنهم العثمانيون، وعند الباحثون العثمانيين هم الأتراك . ولا شك في أن الباحث السطحي لن يرى فرقا كبيرا مع أن الحياة الشرقية والمسألة الشرقية قامت على هذا الاختلاف، وفي مظلة خدمت الدولة العثمانية وانتشر الاستعمار الغربي في الوطن العربي وبعين الغرب على المقدرات السياسية والاقتصادية والفكرية للوطن العربي كله، وكان من جراء الخلط بين العاصمين ظهور نتائج مضطربة وأحكام غير صحيحة في تاريخ الشرق العربي . الإسلامي وعدم الفهم لبعض الأحداث التي جرت في حقلنا الفكري .

فالدولة العثمانية كانت تنظر من تفاوت في النظرة، إلى العالم العربي نظرة خاصة والحرص عليه كل الحرص لأن العرب أمة الرسول العربي التي تدعى بهذه الدولة العثمانية وهم جزء منفصل من العالم الإسلامي وكانت للعرب مكانة خاصة في الإدارة العامة وتعيين الولاة واختيارهم، كما كان للعرب احترام واضح في تفكير هذه الدولة ونظرتها إلى القضاة العرب الذين كانوا ضمن الجيش العثماني . وقد أوضحت ذلك في كتابي (الاشتراكية والقومية) ولا أعلنت جملة الاتحاد والترقي مبدعها انتقلت

نظرت إلى الأمة العربية وبالتالي إلى الضباط العرب واللغة العربية وأخذت تنظر إليهم نظرة طورانية قومية ودرت إن الأثر لك طبقة خاصة أهل من أمة أمة في إطار الدولة العثمانية .

فأرادت تزيث العرب والشعوب التي تحكمها والأمم غير التركية التي تسهر عليها بعد أن ورثت الدولة العثمانية السلطة .

وبذلك وضعت حداً بين العثمانية المسلمة والتركية الطورانية المتطرفة . وما زال بعض الباحثين لا يفرقون بينهما .

ولعل أول من فرق في كتبه بين الأدب الصناعي والإبداع . فإن الشاعر أو الأديب أو الفنان بصورة عامة يجب أن يكون صانعاً ماهراً حتى يكون مبدعاً لأن الصناعة المحكمة في الأدب يجب أن تتسم بالأسلوب البعيد والعبارة المختارة والفكر العالٍ والمعنى الدقيق مع الحفاظ على قواعد اللغة وصرفها واتقان علومها وبعد ذلك يأتي المبدع في الإنتاج الفني .

إن المبدع هو الذي يأتي بشيء جديد الأدب ويطوره ويضيف إليه إضافة جديدة لا يعرفها الأدب ولم يألّفها الشعر وجهلها الفكر من قبل . . وكل مبدع يلجأ في إبداعه قائمة جديدة بإضافته للمتنازة الواضحة سواء كانت في المعنى أو في استعمال الكلمات أو في طريقة المعالجة الفنية . . وليس كل صانع ماهر مبدعاً .

الفكر العربي والثورة الفرنسية :

ولا أحد الخليفة إذا قلت إني أول من تنبه إلى أثر الفكر العربي والإسلامي في الثورة الفرنسية وقلت هذا بكل هدوء وتواضع لأن لا أحب التهريج وهي نظرية تحتاج إلى براعم كثيرة أحسست فيها بالأثر غير المباشر وعسى أن يبرهن على الأثر المباشر من يقن اللغة الفرنسية ويعرف أبعادها وتاريخها معرفة عميقة .

إن ديدرو ومتسكيو وفولير قرأوا الأدب العربي والفكر الإسلامي وتأثروا به لأهم ردوا عليه وهاجوا الإسلام وسفروا من الرسول الكريم ومن القرآن الكريم. ولا بد أن يريد أن يهاجم أن يقرأ وأن يفهم ثم يحسم. ولا شعور بتأثر الفكر العميق النظري بما يقرأ من الأمور السليمة والآراء الصحيحة التي غيرت تاريخ البشرية وبدلت طراز حياتها وفكرها .

وقد درس هؤلاء حرية النقاش التي أثارها علماء الكلام ، والنقاش الذي كان يثور بين قادة الفكر الإسلامي في مختلف العصور بعد الانقسام الفكري في الفقه الإسلامي والنظرات المتعددة التي جاء بها المناطقة وأعداء الدين الإسلامي والشعوبيون الذين يكرهون العرب .

إن النقاش الحر الذي تولد من اختلاف وجهات النظر ظهر وانحسب في تقليد الفكر الإسلامي وجاء الشرق أسلوبا ووجاء أخفوا في طياته أفكارهم التي وقعت ضد الملكية ونظامها وضد رجال الدين الذين تسلطوا على الشعوب واستطلوها ورأوا سباحة الدين الإسلامي وحرية المسلم في النقاش والحوار. فقد كتب فولير (زانديك) وهو اسم (صديق) العربي وحكاهات من الشرق وانتشرت بينهم حرية الرأي التي وجدت عند المسلمين .

ولقد ألقيت محاضرة في البحرين وأعدت لداولتها في مجمع اللغة العربية بالقاهرة والإمارات العربية والطاقيف وفي عمانجستراحول فيها أن أبحث الفكرة وأنه طلاب العلم لدراسة هذه النظرية التي أراها ضرورية مؤثرة في الغرب من أثر حضارتنا غير المنظورة في فكر الغرب وأتمنى أن يكمل هذا البحث غيري فيضيف إليه الأفكار التي لم أستطع الوصول إليها لحاجة البحث إلى الشواهد العلمية والنصوص المتعددة وهي متوفرة بكثرة في أدب فرنسا بالدرجة الأولى ولدى كتاب الغرب بصورة عامة .

وبالبحث الدقيق الواعي والفهم العميق للتواصل سيجد الباحث أموراً كثيرة متى وقف نفسه على إعداد رسالة علمية أو كتب كتاباً جليداً متبعاً

كتابات عليه الغرب مثل السير (هملتن كيب) و (أوليفري)
 و (سيكردهوتكه) و (كوستاف لوبيون) و (كيريل) و (دين باتو) ومن
 القدماء (فكتور هيكو) و (شلر) و (بايرون) و (وريزورث)
 و (كولرج) و أخيراً الأستاذ زميل (بوزورث) وأستاذنا (أبري) .

إن اعتراف القوى الغالب بالمللوب ليس سهلاً فيجب انتزاعه
 انتزاعاً بالرخم من أن بعض الباحثين تحدث بإتصاف وعدل . . . ويجب أن
 نتبع ذلك باستمرار وإيمان صادق حتى نصل إلى ما نريد من النتائج
 والأحكام الواضحة .

بين مصر والعراق :

أما بالنسبة لي وما قدمته . . . فإني إنسان معاصر لا مثال من المفكرين .
 وفي العراق يختلف الأمر فإن كل باحث ولو كان ناشئاً ، يظن أنه الرائد
 الأول والمبدع الأول وكل الناس أصغر من أن يدرسهم . يعكس الحياة
 الفكرية في مصر التي تقدر الفكر المتقدم وتعطي أهمية للسابق من الفضلاء
 وتركز على أصحاب الرأي الأوائل . . . وهي في الحق وثنية فكرية ودينية
 مصر من أيام الفراعنة لكنها سلبية فيها إيجابية لبناء الحضارة الجديدة
 والقدمة .

فالمصري لا يهدم وإنما يبني شيئاً جديداً . فعندما أرادت مصر إدخال
 العلوم الجديدة قدمت أكثر من تجربة حتى بنت دار العلوم بعد تجاربها . ولما
 أرادت محاكاة الغرب وعملية الاستعمار بنت الجامعة المصرية . وفي العراق
 هدمت أول جامعة أراد الأحرار بنائها وتكلموا عليها ونظي فهمي القدرس
 أسفاً ولما . . . لأنه كان رائداً سهل عصره ، ولأنه كان مفكراً أراد أن يبني
 شيئاً جديداً لأمة ولكن فردية العراقي حالت دون تحقيق أمه .

هل أجد النصف ؟

المعاصرة حجاب . وليس عندي انتهاء لفئة أو طائفة فكرية أو تجمع سياسي أو شقة بلدانية أو تيار اقتصادي لدعم أفكارى ونشر كتبى وخلق رأى علم يؤازر أفكارى . . وأنا لا أحب أن أكون حرفا فى سطر من السطور ، أو سطرأ فى صفحة من الصفحات أو كتابا فى مكتبة . أريد أن أكون عليا مفردا . وقد قامت كل شهرين على ما بقلت من وقت وما قدمت من خدمات فكرية وآراء أصية ومن مشاركات فى حلوق المعرفة العامة .

فهل سيأتى النصف المالحد والباحث العلمى الصالح ليرى مقدار ما قدمت للفكر العربى والتاريخ الأدب ونهارات النقد ، وينصف هذا الأدب وأسلوبه الذى حاولت فيه خدمة أمى وتعليم شعبى وبت أفكارى . ولو حرص أمى الباحث الجلف فيسبب ولكن يريح البحث العلمى الشبه الكثير منه ومن صلفه وصبره ونتائج بحثه عندما يدرس إنتاجى الكثير .

لم أدخل نفسى فى التجمعات لأن معنى ذلك أن أجهل على حساب الحقيقة أو أسكت إذا رأيت أمرا سيئا لأن الموازين فى العالم العربى فيها خلل واضح من جرأه الصائب والكوناوت التى أصيب به فى حياته ومجتمعه . ولا قدرة لى على قول غير الحق وما آراء حق . وأرى أن أصحاب المثل العالية لن تكون لهم مكانة فى مجتمع مضطرب للوز . . ويخفق هؤلاء لأن الحياة المضطربة ليس لها قابلية على التسريح المثل . . لية لأن المثل السامية بحاجة إلى هدوء اجتماعى واستقرار حضارى وفكرى . يرفع عن الصفائر .

لفقدان المثل العليا :

فى مجتمع تدنت مثله واضطربت تقاليده والنحطت لصرافاته خوفا من الأذى وهلما من التعليب والهبيا من الإهانة لاهد للمرء من أن يفقد المثل العالية التى ورثها وعرقها والتد بسياج ثنائها وقضائها .

إن الرجل النبل الذي يفتنى من الهوان النفسى والذلة الروحية يتقدمه أصحاب السوء ، لأن الناس يخافون منهم في حين يترفع الشريف عن الرد عليهم . وفي مثل هذه المجتمعات سيكون هؤلاء هم أصحاب الرأي ورغم جهلهم العلمى ، اغتياء بالزلفى والغنى واللذة حتى قال الشاعر :

لا يصلح الناس فوضى لا امرأ لهم ولا امرأة إذا جهلهم سادوا

فالقلوب والمناطق والهيون هو الذى يقدر على مجازاة اختلاف الحياة وتنوع الحكام وتباين الآراء التى تلى فى كل حورة اجتماعية مضطربة المثل . والغنى قديم فى العراق ، وهو مرضى ليس لنا فيه بد. ولدت الحوادث والمصائب والكوارث ووجود حكام تحكموا فى الرقاب وأببح لهم قتل الناس وسجنهم وتعذيبهم . وخاصة يكثر الضيق إذا استبد الحكام ، ويكثر فى الشعب أصحاب الزلفى عندما تكتم الأكسة وتقتل العدالة وينتشر الظلم فيلجأ الانتهازي باستبداد سيده ويختمى بتسلط حاكم وتكثر السجون وتعمر بالأبرياء ويتقدم التافه ويخطفى التابع لأنه يعرف لبعه نفسه وتتحق النظرية الاقتصادية (العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة) .

إن آرائى فى الدعوة إلى الحرية ومحاربة الاستعمار والانتهازية ونظلى للمجتمع العربى من حالته المتردية إلى مستقبل أفضل نثرت فى كتفى بصورة غطيفة. فيها إرشادات والخبرة وفى سطورها رمز واضح لكل ما أردت أن أقوله ، ولئن يعرفها إلا من تفرس بالفكر العميق والنظرة الناقلة ، ولئن رأى هذا الإنسان بيسر وسهولة وأنا على قيد الحياة . ورغم ما كتب عنى من دراسات ليست بالحيثة أو القليلة فما سير غور فكرى أحد .

أنا والبحث العلمى :

كتبت كتفى فى حقول المعرفة المختلفة فى تاريخ الأدب والإبداع ، ودرست المظاهر الفكرية والبيانات الحضارية التى مرت بالعراق والعالم

العرب . وكانت بعض دراسات ذات أثر واضح في مسيرة الثقافة العامة وتاريخ الأدب . بدأت مسيرة البحث وسط كثافة بذائية لم يدخل سوحها إلا القليل ، وسهلت الصعوبات والتعقيدات في الحصول على المصادر المخطوطة والجرائد القديمة التي كانت بحوزة الأفراد ولا يظفر بها المرء إلا بجهد ومشقة وتوسط الأصدقاء . كان أدخل إلى غابة مهجورة ما دخلها أحد قبل فطعت الأشجار التي تعوق الحركة للوصول إلى الهدف ومهدت الطريق حتى أجد بغني من الصيد ، ورست خطوطها العامة ومسيرتها الواضحة . وجاء بعض أناس وجدوا الأمور سهلة والطريق ممهدة نصف في الطريق بعض التباينات وزين الطرق وأكمل المسيرة ولقد الخطى ولم يزد إلا بعض الشوارع القرمزية وقطع بعض الأشغال البرية في إنتاجه وفي الحقائق التي وصل إليها .

وقد سعدت بأن كنت أول الرواد في غابة العلم المشابكة الأغصان والتي فتحت الطريق . . ونمت أن يرتاد الجدد طرقا جديدة لأن ساحة الأدب والبحث العلمي في العراق ما تزال خضية . ووضعت لحولاء أسماء لمواضيع جديدة ومناوين لبحوث لم تدرس ، واقرحت بعض الرسائل الجامعية ليسير في هذا الجبل الذي جاء من بعضي . . وللأسف لم يأخذ بما اقرحت أحد الصعوبة كل بحث جديد لم يعبد لأنهم استسهلوا الأمر وفاتهم طعم الجديد وحلاوة الكشف الحديث لأنهم لم يظفروه . إنه أسلوب أكثر طلاب العلم والبحث العلمي في العراق إذ يسلكون أسهل الطرق وأسرعها للحصول على الشهادة العالية ولو بالجرأة على التأليف والتحقيق . ومن الغريب أنهم لا يذكرون الذين سبقوهم في هذا المضمار ومن مهد لهم هذا البحث ووضع لهم مصابروهم راجعه وحصرها لهم تسهيل لهم البحث ووضع الأمور سهلة بين أيديهم .

بل وجدت من يأخذ عني حتى الأخطا المطبعية وينقل دون أن يتأكد

من صحة النص وصدق المصادر والمراجع .

أحد أن أحد في عمل ما يستفيد منه الدارسون ، وأن جهدي لم يذهب هباءً وأحد عملهم زكاة عمل الكثير الذي قضيت فيه الجهد والشباب والعمر .

ولعل من اللقب أن أشير إلى أنني أقول من وضع وحدد بداية القصة في العراق في مقال لي . وأخذها الدارسون دون التحيص قبل أن أكتب كتابي (الرواية في العراق) ، وكنت مازلت في فترة العلم . فقد ظلت الأستاذ الأكمسي هو واضع أسس القصة في (مسجع القنبرية) وقرأتها بخطوطه وأنا أحد لدرجة الماجستير ، فالتفت باحثون هذا الرأي دون التحيص وحلّلوا الفكرة ووسعوها في كتبهم في بيروت ومصر . ولا يعرف المشرقون في غير العراق لأدب العرب في العراق . ثم صححت رأيي ووجدت أنني كنت متسرعا . . واعتطت الرأي على أستاذة فاضلة اشرفت على رسالة علمية وكنا نتحدث بالموضوع فاستغربت لما أخبرتها بالحقيقة .

وفي كتابي (الشعر العراقي في القرن التاسع) مثل هذا الأمر الذي استفاد منه باحث كنت سلمته الأطروحة بيدي ، ولكنه رحمه الله لم يذكر حتى اسم الكتاب في أطروحته وهو الذي استفاد من كتابي ومن (الشعر العراقي الحديث) أيضا في بحثه .

كتب عن إنتاجي الكثير وفي أكثر من مكان في الوطن العربي واستفاد منه طلاب البحث في العراق ومصر وأمريكا وألمانيا وأوروبا . ولا شك في أن هناك بعض طلاب العلم الذين لم أطلع على مؤلفاتهم الذين استفادوا من كتابي . وقد جمع بعض ما كتب عنى ووضع لأول مرة في (من رحلة الحياة) ثم أضيف له بعض الشيء عندما صدر كتاب (شخصية يوسف عز الدين الأدبية) ، وأقول بعض لعدم القدرة على الحصر ولأنني لم أكن أعني بجميع ما كتب عنى فقد كنت غارقا في أعمال متعلقة فلم أكن أقدر وأنا في أول

البحث العلمي أن يوسع إنتاجي وتكاثري للفنان وقرأها الباحثون ويكتبون عنها ويستفيدون منها يمثل هذه السعة .

إن الاهتمام كان منصبا على الإبداع والإبداع عندي هو الشعر .
فقد كتب عني بالانكليزية وترجم منها إلى الفرنسية والإسبانية والبولونية وفي اللغة العربية صدرت عدة دراسات . وكنت أظن أن تدرس آرائي في الاجتهاد والنقد والحركة الفكرية . . مع إنتاجي الشعري .

الدكتور المقاتل وعمق النقد :

آخر من كتب عني هو الدكتور عبد العزيز المقاتل ، وهو أول من وصل إلى أشياء في النقد الحديث في مقالة له نشرها في جريدة (سبتمبر) العدد ٢٦٣ في ٢٩ / ١٠ / ١٩٧٨ عندما كنت في اليمن . وكانت المقالة على صفحة كاملة ومن عناوينها :

الدكتور يوسف عز الدين شاعر معروف ونقاد يرى أن الناقد يمتلك النظرة العميقة والروية السليمة إلى العمل الأدبي ، هو الناقد المبدع أو المبدع الناقد .

ومنها :

معظم الأحكام التي يصدرها النقاد غير المبدعين لا تصدر عن تجربة أدبية أو مدانة حقيقية ، لذلك لا تكون دقيقة في كشف قدرات الأعمى في الإبداع . والرجل الناقد الشاعر اتبه إلى هذا بعد أن صدرت الطبعة الثالثة من كتابه (في الأدب العربي الحديث) ولم يسبقه ناقد أو باحث لفت نظره أحكامه في الإبداع

وبما قاله (وكان أول ما لفت انتباهي في الكتاب النقدي للدكتور المقتدر التالية من المقدمة وهي تفصح منذ وقت مبكر عن ضرورة أن يكون الناقد

أصياً عبيدا . أو بمعنى آخر أن يكون مبدعا . والتأقد الجيد هو الأنسب الجيد
الذى تحول إلى التأقد وهو الذى يملك النظرة العميقة والرؤية السليمة والفكر
الصائب عندما يكشف جوانب الأدب الخفية الملوثة بالقن والأصالة وسداد
الرأى فيساعد القارئ على الفهم ويمتعه بالتذوق لأن بين القراء من لا يريد
أن يفهم . وإذا فهم تجاهل الحقيقة ولم يفصح عنها وتوقف معاناة الكاتب
على مقدار فهم القارئ والسوء الروحى معه فى تجاهل الفنية وتقديره
لنبضات روح وفهم فلسفته .

(كان ذلك فى أوائل السبعينات ولم يكن الحديث عن التأقد قد أصبح
مثلا أو متداولاً كما هو عليه الآن . . حيث صارت الإنشكاليات العديدة
للتأقد الأدنى المعاصر تمثل فى أن كثيرا من التأقد لا علاقة لهم بالإبداع وأن
معظم الأحكام التى يصدرونها إزاء الأعمال الأدبية لا تصدر عن تجربة أدبية
أو معاناة حقيقية ، فضلا عن أن المبدع التأقد يمتلك على مر الأزمنة قدرات
أعمق فى النظر الدقيق إلى مقومات الإبداع بغض النظر عن التطورات
المنهجية .

(وأعود مرة أخرى لكنى أكرر القول إن التأقد المجيد هو المبدع الجيد
وإن تلك الإشارة الصغيرة قد صارت منذ سنوات ظاهرة تسمى فى عند
من المبدعين الذين يحاولون تأسيس تقاليد جديدة فى الكتابة النقدية تعكس
التطور الذى لحق بالأدب والفنون . .)

كم ناقد ومؤرخ درس كتبنى ووجد ما وجدته الدكتور عبد العزيز
المقالح ؟ ومنى درست كتبنى دراسة عميقة فسوف يجد التأقد المبدع من
الأراء والأفكار ما لا يجد فى غير كتبنى لأنها صدى المجتمع العربى الذى
أعيش فيه وتسجيل حقيقى لمعاناة الفكر والأدب والقن والإنسان فى أوطاننا
المسكونة التى عانت من حوادث الأيام ومن حكامها ومن أعدائها الكثير .
وفى كل كتبنى فى الأدب أو النقد وحتى التحقيق وكتب الإبداع فى الفصا
والرواية والشعر يجد البحث أمورا واضحة تارة وأخرى تلى فى طبقات

الجديد عن الأدب أو الفن لتسجيل الواقع الذي عشته بكل مرارته وآلامه وأحزانه .

كان رائدى التجديد في البحث والأصالة في الاستنتاج والصدق في الحقائق التي توصلت إليها .

وبلغت كل جهد في لم شمل كثير من الحقائق الثغرة وجمعتها وتنظمتها بأسلوب علمي لا توصل إلى نتائج قد لا تُرضي عنها نفسها ولا تطابق وجهات نظرى العاطفية ولكنى ذكرتها مهلباً .

إن إنتايج جمع بين التراث الأصيل والمعاصرة المفيدة لأن الجميع بين التراث وبين الجديد من ضرورات استخراج النتائج الصادقة ومعرفه الجذور . لهذا ستبقى بحوثى زائدا وموردة للتراث الحضارى والإبداع التجديد .

قد عشت في جيل رأى التطرف الأصمى وسعد بالاعتدال الأصيل لذلك لم أندفع في رأى إنما أعتدت من القديم خيرا ، واستفدت من الجديد أحسنه فمزجت القديم بالجديد فكان باهر النتائج .

المساهمة في المؤتمرات :

المؤتمرات التي حضرها كثيرة فقد بدأت منذ ١٩٥٠ وهى منه الفرجى من جامعة الإسكندرية إذ عقد المؤتمر الإسكندرية وكان من المشرقيين عليه الملحق الثقافي العراقي عبد الله القصيبى الذى عاد إلى السعودية وسعيد فهميم الذى كان يعمل في الجامعة العربية ومن أوائل الربين الصحفيين، فقد خدم الطلاب بمجلته (التلميذ) فسيما إلى الوفد العراقى الذى لم يكن فيه غير عبد الله القصيبى وغيرى على ما أذكر . . . وكنت أحضر عضوا ، وهو أول مؤتمر تعرفت فيه على جماعة من كبار رجال العلم والأدب ، وكانت أول مرة أجلس فيها مع الدكتور طه حسين ، ورأيت كيف يأكل على المائدة بحلق

وانتهاء وبالطبع لم أقدم شيئا غير المحصور في الأجهيزات والمساكنة في اللجان
ساكنة . . . والإستضافة من العلماء الذين سيلقون .

ولكن المؤتمرات التي حضرها بعد حصولي على الدكتوراة وأنضمت
عضوا في هيئة كلية الآداب ثم أمينا للمجمع العلمي العراقي ثم عضوا
وأيمنا عاما له كانت كثيرة سواء أكانت في الوطن العربي أم خارجه بداية من
العراق إلى بيروت ومصر وتونس والأردن والإمارات وانتهاء ببلندن ويطي
ويكن وشتهاى وإيطالية (روما وصفاية) وموسكو وواشنطن وبرلين
الشرقية وغايها .

وأكثر للمؤتمرات تخص الأدب والفكر العلمي باختلاف أمكانها وعمل
التطابقها . وكنت أسهم مساهمة فعالة في المناقشات العامة وأكتب بحثا في
المشاركة بهذا المؤتمر . . . وقد جمعت أكثر ما ألفت في المؤتمرات ونشرته في
كتبى منها .

١ - في الأدب العربي الحديث ، مقالات وبحوث نقدية ، طبع في بيروت
والقاهرة والرياض .

٢ - قضايا من الفكر العربي ، طبع في القاهرة .

٣ - قول في النقد وحداثة الأدب ، طبع في الرياض .

٤ - تراثنا والمعاصرة ، طبع في القاهرة .

إضافة إلى مؤتمرات مجمع اللغة العربية السنوية مع مؤتمرات للمجمع
العلمي العراقي ومجامع اللغة العربية التي عقدت في بغداد والقاهرة
ومؤتمرات بيت الحكمة في تونس . وفي مؤتمرات المجمع يحضر عادة
أعضاء المجمع ، أما في مؤتمرات كتاب آسيا وإفريقيا فيحضر عدد من أئمة
العالم ومثلها مؤتمر المستشرقين وفي كل مؤتمر ألاحظ الاختلاف في الوجوه إلا
التليل الذين يحضرون أكثر من مؤتمر وحسب مكان المؤتمر والغرض الذي
عقد من أجله . ولم أكن أتخلف عن مؤتمر لا يتعارض مع أعمالى الجامعية

وعمل الإداري في المجتمع العراقي. إن المؤثرات أثبتت في التعرف على عدد كبير من الأدباء والمفكرين والعلماء في مختلف الاختصاصات والاتجاهات الفكرية المتنافسة ما بين الشراكي، الفكر ورأسمالي، الاتجاه وإسلامي العقيدة إلى قومي الرأي من عرب وأجنبي وأحسب أن في بين مختلف أنحاء العالم أصدقاء ومعارف كثيرين وأنا من عائق الحفاظ على الصلات الأدبية لها أتقاضى عن الرد على رسالة أو شكر مؤلف يكتب في أو الرد على بطاقة تعطيني بمناسبة .

ولو سجلت الأسماء لكثرت أصدانهم كثيرة فإن في صلات مع أكثر بقاع العالم من الشرق إلى الغرب .

ففي المجتمع عدد كبير من الأسى لأن عضوا في هاجم متعددة وكذلك من أسئلة الجامعات عدد لا يستهان به يحكم عمل أساتذا ومن الأدباء والشعراء جمع آخر بهم لأن شاعر ونقاد . وفي الصحافة أعداد طيبة ما زالت صلات بهم إضافة إلى عدد من الطلاب الأوفياء الذين أصبحت لهم الصدارة في الحياة الفكرية والسياسية في بلادهم .

هذا النوع في الصداقات والعلاقات والمعارف من مختلف التيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية تابع من طبعي القائم على حب الناس وأنا الحُب والود والعلاقات الطيبة أجلى من التسلط وفرض الرأي والإيمان بأن كل إنسان لابد أن يكون في أصله طيب النفس حلو الأخلاق، فكان التقدمي والرجعي والمسلم والمحافظة والعربي والانكليزي والرومي والصيني والكروشي والأفغان والهندي والتركي والإيراني يتصلون في لقضاء حاجاتهم العلمية وإهداء كتبهم لي وأنا أياهم الفكر والكتب والرسائل . وبذلك أقدم الفكر العربي والأدب الحديث لكل الأمم وكل التيارات. وأمل أن ينهم هؤلاء قطائنا من دراسة إنتاجنا وفهم أدينا ومعرفة شعرنا وحضارتنا .

أنا لا ألزم بالقطيعة بين بني آدم لأن القطيعة تبتز الصلات وتقطع

العلاقات والخلق البغضاء والحقد ، إلا إذا كان خلق معقد النفس
من جراء تجاربه المريرة وحيات المؤلة ، وهؤلاء قلة بين بني البشر .
وأذكر من الراحلين الذين كانت لي بهم صلة :

الدكتور طه حسين ويوسف السباعي ويوسف وهبي وأحمد رامي
وصالح جودت ومحمد عبد الحليم عبد الله ومحمد السلام هارون ومحمد
خلف الله ومحمد عبد القوي حسن ومحمد طه الحاجري والسرمهليان كيب
والحاج جرماتوس الحجري وأبري والفرد كيم ومن السويد ناهيرج ومن
إيطاليا رزينانو وغيرهم كثير ، أما الأحياء أمثال الله أميلهم فهم أكثر من أن
أحصيهم في مختلف أنحاء العالم من المفكرين والأدباء وأعضاء المجالس وقادة
الرأي والفكر وإزياب الصحافة والشعراء والكاتب .

ومن أمثلة المؤلفات التي حظرت عن الطبع بالنسبة التاريخية :

اسم المؤلف	مكان الطبع	الناشر والمطبعة
١ - الآثار الفقهية للمصنفين	الاسكندرية ١٩٥٠	في كتابه
٢ - مؤلف المصنفين	القاهرة ١٩٦١	مطبعة الإذاعة في القصر الجمهوري
٣ - مؤلف الكتاب الفقه	بريد القاهرة ١٩٦٥	الكتاب العربي بالمطبعة الاسكندرية
٤ - كتاب أسيا وإفريقيا	بغداد والشعب	١ - المجلدات الفقهية بين العرب والمسلمين ٢ - أثر الفقه الاسلامي في الاسلام العربي ٣ - في ضوء الفقه بين شعبي (الفرانكو-الكتاب العربي) ٤ - الفقه الاسلامي بين العرب والفرانكو ٥ - أسهم الفقه في المجلدات الفقهية
٥ - مؤلف أسيا وإفريقيا	القاهرة	
٦ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بغداد ١٩٦٥	بمطبعة دار الفكر
٧ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٨ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٩ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
١٠ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
١١ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
١٢ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
١٣ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
١٤ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
١٥ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
١٦ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
١٧ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
١٨ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
١٩ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٢٠ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٢١ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٢٢ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٢٣ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٢٤ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٢٥ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٢٦ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٢٧ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٢٨ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٢٩ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٣٠ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٣١ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٣٢ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٣٣ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٣٤ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٣٥ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٣٦ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٣٧ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٣٨ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٣٩ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٤٠ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٤١ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٤٢ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٤٣ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٤٤ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٤٥ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٤٦ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٤٧ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٤٨ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٤٩ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	
٥٠ - مؤلف أسيا وإفريقيا	بمطبعة دار الفكر	

الصحف والمجلات التي نشرت فيها :

نُشر إنتاجي في كثير من الصحف والجرائد في العراق أولاً ثم مصر والوطن العربي بصورة عامة وكنت أكتب وأنتشر قضايا متعددة وأشياء مختلفة ما بين شعر وقصة وتعليق أو نقد .

لقد أتيت لي أن أكتب وأنا في الخدمة المتوسطة رداً لو أكثر في جريدة العالم العربي سنة ١٩٣٨ التي كان يصدرها سليم حسن . . وكنت متغنياً بجريدة العراق التي يصدرها في بغداد رزوق ختام ومساهما في جريدة الزمان التي كان يصدرها توفيق السمعاني كما نشرت عدة قصائد في جريدة (الاتحاد) التي يصدرها العبيدي وغيرها من جرائد بغداد التي نسبت أسماؤها لبعث العهد وموت أصحابها . . لأن الجرائد في العراق تنمو مع صاحبها وتموت إذا لا توجد روح الاستمرار في حياة الجرائد والمجلات التي أجدها في مصر .

فالأهرام زاد عمرها على المئة سنة . وهامس الهلال وآخر ساعة وروزاليوسف ما تزال حية برغم ترك رؤساء التحرير لها وجهىء آخرين . وبرغم اختلاف المشرقيين والمحررين في مجلتي للصور والكواكب فقد استمرتا في الصدور . وهذا هو التقارب بين أهل العراق وأهل مصر دائماً . أهل مصر يبنون ويستعمرون في البناء ويحافظون على التراث بصدق .

ثم بدأت كتاباتي أكثر بعد الحاجستير ، فكتبت في عدد من الجرائد والمجلات وتوزع إنتاجي ما بين العراق ومصر وسورية في (العربي) — والرأي العام في الكويت والمعرفة السورية والهلال في القاهرة وأكتوبر القاهرية والمجلة التي كان يشرف عليها يحيى حقي في القاهرة وغيرها مما لا يمكن أن أذكره ومنها النساء في القاهرة .

أما في العراق فلمل كتبت في أكثر الجرائد بعد ١٤ تموز وفي مجلاتها كالحرية والاستقلال والجمهورية ومجلة الإذاعة والتلفزيون والأقلام وبغداد

إضافة إلى عدد من المجلات والجرائد التي أسهمت في إصدارها لو كنت
عضواً في مؤسساتها مثل مجلة المجمع العلمي العراقي ومجلة مجمع اللغة
العربية . ونشرت في الأعمار وآخر ساعة وأكبر والطلال في مصر .

وفي مجلة الكتاب التي أصدرتها جمعية المؤملين والكتاب كنت أكتب
المقال الأول وكذلك في مجلة المعلم الجديد ومجلة الأستاذ وبعض مجلات
التجف للأشرف التي احتجبت وفي الجرائد والمجلات التي تصدر في المملكة
العربية السعودية مثل القبصل والجزيرة والمدينة المنورة وعكاظ واليوم
والمجلة العربية والشرق الأوسط والندوة وغيرها .

ومن الصعوبة أن يجدد الكاتب التواريخ والستة لكثرة ما كتب ولبعد
المسافات بين الكتابات ، يضاف إلى ذلك كله فقد جمعت أكثر هذه المقالات
في كتب متعددة وإن غابني منها عدد لا أعرف مقداره .

ومع ذلك فلا أنسى من كتاب الصحف السيرة لأن أفضل أن
أكتب كتاباً على كتابة مقال في جريدة يذهب أثره في اليوم التل . فقد ألفت
كتابة البحوث العلمية بصاندها ومراجعتها وحواشيها . . على الكتابة
السريعة التي تتعامل مع الركن العام .

وأكثر كتابي في الجرائد ثلث من حلف الأصدقاء والأصحاب في الجرائد
نفسها . وقد عرض على أكثر من مرة أن أكتب أسبوعياً أو يومياً ولكن لست
مؤهلاً لذلك ، فقد أكتب عموداً في الجمهورية وأشرف على صفحة الأدب
ولكن أهمل الكثيره كانت تحول دون الاستمرار . .

وأرى أن الكتابة اليومية الناضجة أصعب من الكتابة العلمية ، لأنك
يجب أن تلي كل يوم بجهد إننا أردت احترام نفسك وتقدير القاري ،
وإن أكثر كتاب المقالة اليومية أصبحوا محترفين ومنهم من أسف وفرغ من
العلم فركب موجات فكرة أو أمراً شخصية بحث .

إن أول مساهمة لي في الصحافة كانت كما قلت سنة ١٩٣٨ وعندي في بغداد على الأرجح بدايات نثري وشعري في هذه الفترة في مكنتي وبذلك أكون قد قضيت نصف لوني في مجلة الحرف العربي .

لما أول مجلة أصدرتها وأنا رئيس جمعية الشبيبة العربية فلم يصدر منها غير عدد واحد . وأصدرت أول وصولي إلى بغداد مدرسا بمجلة في كلية الآداب لم يصدر منها غير ثلاثة أعداد لو عدتني جعلتها ميدانا للطلاب الطلاب .

والمجلة التي أصدرتها في الإسكندرية كانت عربية الفكرة واضحة النصح والأسلوب .

واخترت أعضاء التحرير من كل كلية ومن كل قطر عربي . وكانت المجلة التي أصدرتها في بغداد صدى لأفكار الطلاب التي كانت متصارعة بين الفكر القومي والفكر المناهض له وكانت تمثل صراع الطلاب الفكري في زمن عبد الكريم قاسم . وكان عميد الكلية إذ ذاك العلامة الجليل عبد العزيز الدوري فلما جاء الدكتور مهدي الخزومي بعد ذلك واعتطف الرأي معه تركت إصدارها .

أول مجلة :

ولما حاولت في وزارة الإعلام كان عمي الأول إصدار مجلة إذ لم تكن في العراق مجلة أدبية تصدرها الدولة . . فاقترحت على وزير الإعلام الأستاذ عبد الكريم فوحان إصدار المجلة فقال: أصدرها أنت ونحن نشارك في شراء أعداد منها يقصد وزارة الإعلام .

قلت له : متى ما ألوقت الدولة المساعدة ماتت المجلة . وألقت بجنة للإشراف على المجلة وكتبته إلى جميع الأدباء والمفكرين الذين أعرفهم في الوطن العربي وفي العراق وأعددت لمواد لتكفي لعدة أعداد وصدر العدد

الأول من الأعلام ثم الثاني ولم أستمع في وزارة الإعلام وجدت إلى المجمع العلمي . والغريب أن هيئة التحرير ، وهم من الزملاء ، لم يشكروا هذا الإنسان صاحب الفكرة في المجلة أو يذكروا جهوده والحق يقال إن وزير الإعلام بحث إلى برسالة شكر وكان خيرا من هؤلاء الزملاء الذين كنت أظلم أحرم من الوزير على ذكر إنسان أخرج أفكارا ملأ بها عيش حتى اليوم .

وقد أصدرت مجلة الكتاب ، عندما ألقت جمعية الكتاب والمؤلفين ، وملحقها الندوة التي أشرف عليها جليل العظمة . . .
وكنيت أنني أن أكون في بغداد للذكر تواريخ إصدار هذه المجلات والجرائد وهي موجودة في المكتبات العامة . وفي مكتبة المجمع العلمي العراقي غلاف منها .

أسماء مستعارة ؟

كتبت بأسماء مستعارة متعددة ولكن أشهرها (سمير الرفيف) (يعين) وسمير الرفيف اتخذت اسما عندما كنت معلما في الريف العراقي وبخاصة عندما جئت في قرية (إمام حسكر) . وقد اشتهر هذا الاسم في وقت وكانت تأتي في رسائل به إلى بعقوبة ونشرت عدة مقالات وقصائد شعرية في الجرائد العراقية لاسيما (العراق) و (الزمان) و (بلاك) و (الاتحاد) وغيرها من الجرائد التي لم أجد أذكرها .

والخاف هذا الاسم أتاح لي التفكير في أنني وشعري لأن لم أكن متسرعاً وإنما كنت أرى رد الفعل لدى الفكر الأخرى في العراق ولما بدأت كتابتي تنضج كتبت اسمي الصريح وكان ذلك في مصر . وأعلم القذافي الاسم المستعار تقليدا لبعض الكتاب الكبار كالأعظم الصغير وبندي الجليل والشاعر الفروي . أو أنني خشيت السلطة التي كانت تتبع الموظف من

الكتابة . . لا أذكر الدافع الأصل لهذا الاسم المستعار الذي أصبح علما على أذيع به قصائد من الإذاعة وأكتب فيه كل خواطري في الجرائد . . وكتبته كذلك تحت توقيع (أبو نزار) و (ي . ع) و (السيد) وكنت أكتب عمودا في جريدة الجمهورية العراقية تحت اسم (يعين) وهما الحرفان من أول اسمي .

وكانت جريدة الزمان المصرية المسائية أول جريدة أكتب فيها اسمي كاملا وأنا طالب في كلية الآداب ، ومجلة (الأسرة) بالإسكندرية التي كانت تصدرها أسرة اللغة العربية في كلية الآداب فقد ألفت محاضرة عن المرحوم محمد رضا الشيبى ونشرت في المجلة ولعله أول مقال لي عن الأدب في العراق وأنا طالب في الكلية .

أحاديث في الإذاعات العربية والتلفاز عديدة وكثيرة وعسير نذكرها كلها فقد كنت أقدم الأحاديث من الإذاعة وأنا طالب في دار المعلمين الابتدائية ولما صرت معلما استمر إنتاجي بصورة محدودة . ولكن بعد أن صرت أستاذا زادت هذه الأحاديث مع لقاء أجهزة الإعلام وبخاصة عندما ازدادت صلتى بالإعلام . فقد كنت أحد بعض الأحاديث الأسبوعية ولكن لم أكن قائما على الاستمرار ولما كانت الأشرطة في إذاعة وتلفاز بغداد فيها عدد لا بأس به لما قبل التسجيل فقد كانت تذاع على الهواء مباشرة . .

إن أعمال الجامعة والإدارية التي أقوم بها لم تترك لي وقتا للاستمرار . . فقد كنت أينا عاما للمجمع واستاذ في الجامعة ورئيسا لجمعية المؤلفين وعضوا في اللجان الأخر إضافة إلى أعمال كثيرة في عدة نقابات ومجلات وجرائد .

وقد أذعت من تونس حديثا طويلا بالتلفاز وفي الهند سجلت حديثا أو أكثر وفي الصين عندما درجها سجلت في الإذاعة والتلفاز شيئا . وكانت لي عدة مقابلات في صوت العرب مع الدكتور رشاد رشدي والأستاذ أنيس

١٩٤١	١٩٤٠	١٩٣٩	١٩٣٨	١٩٣٧	١٩٣٦	١٩٣٥	١٩٣٤	١٩٣٣	١٩٣٢	١٩٣١	١٩٣٠	١٩٢٩	١٩٢٨	١٩٢٧	١٩٢٦	١٩٢٥	١٩٢٤	١٩٢٣	١٩٢٢	١٩٢١	١٩٢٠	١٩١٩	١٩١٨	١٩١٧	١٩١٦	١٩١٥	١٩١٤	١٩١٣	١٩١٢	١٩١١	١٩١٠	١٩٠٩	١٩٠٨	١٩٠٧	١٩٠٦	١٩٠٥	١٩٠٤	١٩٠٣	١٩٠٢	١٩٠١	١٩٠٠	١٨٩٩	١٨٩٨	١٨٩٧	١٨٩٦	١٨٩٥	١٨٩٤	١٨٩٣	١٨٩٢	١٨٩١	١٨٩٠	١٨٨٩	١٨٨٨	١٨٨٧	١٨٨٦	١٨٨٥	١٨٨٤	١٨٨٣	١٨٨٢	١٨٨١	١٨٨٠	١٨٧٩	١٨٧٨	١٨٧٧	١٨٧٦	١٨٧٥	١٨٧٤	١٨٧٣	١٨٧٢	١٨٧١	١٨٧٠	١٨٦٩	١٨٦٨	١٨٦٧	١٨٦٦	١٨٦٥	١٨٦٤	١٨٦٣	١٨٦٢	١٨٦١	١٨٦٠	١٨٥٩	١٨٥٨	١٨٥٧	١٨٥٦	١٨٥٥	١٨٥٤	١٨٥٣	١٨٥٢	١٨٥١	١٨٥٠	١٨٤٩	١٨٤٨	١٨٤٧	١٨٤٦	١٨٤٥	١٨٤٤	١٨٤٣	١٨٤٢	١٨٤١	١٨٤٠	١٨٣٩	١٨٣٨	١٨٣٧	١٨٣٦	١٨٣٥	١٨٣٤	١٨٣٣	١٨٣٢	١٨٣١	١٨٣٠	١٨٢٩	١٨٢٨	١٨٢٧	١٨٢٦	١٨٢٥	١٨٢٤	١٨٢٣	١٨٢٢	١٨٢١	١٨٢٠	١٨١٩	١٨١٨	١٨١٧	١٨١٦	١٨١٥	١٨١٤	١٨١٣	١٨١٢	١٨١١	١٨١٠	١٨٠٩	١٨٠٨	١٨٠٧	١٨٠٦	١٨٠٥	١٨٠٤	١٨٠٣	١٨٠٢	١٨٠١	١٨٠٠	١٧٩٩	١٧٩٨	١٧٩٧	١٧٩٦	١٧٩٥	١٧٩٤	١٧٩٣	١٧٩٢	١٧٩١	١٧٩٠	١٧٨٩	١٧٨٨	١٧٨٧	١٧٨٦	١٧٨٥	١٧٨٤	١٧٨٣	١٧٨٢	١٧٨١	١٧٨٠	١٧٧٩	١٧٧٨	١٧٧٧	١٧٧٦	١٧٧٥	١٧٧٤	١٧٧٣	١٧٧٢	١٧٧١	١٧٧٠	١٧٦٩	١٧٦٨	١٧٦٧	١٧٦٦	١٧٦٥	١٧٦٤	١٧٦٣	١٧٦٢	١٧٦١	١٧٦٠	١٧٥٩	١٧٥٨	١٧٥٧	١٧٥٦	١٧٥٥	١٧٥٤	١٧٥٣	١٧٥٢	١٧٥١	١٧٥٠	١٧٤٩	١٧٤٨	١٧٤٧	١٧٤٦	١٧٤٥	١٧٤٤	١٧٤٣	١٧٤٢	١٧٤١	١٧٤٠	١٧٣٩	١٧٣٨	١٧٣٧	١٧٣٦	١٧٣٥	١٧٣٤	١٧٣٣	١٧٣٢	١٧٣١	١٧٣٠	١٧٢٩	١٧٢٨	١٧٢٧	١٧٢٦	١٧٢٥	١٧٢٤	١٧٢٣	١٧٢٢	١٧٢١	١٧٢٠	١٧١٩	١٧١٨	١٧١٧	١٧١٦	١٧١٥	١٧١٤	١٧١٣	١٧١٢	١٧١١	١٧١٠	١٧٠٩	١٧٠٨	١٧٠٧	١٧٠٦	١٧٠٥	١٧٠٤	١٧٠٣	١٧٠٢	١٧٠١	١٧٠٠	١٦٩٩	١٦٩٨	١٦٩٧	١٦٩٦	١٦٩٥	١٦٩٤	١٦٩٣	١٦٩٢	١٦٩١	١٦٩٠	١٦٨٩	١٦٨٨	١٦٨٧	١٦٨٦	١٦٨٥	١٦٨٤	١٦٨٣	١٦٨٢	١٦٨١	١٦٨٠	١٦٧٩	١٦٧٨	١٦٧٧	١٦٧٦	١٦٧٥	١٦٧٤	١٦٧٣	١٦٧٢	١٦٧١	١٦٧٠	١٦٦٩	١٦٦٨	١٦٦٧	١٦٦٦	١٦٦٥	١٦٦٤	١٦٦٣	١٦٦٢	١٦٦١	١٦٦٠	١٦٥٩	١٦٥٨	١٦٥٧	١٦٥٦	١٦٥٥	١٦٥٤	١٦٥٣	١٦٥٢	١٦٥١	١٦٥٠
------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------	------

Figure 1

جمال الخطب في العراق ليس وساحتها محدودة لأن جمال الخطب لم
الخطيب هو أن يحاكي النقاش الفعّال والمناقشة الحرة في العمل الفكري في
العالم .. ولم يجر العراق إلا مقاربات محدودة من النقاش من أجل الحصول
على مكان يتنافس عليه أكثر من شخص .. ومناقشة الاكتشافات العامة
التي تفسر فيها الحرية إلى حرم منها أكثر العرب .

ولأن الحياة السياسية في العراق لم تستمر وكانت لها حدود وحرية الأحزاب المعارضة والأحزاب الرسمية عرفت سريعاً فقد غابت الظروف التي تخلق عطاء في السياسة والاحتجاج والفكر. فالمصلحة الأنانية المخطئ لتخلق الحرية والتعبير عن المشاعر الحقيقية العميقة الصادقة إلى عيب قليل القليل ويكون واضح القصر مدعياً على قبول قول الخصم بروج حاله والعراقي بصورة عامة لم يجد الصبر لا يقبل رأى الخصم ويريد الانتصار على الآخر أي الانتصار إلى استعمال القوة. إن قبول الرأي

المعارض لا يأن إلا بعد أن يمر الشعب بفترة طويلة من الحرية ويصبح النقد جزءاً من حياته ويقبل رأى الخصم برحابة صدر وإن كان قاسياً وهائلاً له في الاعتقاد . والعراقي شديد التبرم بكل نقد ولو كان في صالحه لا يرى غير رأيه صائباً .

ولعل المكان الوحيد الذي يمكن أن نجد فيه عطفة بحقوق ضيقة هو المحاكم عندما يتبارى المحامون في الدفاع عن موكلهم ولكن في أحيان كثيرة يطلب القاضي الدفاع مكتوباً وهو يقرأه بعد ذلك .

وحكام العراق جزء من هذا الشعب ، فقد كان المعارضون يقابلون بعنف ويساقون إلى السجون وقد ينفي بعض المعارضين بل جزء من العراقي وتاريخ الفكر مشحون بمثل هذه الأعمال التي قام بها الحكام وقد يكون الانتقام غير منظور لمحاربة المعارض في ماله ورزقه أو يقتل دون أن يدري الناس به . ويسجن دون أن يعرف أهله أي جيب حواء .

إن أية كلمة صريحة معارضة أو نقد بناء من المفكرين وأصحاب الإصلاح يقابل دائماً بالرفض والتسخط والعصب ، ولو كان قصد المصلح خير الحكام وصلاح البلد تنذر الأمة .

وقد ازدهرت الخطابة الشعرية في مائتة الخمسين لإذعاراً كبيراً لوجود النقاسة الحرة في ذكر عباس آل البيت وانتفى بالهادم ويطولاهم ومواقفهم من الاستبداد بحزم وقوة محاسنهم إلى الموت والعذاب .

فقد كان الشاعر يقول دون حرج أو خوف من السلطة ، ويرز في هذا المضمار شعراء أجادوا وأبدعوا في الرثاء لوجود للنقاسة الحرة . والمجال الواسع في ذكر فضائل آل البيت الكثيرة وأصحابهم الكبيرة دون حدود .

فكانت التجف الميدان الشعري للصراع الأبدي والتبوغ الفني وغير الشعراء هم أولئك الذين تنفوا بثورة الحسين على الظلم والاستبداد والحكم القوي .

وهناك مجال آخر للشعراء في التغني بمولد الرسول الكريم والاستلهام من سيرته العظيمة وجهاده في سبيل الله حتى كونه دولة كبيرة وأمان على خلق الأمة الجديدة.

وبذلك ازدهر الشعر أكثر من ازدهار النثر في العراق ما عدا أيام الاحتلال البريطاني في العراق ، فقد بدأت نهضة كبيرة في الخطب السياسية لأن الجميع كانوا ضد الاحتلال البريطاني والوصاية الانكليزية. فقد كانت الحرية واسعة بالقياس إلى أيام الحكم الوطني الذي مارس فيه أبناء العراق حكم بلادهم . ولما قوا الشعب العذاب ، والمفكرين القويل .

طبيع المعصرين والعراقين

والشعب العراقي عاطفي وبقى الإحساس بهذه الكلمة الثائرة وتسلطه الكلمة الحرة الرقيقة فلذا أطلق له العنان صر كل ما أمامه دون وعي ودون مسؤولية لأنه لم يكن في يوم من الأيام حر التعبير عن آرائه والإفصاح عما يعانيه من أوجاع اجتماعية والام سياسية وأزمات اقتصادية طاحنة فلذلك تتجمع هذه الآلام وتتركب هذه الأحزان وتتركز هذه الرغبات وعندما يجد مثلاً نراه يثور مثل (الحلفاء) (وهي نبات سريح الأشجار) سريح الحمود يعرفها أهل العراق .

ومنى وجه الشعب نحو حروب الغير وطرق الإصلاح فسوف يأتى بالمعجائب فى إصلاحه فى العمل وتقائه فى أدائه . وهو معروف منذ القدم فقد حدثنا التاريخ أن معاوية بن أبى سفيان لما أوفاه نصير السجدة الكبير فى دمشق طلب معونة المسلمين ومساعدتهم وكان يرقب العمل فوجد أحد المتمرعين يحمل حجرا فى يده ويؤذ به غيره ويؤذ به غيره ويؤذ به غيره فلما لاحظ هذه الظاهرة بعث فى طلبه رسالة :

تدوین و تدوین

فقال له ما معناه : لماذا تجعل أحجارا أكثر من خبزك ؟ قال : طلبا
للأجر والثواب .
فقال معناه :

أجل يا أهل العراق أنتم تبالغون في كل شيء .

إن العراقي لم يجد جواً يعبر فيه عن رغبته طوال حياته إلا في القليل
لذلك كان مضطراً لأن يجازي الأوضاع العامة حفاظاً على حياته وماله
وعرضه من السلطة فانتشر لكل :
وياعم وياعم ، عليهم عليهم .

إن استبداد السلطة - في تغير عهودها - وحكم الفرد في العراق صير
الشعب مختلفاً مضطرباً فقد وجد أبناء الحاكمين أشد قسوة من الأجنبي
لذلك وجد غير سبيل أن يجازي السلطة التي تتبدل فقال :
(كل من يتزوج أمي أسمي عمي)

أما في مصر فالأمر يختلف فقد مرت حياة مصر الفكرية والسياسية
بمراحل من الحرية والمناقشة بوجود الأحزاب ومجلس الأمة الذي أتاح
للمفكرين والخطباء تطوير الخطابة وتجديد أساليبها وإثرائها .

لقد برز في مصر متعلمون وخطباء وأدباء ومفكرون فلقد نهضت الحرية
الفكرية . يضاف إلى هذا كله أن الشعب المصري شعب مسلم بصورة عامة
وهادئ الطبع كثير الطاعة لا يحب الحدم والتخريب بالقياس إلى الشعوب
العربية الأخرى . والأثر القديمة الموجودة دليل على احترام الآباء والأجداد
والقدماء وحماية التراث والاعتزاز بالماضي فبني الحضارة وحافظ عليها .
والشعب العراقي لم يترك وراءه من معالم الحضارة شيئاً بل ربما يرجع أن
الحضارة العربية الإسلامية كانت مزدهرة في بغداد التي لم يبق من آثارها
العاسية شيء له قيمة كبيرة وأهمية فنية . وقد تبعت الأثر القديمة فلم أجد

منها إلا بعض المعالم المحدودة . لاحظ (بغداد) في كتابي (قضايا من الفكر العربي) ، قارئ الحضارة المزدهرة ؟ أين البيوت المزينة والأبنية السليقة ؟ وأين الأثاث والرياش التي يملك المصانع والفنان لياليه وسنواته في سبيلها ؟ فقد زار ابن بطوطة العراق ووجد قهور الخلفاء ومبانيها سليقة سليقة . أما اليوم فما نجد أثرا واحدا يرجع إلى العصور العباسية الزاهرة ، وبخبرها يرجع إلى العصر العباسي المائت ، وهي غلوة بالستعصية والقصر العباسي وبعض المائت وجامع أبي دلف . . في سامراء .

وفي مصر خطباء مفوهون سجل لهم التاريخ عظيمهم وعلم أسماهم وهم أبناء السياسة والأحزاب التي ازدهرت في العهد الملكي وفلتت في عهد الجمهورية ومالت في فترة الحكم الفردي والاستبداد الشخصي . ومع أن المصريين بصورة عامة أكثر شعوب العرب طاعة وأكثرهم هدوءاً ففهم غير العرب خطبة وأفصحهم كلاماً وأجزلهم عبارة . ولكن في مصر يزدهر ذاتي لأهم أكثر الشعوب العربية هدوءاً وأحكمياً للفكر والإرادة والعقل . وقائمة خطباء مصر طويلة بالقياس إلى أسماء الخطباء في العالم العربي .

كما يبرز في الشام في عهود الأحزاب وفي ظل الاستعمار الفرنسي القاسي خطباء مفوهون عندما حاربوا الاستعمار ووقفوا ضده ببسالة وقوة . فقد سمح للأحزاب السياسية بالمشاركة في تشكيلها واختيار النواب والوزراء الحرة ثوت في ظل الحكم الفردي والتصرف الذي يتابع كل معارض بالتعذيب البشع والقتل والسجن الذي لا يخرج منه إلا إذا فقد خطفه أو أصابته علة مستدعة لا تغارقه حتى الموت وتكون سبباً في منعه عن الحركة والقول السديد والرأي الصريح الرشيد .

أول خطبة عامة لي :

لعل أول خطبة رسمية ألقيتها وأن معلم لي يوم مولد الرسول في جامع

بعقوبة الصغير . فقد احتفل بمولده احتفالاً رسمياً (أزيل المسجد بعد توسعة الشارع) وحضر هذا الحفل على القوم . وكان عن رأسهم للتصرف - للحافظ - ولم تكن هذه أول خطبة لي فقد جاء بذكرات صديق الطفولة والدراسة الأخ كمال القيسى المحامي بأنني كنت ألقى خطبي في مناسبات عديدة ونحن طلاب في المدرسة الابتدائية والمتوسطة . كنا نشترك بالتناوب صباح كل خميس في تحية العلم . وكنا نال استحسان الإدارة والتلاميذ معا . كما كنا نشترك في كتابة جريدة الحافظ المدرسية فتتلاها اشعرا ولأدبا وحكما وقصصا ونواثر .. إلخ .

وقال في ذكرياته :

(في أحد الأيام زار المدرسة فقام مقام القضاء وأذكر أنه الأديب الكبير المرحوم إبراهيم صالح شكر فاختارني مرشد الصف لإلقاء كلمة في تحيته والترحيب به بواسطة الخطاب المكتوب ففعلت ذلك ويظهر أنه كان قد أسس بذلة المدرسة .

(وفي مرة أخرى زار المدرسة متصرف اللواء (محافظ ديالى) فاختار مرشد الصف الأخ يوسف لتحيته والترحيب به بواسطة الخطاب المكتوب . وهكذا كنا نحن الاثنين الوجه الشرف واللسان القوي لمدرسة شهرين الابتدائية)

وإذا جاز أن تكون مطارحات الشعر ومساجلاته من الخطابة فقد قال الأستاذ كمال القيسى المحامي :

وفي عقوبة كنا أيضا في صف واحد في متوسطة بعقوبة وكنا من الطلاب النابضين بحيث لا نلبي واجباتنا للمدرسة بل نحفظها ونحصرها يوميا هذا إلى إزدياد ميلنا الشديد إلى الشعر والأدب . نطالع الجرائد والمجلات والقصص والروايات لطف حسين والمآثر والتفوق على وسلامة

عيسى . وكنا نميل إلى المقطوعى لأدبه المشرق وأسلوبه الرصين في الشفرت
والعبرات . وكنا أحياناً أنا ويوسف وبعض الزملاء مثل وحيد الحكيم
وصبحي البصام ومحمد علي البصام نتطارد في الأشعار فكان يوسف الفارس
الشجل الذي لا يبارى ولا يجارى . . وأخذنا نكتب في جرائد بغداد ما يعن
لنا من خواطر أدبية واجتماعية مما كان له أكبر الأثر في توسيع وتزعين أقداسنا
الغضة الطرية . .)

إن أول خطبه سياسية كانت في مظاهرة سياسية عامة وكنا طلاباً في دار
المعلمين الابتدائية . فقد خرج طلاب دار المعلمين من الأعظمية باتجاه
بغداد إلى كلية الحقوق وكانت مركز السياسة ونقل الفكر الشار في
المدراس ، إذ لم تكن الجامعة قد تأسست باسمها .

فلما وصلنا قرب باب المظلم تصدت لنا الشرطة لترد الطلاب إلى
الأعظمية حتى لا تتصل المظاهرة بطلاب بغداد

كان مدير الشرطة وقوة الشرطة يلقون أماناً . وأشهد أن الرجل كان
رفيق القول لطيف الإقناع وأخبرنا بأن المظاهرة انتهت في بغداد وقد قنع
الطلاب بحلارة لفظه وجميل عبارته . فسرى الوهن وفقرت الحراسة في
النفوس . وبعد ساعة من الأعظمية إلى بغداد مشياً على الأقدام وقفت
خطيباً أحث الطلاب على مواصلة السير والالتحام بالمظاهرة في بغداد وعدم
الخوف من القوة والسلطة والشرطة وألا يخدعهم معسرة اللفظ وحلو
الكلام .

ولم يخطف غيري ، وكانت قوة الشرطة كبيرة أحاطت بنا من كل جانب
وبخاصة أن عددهم حال دون تقدم المظاهرة خطوة واحدة . ولما طالبت
ولفة الطلاب ولم تسأم الشرطة من الحصار أخذ الطلاب يتسلون واحداً إثر
واحد ، ثم هرب الباقون . . وبقي عدد قليل من المعتادين سمحت لنا
الشرطة بالذهاب إلى بغداد . . فإثرنا العودة بعد أن كانت الشرطة قد

عاملتنا معاملة لطيفة بخلاف ما هو معروف عنها . ولعل التعليقات كانت صادرة بعدم استخدام العنف مادعنا لم نستعمله حتى لا تستفز الطلاب .

وفي كلية آداب الإسكندرية كان مجال الخطب والقصائد كبيراً فقد كانت حرية القول واسعة في زماننا وكان الطلاب يقولون كل شيء بحيد الدولة وحرية كبيرة ، فقد كان منهم الوفدي والسعدي ومن الإخوان المسلمين واليسار .

فلم أر طالباً سجن أو معارفاً حبس .

وقد أقيمت عدة قصائد وخطب في مناسبات متعددة مثل تأسيس الجامعة العربية سنة ١٩٤٨ ، وكنت شديد الميل إلى حزب الوفد الذي كنا نراه يمثل رغبات الشعب المصري ولأنه كان جريماً في القول والخطابة في الخطب وكانت له شعبية كبيرة بين طليقات الشعب .

ولعل أجراً عظيماً عخطبها وأنا طالب كانت في قصر رأس التين عندما دعانا الملك فاروق إلى مائدته فاعتذرت الكلية بجماعة من الطلاب وكان العراقيون أول من دعي إلى حفلة الإفطار في شهر رمضان .

وكان للملك فاروق قد جلس في مكان يستمع إلى الخطباء دون أن يجهر مع المدعوين على لائحة إثم حضر رئيس الأمتاء ورئيس الشريقات . وكنت جالساً إلى إحدى نوازل الرئيسة . والذي كنت أستمعه عن الملك فاروق والذي جسسه لنا أخيراً وكثيره الأحزاب السياسية فخرس في نفوسنا الخفس والكراهية . . وعدم الحب والإعجاب ، فقد كانت الإشاعات كبيرة وكثيرة قصفت سمعة الملك ووصلت إلى الشعر فقال أحد الشعراء .

قف واستمع ما قاله فاقني الحوى بجليه
تلك اللعاب يملها فاروق عند جلوسه

ولعل تكة لمة من حل تكة كيه

وأخلفت على الملك أحداث كثيرة .. ظهر زيفها بعد ذهابه .

طلب من الطلاب إرسال خطبهم قبل مدة لكي يقرأها للسؤول في
الديوان الملكي ولم تسلم لنا إلا في ساعة إلقاء الخطب .. ولما جاءت خطبتي
لإلقائها وجدت كثيراً من السطور قد حُذف .

وما كنت أحفظها .. ولما ولّقت أمام مكبر الصوت (الميكروفون) وقف
بجانبي وأنا أعم بإلقاء الخطبة أحد كبار الحرس وكان برتبة كبيرة وقال لي
برقة وبديبلوماسية ناعمة أرجوك أن تلتزم بالموجود من خطبتك ولا تخرجني
بالقاء شيء جديد غير موجود في الخطبة . لأن سوف ألام على ما سوف تقوم
به .. وكان الرجل يرقب ما أقول في الورقة .. ولم يكن أمامي من خيار
غير إلقائها أو ترك الحفل .. فآثرت أن يسمع صوتي وأزيد بعض العبارات
الجديدة . ولعل الخطبة موجودة بين أوراقى في بغداد .

كان الخطباء من مختلف أنحاء الوطن العربي ، وكانوا يشهدون بذلك فاروق
ويحسون أحواله ويبالغون في مدحه مع أن الخطبة كانت في شهر رمضان ،
وكانوا يفتتحون الخطبة بقولهم : سيدي صاحب الجلالة المعظم الملك
فاروق ملك مصر والسودان . وعالفتهم ولّقت باسم الله الرحمن
الرحيم .. يا أبناء مصر الأعزاء .. وكان لهذه الخطبة على ما حذف منها أثر
سيء في نفوس المصريين الذين حضروا الحفل ، فقد عدوا عدم ذكر الملك
وتغافل اسمه إهانة لمصر كلها ، فاجتمعوا يريدون الاعتداء على بعد أن
خرجنا من قصر رأس التين إلى الساحة إذ ذهبنا سيراً على القدمين إلى
(الترمواي) الممنوعة إلى دورنا .

فلما أحس طلاب العراق والعرب بذلك انفضّوا حولي من كل جانب ..
وعوموا من الضجة تركت الأمر وهدت إلى الدار ..

وقد ظهر أثر هذه الخطبة في المذيع ، لأن الخطب كانت تزداد على الطراء مباشرة ولم يعلق بكلمة واحدة على ما قلت . ولما جاء دور الطالب السوري الذي أفرق الملك فاروق مدحا وزاده ثناء وأحطب في أنفضاله قولاً ، أطال المذيع في مدح الخطبة وأثنى عليها وقرض قوله ومدحه بما لفت نظر السامعين وحرروا بأنه مدح الطالب السوري ولجأه إلى لائني لم أمدح الملك فاروق مع أنني أثبت على مصر وأهل مصر وأشدت بفضلها على العرب وعلى بصورة خاصة .

المحاضرات العامة :

أما محاضراتي في المجالس العلمية فهي متعددة، فكانت أحضر المؤتمرات وأسهم ببحث أو مناقشة أو تعليق . وجمعت أكثر المحاضرات في كتيبي كلها نشرت في المجلات وهي تشكل عدداً من الكتب منها :

- ١ - قضايا الفكر العربي ، طبع في الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- ٢ - في الأدب العربي الحديث ، مقالات وبحوث نقدية ، طبع عدة طبعات
- ٣ - قول في النقد وحداثة الأدب ، نشر في الرياض وطبع في القاهرة .

ومن الخطب التي ألقيتها عطية في الكرامة الشرقية دعلق إليها الشيخ محمد رضا الشيبى وكنت أمير المجمع العام وكان رحمه الله رئيساً للمجمع بمناسبة مولد الإمام علي كرم الله وجهه . وقد قطع التلاميذ السك لما هاجت الحكيم القردى وأظهرت ديمقراطية الإمام علي . (كرم الله وجهه)

الصوت :

سبحني الله صوتاً جيداً، جهي ما يؤثر في السمعين على حسب . و .

قابلة السيطرة على المكان لأن أنسجم كل الانسجام في عناصره ونعطي
وأرأى حاجات الناس إلى الراحة ولا أهدل .

وأحس بالهدوء والإنصات ، ولا أودع لللل يشرب إليهم . وعندما
أحس بأنهم مفلون أنهم يتكلم أو طريقة لأشد السمع إلى ثم أواصل
الكلام .

الشخصية :

أبعد الله أن لي شخصية محبوبة من أكثر الناس ، وأن من يكرهني هو
الحاسد الذي يرى ما أعطت به من فضل وعلم وسمعة حسنة بين الناس .
ولا أبادل الناس الكراهية . . ولنا أثر أفعالهم وأحذرهم في بغضهم لأن
الإنسان إذا لم يحب أو يكره ليس بإنسان فعال . ومما دعيت تعمل فالحسد
والبغض من الأمور الطبيعية . فقد قال لي أحد الإخوان الكرام إنك محسود
ويكرهك بعض الناس . قلت له :

إن العرائين مازالت عسدة ولا أرى لصغار الطير حاداً
وقلت لصديق آخر :

إذا رخصت عن كرام عشرين فهلا زال غضبنا على أنفسنا

المكافآت والأجور

أن أول مكافأة لي كانت (٧٥٠) فلساً من دار الإذاعة العراقية على
قصيدتي ألقيتها بمناسبة حركة رشيد عالي الكيلاني ، وكنت طاب في دار
المعلمين الانتدائية . وهذا المبلغ فصلت ولأول مرة بذلة جديدة في
بغداد . . لأن حياض بغداد كان بالنسبة لي أهل بقوة كالحيط في باريس
أو لندن بالنسبة للمعمرين من أهل الشرق والعالم . واستمرت الأجور
أو المكافآت من الإذاعة عندما كنت ألقى حديث أو قصيدة منها لو من التلفزيون

إذ أقيمت منها عدة معارض لا سيما بعد أن أخرجت وأصبحت مدرّساً في كلية الآداب وعضواً في المجمع وأنتجت في الفرض للمساهمة في إدارة بعض وسائل الإعلام في العراق . وأهل أحر حصلت عليه في مصر (١٥٠) جنيهاً من دار الهلال على ثلاث مقالات وكانت تدفع للكتاب (١٠) جنيهات . . وخصص لي مرة (٥٠٠) دولار عن مقالة لي في موسوعة من الموسوعات أعدتها لما تم لم أستلم شيئاً لأن نشرت المقالة في جريدة عربية ورقفت تسلم آخرين عن مقال واحد ولم يكن هذا المبلغ إلا خمس ما تسلمته من المجلة العربية . ولما رأى رئيس التحرير (الصك) المرسل لي رجائي أخذه لأن أخذه لا يتعارض مع نشر المقال عنده ولكنني أعدت المبلغ وحسب وحصل لأهله . وأخيراً حصلني ٥٠٠ جنيه مصري عن مقابلة لي في سلسلة (فرسان الكلمة) التي يخرجها الشاعر فاروق شوشة . دعيت عدة مرات من أدباء العالم مثل الصين الشعبية وكانت الدعوة لمدة شهرين قضيت منها أربعين يوماً وطلبت العودة إلى العراق . إذ لم أطق الحياة وبجفافها الروحي وسيطرة الحزب الشيوعي وكثرة الشعارات وعبادة ماوتسي تونك . . وقد عرض على أكثر من مرة بعض المبالغ لقاء إذاعة الأحاديث واللقاءات المتعددة في الإعلام فرفضت ذلك رغم الإلحاح الكبير . .

ومن الطريف أن المسؤول الأول عن التفتت قال لي إن فلانا أراد أكثر من المبلغ الذي قدمناه ، وأنت ترفض المبالغ التي قدمناها لك .

وحدث نفس الشيء في الهند والبنغال الشرقية ، حتى إنني كنت أصرف على من كان معي من المصاحبيين لأن عرفت أن هناك مبالغ مخصصة لي ولزمت أن أوفرها لهم لعلمي بحاجتهم إلى مثل هذه المبالغ .

وفي إحدى المرات رفضت تسلم مبلغ من مؤسسة عربية كبيرة أنا عضو دائم فيها فجاء مسؤول كبير عضو معي وقال إن حملك يخرجنا فلجوك أن تقبل المبلغ لأن رفضت المبلغ مثلك فقللوا منا وقالوا نحن مؤسسة واحدة

وأعضاء في مؤتمر عربي عاظم والمبالغ بخصيص لكل عضو وكل واحد أخيه .

وفي كثير من الأحيان لم تسلم ما ينقص لي من المبالغ في بعض
الانقطار العربية وبخاصة مصر والانقطار العربية لأن إجراءات الصرف
والوقوف أمام الحاسب أمور لا أعرفها ولا أريد أن أعرفها .

أخذت مكافأة ليست قليلة من معهد الدراسات والبحوث العربية
عندما كتبت في القاهرة ، كما تسلمت أجور النقل بالطائرة وأخذت من الأردن
في مؤتمر آل البيت مبالغ رمزية على شكل مصروف للجيب .

كان اهتمامي بمعهد الدراسات والبحوث كبيراً ، فقد كان له فضل كبير
على الرأي الفكري العربي بما أصدره من بحوث وكتب متعددة . وقد صدر
لي من المعهد الكتب التالية ، وما كان المعاهد للمأتي كبيراً . ومن هذه
الكتب :

١ - الاشتراكية والقومية وأثرهما في الأدب الحديث ، وقد أعيد طبعه
في القاهرة ١٩٧٦ .

٢ - فهمي للدرس من رواد الفكر الحديث ، وقد أعيد طبعه في بغداد
١٩٧٦ .

٣ - القصة في العراق : جذورها وتطورها ، طبع سنة ١٩٧٤ .

٤ - الرواية في العراق ، تطورها وأثر الفكر فيها ، طبع سنة ١٩٧٣ .

٥ - إبراهيم صالح شكر وبواكير النثر الحديث في العراق ، وقد طبع
سنة ١٩٧٥ .

٦ - لعبير الهنداوي ، حياته وديوان شعره ، وقد أعيد طبعه في
العراق سنة ١٩٧٣ .

وبذلك كانت مكافآت الأولى هي طبع هذه الكتب فأحسست بأن
لعبت خدمة كبيرة للفكر العربي . وغير أجز وأحسن مكافأة هو أن تقدم

إنتاجك الفكري في خدمة أمك ولاسيما أن هذه الكتب فيها الجديد الذي لم يطره باحث من قبل وهي مثل جهوداً متواصلة لجلاء الغامض من الأدب العربي والفكر الحديث في العراق لأن هذه الكتب كانت توزع بالدرجة الأولى بشكل مجزأ على جميع الجامعات والمجامع العالمية ، وبالفعل كنت أجد مطبوعات المعهد في كل الأنظار والجامعات الغربية التي زرتها ، وخطتي بوجود كتب هي مكافأة وأحسن أجر . وزكاة العلم نشره .

الأوسمة :

إذا كانت الأوسمة هي المعادن البراقة التي تعلق على الصدر ويذهب بها صاحبها فانا لم أعلق على صدري وساماً واحداً منها ، لأن الأوسمة لا تعطى إلا لفارس أو مقاتل دخل معركة وانتصر فيها . وهؤلاء هم أحن الناس بالأوسمة والتقدير . وبمثل هذه الأوسمة مهما غلت ليست إلا الرمز والتعبير عن تقدير الأمة لهم ، فقد قدموا أرواحهم فداء ودماءهم تضحية لأحبابهم وشعوبهم .

يهود بالنفس إلا ضمن البخل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود حصلت على أوسمة تقدير كبيرة ومخاللة هي اختياري عضواً في المؤسسات الأدبية والفكرية في العالم العربي والعالم الغربي . وهل هناك وسام أرفع من عضوية مؤسسة فكرية أو مجمع أدبي أو جمعية أدبية ؟ وأحمد الله فقد شملتني العلماء والأدباء بفيض من هذه الأوسمة التي أعتز بها وأفخر بانتمائي إليها لأنها التقدير الحقيقي الذي ليس فيه زلفى لإنسان أو تقرب لسلطة أو مدح لسلطان .

والأوسمة في الوطن العربي والعالم الثالث لا تعطى إلا لمن له قبلية خاصة أو هجامة محدودة في عمل معروف . وللأسف أن الأوسمة المخصصة لأصحاب العلم وثقافة الرأي محدودة جداً . لأن هؤلاء هم من عليهم

وفضلهم مانع كبير يلا نفوسهم ثقة وفخراً ينتاجهم وما قدموه لأوطانهم من كتب ومقالات وطلاب علم يملأون الساحات الفكرية بنشاطهم ومساهماتهم في خدمة العلم والفكر والثقافة .

إن أي سلطان في العالم لا يقدر أن يعطي العالم أكثر من قدرته ومن قيمته . لأن الدولة التي تقدر العلم والآداب والشعر والفكر إنما تريد أن يقدرها العلم والآداب ، لأن الفكر والآداب والعلم والفن أصل من أي سلطان وحكومة . فقد بقي الشيء خالداً يردد اسمه الناس ، وبقي شعر المعري رمزاً يلجأ إليه الفكر والفيلسوف ويرقى كتاب الطبري برغم مرور الأيام وتوالي القرون مرجعاً . ويذكر المؤرخون كُتب وفولتير وكونه وشكسبير وتين وبرونتي أكثر من ذكر ملوك الإنكليز وأباطرة التاريخ في العالم كله ، وهم الذين يمتحنون الأوسمة . لأن عمل المبدع عائد غلوه الحرف وأعمال القادة والزعماء حتى المصلح الكبير سوف يطويها التاريخ ونسائها البشر لأن إصلاحه وفضله موقوف بالزمن الذي عاش فيه .

وبعض الأوسمة تقدم لأصحاب الولاء والمقربين لأصحاب الشأن والسلطة ولم أكن في يوم الأيام راجياً في التقرب منهم برغم وجود الأكرام والأبطال بينهم الذين حاولوا مرات عديدة التقرب مني بأساليبهم المتنوعة الكريمة ، لاعتقادي بأن المقربين إلى السلطان لا بد وأن يفسحوا شيئاً من شخصيتهم وأنا أردت قول الجرجاني :

ولم أبطل في خدمة العلم مهجتي لأخدم من لاقيت ، لكن لأخدم

وهو القتلى :

إنما قبل هذا مهمل قلت قد أرى ولكن نفس الحر تحتمل الظلم
إن طبيعة الإنسان الشرقي وحكام الشرق كله هي عدم الارتياح إلى
أصحاب الشخصيات المعتدة بعملها الواثقة من نفسها البارزة في فضلها

إلا أنه طاعاً رأسه وأصابع كبريائه ، وأغفر لحاكميك بكه أكبر منه وأعلى درجة من علمه .

ولعل غير وسام حصلت عليه هو تقدير العلم والعلماء واحتراف أصحاب الفضل ينتابني في أنحاء العالم ، وحماية الأحرار والرواد بما أنشر وغير وسام حصلت عليه هو القرآن الكريم الذي قدمه لي رئيس جامعة مونتريال الدكتور علي المحافظة مع الشارة العلمية وشعار الجامعة الذهبي بعد ما ألفت محاضرة لي في رحابها .

وعندي بعض الأوسمة الأخرى أعطيت بمجالة من جميع تونس لكل الأعضاء وبعض أوسمة شكر من جامعات أخرى لا تدخل ضمن الأوسمة الشاعرة ذات القيمة العالية معدنيا . .

من كتب عني

من الكتاب المتناظرين ؟

لا يمكنني إحصاء ما كتب عني فأكثر المکتوب عني ، بعيد عن متناول يدي وأنا بعيد عن مصادر البحث التي جمعت أسماء من كتب عني كتبي ومؤلفاتي . . . فقد سعدت بكثير منثناء والإطراء ، وقد تعددت المقالات لأن كتبت في عدد من المواضيع المختلفة . ففي البحوث لي عدة كتب . وفي الشعر عندي عدة حواوين . وفي الرواية والقصة القصيرة مساهمتان . وفي التحقيق لم أختلف عن هذا المضمار . وفي النقد آراء ونظريات . لذلك كثرت المقالات التي تعرض كتبي ومؤلفاتي ولا يمكن أن تكون جميع المقالات متبصرة لي ومؤلفاتي ، فهناك بعض النقاد والباحثين الذين وقفوا موقفا مغايرا مني وهم عدد ضئيل .

وقد جمع ما كتب عن شعري فقط ونشر في كتابي (من رحلة الحياة) .
وقد أعيدت القائمة مع الإضافات الجديدة التي أضيفت من المقالات
ونشرت في (شخصية يوسف عز الدين الأديبة) للمرحوم عبد الرزاق
الهدري المطبوع في القاهرة . وللأسف لم أتمكن في جمع المقالات التي كتب
عن مؤلفاتي . وما لاشك فيه أنها تعطي فكرة جيدة عن رأي الطلاب والكتاب
في فكري وأبي وتقدي . وقد أسهم في هذا الفصل كتاب من العراق ومصر
والملكة العربية السعودية وثونس ولم يتخلف أدبه العالم في روسية كتب
المستشرق شربا توف مغالا بعنوان (عالم من العراق) باللغة الروسية كما
كتب أكثر من مرة عن باللغة البولونية .

وأسهم أساتذة في بولونيا وانكلترا وإسبانية في ترجمة بعض إنتاجي
والتعريف به - ومن الدراسات للفرقة التي صدرت :

١ - شاعرية يوسف عز الدين للأستاذ خضر عباس الصالحى ، طبع
في بغداد .

٢ - الرؤية الشعرية عند يوسف عز الدين للأستاذ صاحب كمر وطبع
في بغداد والقاهرة وقدم له الدكتور فادى سلوم .

٣ - شخصية يوسف عز الدين الأديبة للأستاذ عبد الرزاق الهدري ،
وطبع في القاهرة وقدم له الدكتور صالح أبو أصبح .

٤ - يوسف عز الدين شاعرا وناقدا تأليف إتجي دوفتوفسكى وترجم
إلى العربية وطبع بالقاهرة . وهو رسالة ماجستير باللغة البولونية .

٥ - الإطّار والمضمون في شعر يوسف عز الدين للدكتور عبد الله
درويش طبع في مجلة البلاغ للشيخ محمد حسن آل ياسين واسئل منها
منفصلاً .

٦ - التلقائية في أشعار يوسف عز الدين للدكتورة فريدة نجم . وأعيد

طبعه في القاهرة . سنة ١٩٩٠ وباللغة الفرنسية
٧- نعم من بغداد ترجمة جماعة من العرب والمستعربين
بالإنكليزية والعربية وطبع في لندن ١٩٨٤ .

إن الحصول على المقالات التي كتبت عنى ليس سهلاً وأنا أُنقل من بلد
إلى بلد ويمكن الحصول عليها في بغداد وفي الجزائر التي ذكرت في كتبي وهذا
ليس بالأمر الصعب . ولو كنت في بغداد لأمكن تصوير بعض هذه
المقالات من مطابعتها في الصحف العراقية والدار الوطنية أو مكتبة المجمع
العلمي العراقي .

الجمعيات والتواصيات الأدبية :

أول تجمع أدبي أو فكري له كيان واضح وخطة موضوعية وطريقة عمل
مرسومة كان تجمع جمعية الشبيبة العربية التي أنشأها أنا وذكرت في اتخاذهما
وهما للعرب والأدب بمساعدة من استاذي محمد خليف الله أحمد رحمه الله
وعون الدكتور محمد حسن الزيات ومؤازرة الطلاب العراقيين وبعض
الطلاب العرب في الإسكندرية ١٩٤٨ .

ولما عدت إلى العراق جمعت جماعة من أساتذة كلية الآداب الذين
سبقوني في التدريس وعرضت عليهم فكرة إنشاء تجمع أدبي يضم الأدباء
وقد اجتمعت بالفعل مع بعضهم مرتين وظهر خلاف بينهم . وما كان منهم
إلا أن شكلوا اتحاد الأدباء في عهد عبد الكريم القاسم دون دعوى حتى إلى
اجتماع الجامعة للقرينة غير مرة واحدة أرادوا بعدها أن أوقع على بريقة
ترسل إلى عبد الكريم القاسم فرفضت . ولم أذع بعدها ولم أقبل حضوا في
الاتحاد وأبعدت عن نشاطه لأن رفضت توقيع بريقة تأييد للزعيم الأوحى .

قد عرفت جماعة آخرين ووضعت نظاما جديدا لجمعية المؤلفين والكتاب العراقيين واستعنت بالزميل عبد المجيد حبيب القيسي وكان جاري في الاصلية على وضع القانون لانه من القانونيين البارعين، وقامت أحد الزملاء في الامر وأرد الاطلاع على النظام وأخذه هو بدوره ومرره إلى صديق ثالث ولم يعد النظام مرة أخرى . ودعوت الدكتور علي الزبيدي وجلسنا على انفراد ووضعتنا نظام جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين واجتمع معنا ثمر من الأدباء والمفكرين وجررت الانتخابات الأولى ، وصرت أمينا لهذه الجمعية ولم ألبث أن أصبحت رئيسا لها . وبدأنا من الصفر . وعندما ألفنا الجمعية المؤسسة كانت لنا حجرة في شارع المتنبي وبعض الأثاث المتواضع . ورفعتها جمعية لها شهرة كبيرة وأخرجتنا لها للطبعات والمجلة واستأجرنا لها مركزا كبيرا .

وكان عبد الكريم قاسم يراقبها ويرسل أحواله للاطلاع عليها . وفي يوم من الأيام أرسل الانتداب العسكري ليوقف أمام باب الجمعية يرهب الأعضاء لأنها كانت نجما لكل المفكرين على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية التي ظهرت في تلك الفترة ونجما لكل من كانوا ضد عبد الكريم قاسم . ولما دون معنا تاتي التضامن تعاوننا تماما . وكثرت أعداد الشراكين في أجرا مؤسسات ذلك الوقت بإلقاء المحاضرات المتعددة وعقد الندوات المختلفة والأمسيات الشعرية فما كنت أترك أسبوعا إلا وفيه نشاط والصح وملموس . وللأسف دخلتها الأغراض الخاصة فقصفت بها ، وكنت في حالة سيئة من معاناة الأدب وأهله فتركها وأخلقتها النبوة وحجبت بجلتها بعد أن تألف اتحاد الأدباء في بغداد .

أما المؤسسات العلمية التي أشرف بعضونها فهي :

١ - للجمع العلمي العراقي وكان لي شرف تبديل النظام فيه ووضع قانون جديد له بدعم ومساندة ، ولقد ردت على انتخاب الأعضاء وتأسيس اللبنة والرفع صرحه بعد أن كان أبنية عادية اتخذت الآن مكانا للطبع

واستفاد منها بعض الفوائد الأخرى . وجئت إلى المجمع باعتباره لي في ٢٠ / ٦ / ٦١ من قبل الزعيم الدكتور ناجي الأسلي . وبما احتل النظام بقلة الأعضاء وعدم وجود العدد القانوني اقترحت استبدال النظام بقانون جديد سنة ١٩٦٣ وكنت ألفت لجنة بالتعاون مع الدكتور عبد العزيز النوري من عدة أساتذة وكانت رئاستها لأستاذي عبد الرزاق عيسى الدين وكنت أنا مقرر هذه اللجنة وكان الدكتور النوري أول عضو يدخل للمجمع . وبعد إكمال العدد القانوني انتهيت أمية عاما .

ومن الطريف أن أحد المسؤولين (رحمه الله) لم يوافق على أن أكون عضوا في المجمع برغم المجهود الذي بذلته في خلق مؤسسة جديدة حتى ترك الوزارة وانتهيت بالإجماع عضوا في ١٩٦٤ ، فلما :

- ٢ - عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
- ٣ - عضو مجمع اللغة العربية دمشق .
- ٤ - عضو مجمع اللغة العربية الأرحل .
- ٥ - عضو بيت الحكمة في تونس .
- ٦ - الزمالة الفخرية لرابطة الأدب الحديث بالقاهرة .
- ٧ - عضو جمعية اللغة الحديثة الأمريكية .
- ٨ - عضو جمعية الآداب الملكية لندن .
- ٩ - عضو جمعية الآداب للقارن العليا . جامعة ماكجيل - كندا .
- ١٠ - عضو للمجمع العلمي الهندي في الهند .
- ١١ - عضو اتحاد الأدباء في بغداد .

ومن الصعوبة على وأنا بعيد عن أوراق أن لأذكر التواريخ التي شرفت بعضوية هذه المؤسسات لأن سعدت بالعضوية بأوقات متفاوتة متباعدة وأوراق هذه المجمع في العراق .

الفصل الخامس

الصلوات الفكرية والعلمية مع المبدعين

الفصل الخامس

الصلات الفكرية والعلمية مع المبدعين

بداية الصلات

بدأت صلاتي بقيادة باريداب الفكر في كلية الآداب . فقد كانت صلاتي بأساتذتي وفاء وتقديراً ، وتعرفت على عدد من الشعراء والكتاب في جامعة الإسكندرية عندما كنت أساهم في مهرجانات الشعر مثل مهرجان الربيع والبحر ، فقد كان يحضر هذه الفعاليات عدد كبير من الرواد والكتاب ولكني لم أكتب لواحد منهم شعوراً مني بكبر الأسماء وعشية إهمال هؤلاء لرسائل قاصي بالإنعقاد الروسي .

والعل من الأسماء الشهيرة التي كانت تربطني به رابطة قوية المرحوم محمد رفعا الشيبس ، وبقيت هذه الرابطة حتى تولى . فقد كان الرجل يعطي الناس ثقة كبيرة بأنفسهم لذلك كان أول شاعر تحدثت عنه في محاضرة في جامعة الإسكندرية، وكنت الطالب الوحيد الذي أسهم في موسمها الثقافي . وقد سعد رحمه الله بالحاضرة . ثم لما بدأت أحضر الماجستير دخلني البحث العلمي لزيارة الرواد والاستفادة من مكتباتهم مثل هاشم الألويسي وحسن الناب اللذين قدما لي عديدات كبيرة أهدتني في كتابة الماجستير . واتسعت حلقة الوصل بيني وبين المفكرين والعلماء بعد إجتاز الدكتوراة وكثرت سفراتي العلمية والفكرية والأدبية . وللأسف إن كثيراً من

هذه الرسائل لم احتفظ به ، وفي العراق عدد كبير منها من مختلف المفكرين والأدباء والشعراء الذين استمرت صلتى بهم . إن أكثر الرسائل تكاد تكون شخصية إلا القليل منها الذي يتحدث عن كتاب لي أو ديوان شعر صدر أو كتاب نشر ، وفيها طابع المجاملة والود ، ولم أدخل مع واحد منهم في مناقشات علمية .

طبيعة الإعجاب

الناس قسيان : هناك من يعجب بالإنتاج ، وهناك من يعجب بالشخص . وما حاولت يوماً من الأيام اللغاب إلى مفكر أو شاعر أو رائد أتعرف عليه وإنما كانت الظروف تجمعني بهم في المؤتمرات العلمية والاجتماعات الفكرية والأدبية . ومتى تعرفت على إنسان وأحسيت بونه قلن أنقصم عرى الود بعدها أبداً ، إلا إذا أحسيت منه إهمافاً أو شعراً بمنصب أو عمل . لم يحدث أن قاطعت إنساناً لأن أحب البشر وأنخلق الأعداء لأغلاطهم ونجانهم .

ولأن أعجب بالإنتاج الفكري والشعري فقد اختارت من كل شاعر قسماً من شعره وجانيت مالا أحب ، فلم يخلق هذا الجزء إعجاباً بالشاعر كله أو المؤلف برته .

وهناك قسم آخر يعجب بالفرد ، فليلاً قرأته أو سمع شهرته يسارع في اقرب فرصة لللغاب إليه والتعسرف عليه مباشرة بعد أن أعجبه إنتاجه وأدبه . وقد يدلع هذا الإعجاب إلى حياة إنتاجه ورويته فرداً والدفاع عنه أدبياً وتحول إلى وثن يسيطر عليه ولا يرى سواء أدبياً أو شاعراً ، وهؤلاء هم مراهنو الفكر .

وبذلك حرمت من التعرف على المشهورين . كنت أكنى أن أتعرف عليهم ، فقد كانت لي صداقات مع كتاب القصة والرواية ومع ذلك لم أسع إلى رؤية توليخ الحكم أو تعجب محفوظ إذ لم أجمعني بيبا مناسبة فكرية .

ولعل من الطريف أن أذكر أن المرحوم أحمد رامي كان كثير الزيارة لي عندما أكون في القاهرة . وسكنت مرة قرب أم كلثوم ، وكان يذهب إليها ثم يأتي إلى شقبي أو يأتي إلى شقبي ويذهب إليها . وحاول مراراً أن أذهب معه لزيارتها فرفضت . ولا أعرف السبب حتى الآن مع أنني أحب أم كلثوم وما كان يفتنني صويتها وحفلاتها . وعندي الكثير من أغانيها ، وكنت أقدم من الإسكندرية مع الدكتور كامل مصطفى الشبيبي للاستماع إليها لأنّ إنسان يرفض في قرارة نفسه عبادة الوثن والتسلط الفردي حتى ولو انصرف ذلك إلى أحب الكتاب إلى والمفكرين الذين سحرني إنتاجهم .

لم أحاول أن أبدأ في الكتابة إلى المشهورين لأنهم مشهورون ولأنهم من المرموقين لأنّ أحسن بالرقية في التعرف الفردي . فالتصّر على متابعة إنتاجهم وكتبهم .

طه حسين

كنت شديد الإعجاب بطه حسين ولم أزره إلا بعد أصبحت عضواً في المجمع وجمعتني به أعمال المجمع . . . وكنت أزره في داره وكان رحمه الله شديد التواضع مع أنني كنت طالباً في الإسكندرية وهو رئيس جامعة الإسكندرية . فلما تعرفت عليه وزرته أول مرة قال لي إن زيارتك واجبة على لأنك قادم إلى القاهرة .

قلت له : أنت من ينجح إليه ويسعد بزيارته
فضحك رحمه الله . . . وقال : أنت ثاني في السنة مرة .

وكان يصحبني في زيارته عدد من الأفاضل مثل الدكتور إبراهيم مذكور ومحمود تيمور وعدد من أصحاب الرأي والفكر وأعضاء من مجمع اللغة العربية .

ومن الطريف أنه كان يميل إلى السكاير العراقية وكنت أحملها معي إليه . وطلب مني مرة كتابي (الشعر العراقي في القرن التاسع عشر) .

قلت له سوف أرسل لك الطبعة الأولى . . . والنسخة الوحيدة
عندى . قال : أحفظ بها لأنها سوف تكون من ذكرياتك الحلوة . . قلت
يمكننى الحصول على نسخة وأرسلها لأن فيها قهارس ، أما الطبعة الثانية .
فقد حذفت منها القهارس لأن المجلس الأعلى للآداب طبعها طبعة شعبية
وبأعداد كبيرة .

صلى بالرواد

ولما أصبحت معروفاً بدأت الرسائل تأتي رسماً أولاً ثم تطورت
العلاقات بعد اللقاءات مع كرام الناس . قل فى كل بلد أصدقاء وأحباء
ومراسلات تنمو كلها تعلقت بى السن وكثر إنتاجى العلمى . ولأذكر الذين
رحلوا لأن الأحباء كثيرون منهم من فى مصر رحبهم الله جميعاً طه حسين
ومحمود تيمور وأحمد راسى ويوسف السامى وعبد السلام هارون وأحمد
أمين وعبد الرحمن الشرقاوى ومحمد عبد الحليم عبد الله ويوسف وهبى
وصالح جودت وعزيز أياقة وبالطبع أساتذتى محمد عفيف الله أحمد والدكتور
محمد طه الحاجرى والدكتور محمد حسين وغيرهم كثير .

وبقيت عندى حاجة ألا لزور إلا من يزورنى . ومضى بدأ فى الود فسوف
أغمره بالحب والتقدير والإعجاب . وأنا شديدة المرحى على حب الإخوان
وصداقتهم ، ويسعدنى حب الناس لى .

إن كثيراً من الرسائل فقد لائى انطلقت من مكان إلى مكان ، وكان من
الصعوبة الاحتفاظ بالرسائل والهدايا من الكتب إلا إذا وصلتني من بغداد .
ومن عاداتى أنى لا أتجاهل أية رسالة تصلنى أو كتاب يبعث به مؤلفه . .
ومع ذلك فما تزال بعض الرسائل عندى فى بغداد ، وهى من جميع أنحاء
العالم مثل روسيا والصين وإسبانية وإنجلترا أو أكثر البلاد العربية إضافة إلى
بعض بلاد العرب من تربطنى بهم صلات الفكر والود . والظلمة

الواضحة أن كتاب الصين وروسية يحاولون من الكتابة إلى الدول غير الاشتراكية ، ولكن الظاهرة أخذ يزول بجانب منها وأخذت تصلي بعض الرسائل . أما الدولة الاشتراكية التي لي بها صلات فكرية فهي بولندة فقد ترجمت من شعري وكتبت عن فكري وأحيى مرات عديدة .

طبعة الرسائل

تختلف الرسائل باختلاف كتابها . فبعض من يكتب نثراً وبعضهم من يكتب لي شعراً . وعلماء الغرب يسألون عن بعض القضايا الأدبية والفكرية أو يطلبون يكتب من كتبي أو كتب ليست متوفرة في أوطانهم أو تصوير مخطوطة في العراق . . . وكنت أحيى هذه الطلبات واشترى لهم كل ما يطلبون . وكان منهم من يحاول أن يرسل لي مؤلفاته ومنهم من يكتب بشكري ، ولم يسكت واحد منهم عن الرد والشكر . وبعضهم يسأل عن قضية فكرية أو أدبية في كتبي .

لم أتمكن من جمع كل الشعر الذي نظم في إنتاجي . . . وقد جمعت قصائد بعض الشعراء التي قدمت لي وعسى أن أكثر على طبعها بمجموعة . فقد كتب عدد من القضاة عن شعري في الجرائد والمجلات وأرسلت قصائد فيها نفع الود وعشق الأحاسيس الغالية وهي التي أحاول طبعها مع ترجمة لكل شاعر منهم^(١) .

أما النقاش والجدل والحوار فلما ألجبت الدخول فيها وأرد بالتضارب وحسب مقتضى الكلام . . . إذ أن بعض الحوار قد يساء فهمه أو يصدم عقيدة من تناقشه . وما أردت يوماً إيذاء إنسان مهما اختلفت معه فكراً ولتأني ولاصدمت مفكراً في عقيدته لأن مؤمن بأن لا أقدر أن أقهر عقائد الناس . والذين أنس فيهم الطيبة وعدم الإيذاء هم الأصدقاء ، ومعنى أنت من

(١) يقع هذا الفصل في سنة ١٩٥٤ عند السلي مدير جريدة الجزيرة بالقطيف مشكوراً ولزجوا أن يوافق

إنسان شراً لو رغبة في التسلط والعصية الفكرية فلا أقيم معه النقاش والحوار ولتعد عنه . فلا جدوى من محاولة فرض الرأي المعارض . وكفى من فاجر في نقاش ودياح في حوار عسروء نظيره وغرس في قلبه الحقد والبغضاء لأنه انتصر عليه .

أنا دائماً ابنى جديداً ولا أتقد فاضلاً لقد كنت في بداية حياتي الفكرية ناقداً جامعاً أغلب الكتب والمتحرفين لردهم إلى الصواب .

وما ظفر لي حتى قول الحق والتقد العلمي السليم هذا العطف .

والقد قبلت جميع النقادات وسعدت بكل الآراء التي قبلت عنى ولو كانت كاذبة وحاققة لأنى أعلم منها الجديد . ومن كتب الناقد فهو يكتب إما لأنه حسد إنتاجى وأراد أن يفس من حقله وبذلك يرتاح وينفس عن نفسه ونسي عداءه لي بعد الكتابة ، أو أنه يرى إنتاجى كثيراً ويريد أن ينال منه للضخامة التي يراها في هذا الإنتاج وليحس بأنه لا يقل قيمة وقابلية عنى في إنتاجه .

ما حاولت إيقاف ناقد كتب عنى ومنعت من الكتابة حتى في المطبوعات التي كنت أشرف عليها ، لأنى حرص على حرية الفكر . ولو لم يكن إنتاجى مستحق النقد لما أضاغ الناقد وقته في حراسته والكتابة عنه . إن غير مثال أردده أن الشجرة المثمرة هي التي يكثر عليها ضرب الأشجار لنقع ثمارها ويأكل منها الجائعون . وهل رأيت شجرة بلا ثمرة يضرب بالحجارة ؟

أجوبة المبهذين

الرسائل التي تصلنى ووصلتني كثيرة ولا يمكنى عدداً وبخاصة التي ألفت كثيراً منها لما ضاقت بها الملفات وكثرت أسفارى خارج العراق وتقلت من قطر إلى قطر ومن منزل إلى منزل في القطر نفسه فلو جمعتها

لأخذت حيزاً كبيراً لا طاقة لي به . وكانت الرسائل التي تصلني وأنا في
المجمع أكثر من الرسائل الرسمية التي تصل إليه . وعندما كنت عميداً في
العين كانت أصحاب ما يصلني من الرسائل الرسمية . فقد جئني الله
بأصدقاء كرام وأحبة أولياء من كل الأصناف والطبقات من الموقف الصغير
إلى صاحب الرتبة العليا . . وما سكنت واحد منهم عن الرد أو عن الإجابة
ماعدا أولئك الذين غرهم السلطة والملكهم غرور الكرسي ، وهم قلة
أكتب إليهم مضطراً ولحاجة رسمية .

ومازال يرسلني يفيض بالآاء الأخوة وحب الزملاء وجميل هداياهم
الفكرية وأشعر بسعادة عندما يكتب لي صديق أو زميل . وإذا تأخرت
رسائل الأصدقاء الأحياء أكتب لهم وأسأل عنهم وأبحث عن أسباب
التأخير .

إن الرسائل التي وصلني وملازمت تصلني فكرة أو شخصية وقلما
هاجتي رسالة أو تقدمت كتاباً أو قصيدة . ولم يفضل مفكر أو ناقد أن كتب
لي رسالة توجهني نحو الصواب وتبصرون بالخطأ . فللمجتمع العربي مجامل
إذا رأى الخطأ لا يقرمه وإذا بصّر بسوء تصرف تركه دون أن يبه إلى
السوء . لذلك كثرت في الساحة أعمال أصحاب الشر ، وللأسف انتشرت
مقولة (أنا شعليه) أو كما يقول المصريون (معلش) .

إن كثيراً من الكتاب والشعراء يكتبون أشياء تخالف أفكار النقاد الأدباء
فلا يرد عليها كهل الرواد - خوفاً من الرد القاسي واعتقاداً عن قولة السوء .
وكان حرياً بالمفكر المرائد ألا يسمح بانتشار ما يراء مجانياً للرأي الأصوب
ومنى كان الكاتب سلبط اللسان يعتمد على جماعة أو حزب أو ناد فكري
اجتنب الناقد الرد عليه . وانتشرت مقولة (الفرج عاتونة للخطأ) فانتشر
بعض الأدب والفكر الذي برهنت الأيام على ضلالتة وفسادته .

حفظ الرسائل

ليست في طريقة في حفظ الرسائل ، فانا أجمع الرسائل في ملفات لأن لا أجمع كل الرسائل التي تصلني لكثرتها بعد أن اعتادوا ما استفيد منها في رأيي للشاعر أو الكاتب أو في خبر أوثق به أرائي ، أو حادثة حدثني بها مفكر جالسها .

في صلات وصداقات واسعة مع كثير من كتاب العالم وعشوقي في مجامع اللغة العربية وجمعيات الأدب والفكر تكاد تشمل عشرات من القديسين والكتاب والشعراء ، وأكثرهم معروف وقد كتب عنهم في كتب أو معاجم أو فيها يصدر عن المؤسسات مثل مجامع اللغة العربية في القاهرة وبغداد ودمشق والأردن .

الفصل السادس

المؤلفات

الفصل السادس

المخطوطات

إن أول مطبوع لي كان مجموعة شعرية سبق أن نشرت كثيراً منها في الصحف المصرية وأردت أن أختتم حياتي الشعرية وأبدأ حياة جديدة . فعددت إلى إحراق الشعر الذي نظمته في ليلاتي في كلية الآداب وقد رثيت هذه القصائد بتسديدة مطلقها :

احترقني وانتهى يا فتات الكبد ضاعت أمان حلوة بين لقا وموعد
لم يبق من لذهلها إلا جوى التهد فاحترقني والتهميس

وبعدها خلعت حل حرقها . وقد كان أحد الصحب الكرام معجباً بشعري جمع مجموعة منه . ولما رأى الأسف حل ماقت به جازى بالمجموعة التي يحفظ بها . وعشية من أن تعاقب فكرة إتلاف هذا الشعر بانزت إلى طبع المجموعة في الإسكندرية سنة ١٩٥٠ م وكانت الطبعة الأولى ولما غدت الطبعة الأولى ، ولم يكن العدد غير ألف نسخة وجدت عند بعض عشاق الشعر يوماً نسخة مخطوطة من هذه المجموعة التي اسميتها (في ضمير الزمن) فأعدت طبعها في القاهرة وكنت شديد التردد في طبعها فأعطيتها للشاعر صالح جودت وحذثه بالقصة وقلت له : لا أريد أن أطبع المجموعة لأن وجدت بعض أجداء ينسخونها بخطهم فهل

تصلح المجموعة لإعانة الطبع ؟ .. قال أرجو أن أراها .

أخذها الشاعر الكبير معه ورجوته أن يكون ناسيا ويخبرني بأن أطيحها أم لا . وكنت أقابله يومياً لأن كنت أ حاضر في معهد الدراسات العربية وكان لي صديق عزيز آخر هو أحمد رامي وكنا نلتقي يومياً في داري أو دار صالح جودت . فقد كان صالح أكثر الناس كرمًا وأجل الناس خلقاً وإن اختلفت معه فكرياً وسياسة وما رأيت في مصر أكثرهم منه بذاً ونفساً .

وبعد ثلاثة أيام أحماد إلى المجموعة ومعها رأيه بصورة مفصلة فوضعت هذا الرأي مقدمة للطبعة الثانية التي وجدتها صالحة وأتت عليها راحة الله وكتب لها نقلاً مفصلاً وقد أحماد طبع هذه المجموعة للمرة الثالثة بنفقة دار أمية للنشر في الرياض بعد أن حذفت ما أمر الرقيب بحذفه مما لا يماشي آراءه لذلك فالطبعة الخاصة بالسعودية ليست النسخة الكاملة وصلى أن أحماد طبعها طبعة رابعة خاصة في العراق لأن أكثر شعري طبع في القاهرة .

رأي النقاد

مع أنني كنت جديداً على عالم التأليف فقد قول شعري قبولاً حسناً من الكتاب الذين كتبوا عنه والزعماء الذين لخصوه . وقد فهرس لي (من رحلة الحياة) وأحماد نشر قائمة في عمالة (شخصية يوسف عز الدين الأدبية) . ومن أوائل الذين كتبوا عن مجموعتي الأولى بصورة مستقلة :

١ - الكاتب التونسي أبو القاسم كرو ، فقد نشر المقالة في جريدة البقطة في بغداد وأحماد نشرها في تونس في (الثورة) .

٢ - الأستاذ فيصل حسون في جريدة لواء الاستقلال ببغداد .

٣ - الأستاذ وحيد الدين بهاء الدين في جريدة كركوك العدد ١٣٨٣ سنة ١٩٥٢ وأخته نشر هذه المقالة في أحد كتبه .

٤ - عهد الحميد الدجيل ضمن مقاله الأسبوعي عن الإنتاج الأدبي وقد أذيع من إذاعة بغداد ونشر في إحدى جرائد بغداد وأعلنها (البقعة) .

كما كتب عن هذه المجموعة جماعة ضمن كتبهم منهم :

١ - الدكتور داوود سلوم في كتابة تطور الفكرة والأسلوب في الأدب العراقي في القرنين التاسع عشر والعشرين . مطبعة المعارف ١٩٥٩

٢ - الأستاذ محضر عباس الصالح في كتاب شاعرية يوسف عز الدين مطبعة المعارف ١٩٦٢ مع مقالات في البيان اللبنانية .

٣ - الدكتور عبد الله درويش في مقال نشر في مجلة البلاغ .

العدد ٤ - يناير ١٩٦٦ بعنوان الإطوار والمضمون في شعر يوسف عز الدين .

وتوالى المقالات من عدد من نقاد وكتاب كرام لا أذكر أسماءهم ولا المجلات التي نشرها .

تواريخ المؤلفات المطبوعة

١ - في ضمير الزمن، الإسكندرية ١٩٥٠ ثم ١٩٧٠ ، ١٩٨٥ مجموعة شعرية صورت حياة طالب الجامعة الوجدانية .

٢ - ألحان ، الطبعة الأولى الإسكندرية ١٩٥٣ ثم ١٩٧١ ، ١٩٨٥ مجموعة شعرية فيها حيات العاطفية والسياسية في سن العلم .

٣ - الشعر العراقي في القرن التاسع عشر ١٩٥٨ ، ١٩٦٥ ، ١٩٧٧ . أول دراسة جامعية كتبت ونشرت عن العراق في هذه الفترة .

- ٤ - الشعر العراقي الحديث والتيارات السياسية والاجتماعية-١٩٦٠ ، ١٩٦٥ ، ١٩٧٧ .
- ٥ - طكت الحيلة-١٩٦٠ ، ١٩٧٧ .
- شعر يعكس حياة الشباب في مرحلة الفقرة وبخاصة في أوروبا وأثر الغرب ومشكلاته في شعره .
- ٦ - Poetry And Iraqi Society 1900 - 1945-
حياة العراق الاجتماعية والمرأة والفقر والتعليم والإقطاع وأثرها في الشعر .
- ٧ - مخطوط شعر الأخرس ١٩٦٤ .
قصائد من شعر عبد الغفار الأخرس ليست منشورة في ديوان شعره .
- ٨ - في الأدب العربي الحديث : بحوث ومقالات-١٩٦٧ ، ١٩٧١ ، ١٩٧٣
مقالات متعددة عن شعراء العرب والتيارات الأدبية والفكرية في ضوء علم النفس والنقد التطبيقي الحديث . أول كتاب في النقد النفسي في العراق .
- ٩ - داوود باشا ونهاية المهالك في العراق-١٩٦٧ ، ١٩٧٦
بحث عن حياة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر مع توضيح مكانة داوود باشا وكيف انتهت حكومة المهالك على يد علي باشا اللاز .
- ١٠ - مخطوطات عربية في مكتبة صوفية الوطنية-١٩٦٨
قائمة بمخطوطات الأدب والتاريخ وغيرها الموجودة في مكتبة صوفية في بلغارية مع وصف علمي لكل مخطوط والإشارة إلى المطبوع منها وهو أول كتاب عن مخطوطات في بلغارية .
- ١١ - الاشتراكية والقومية وأثرهما في الأدب العربي الحديث-١٩٦٨ ، ١٩٧٦

تطورت فكرة الاشتراكية حتى أصبحت سياسة للأحزاب وتطورت فكرة القومية والاشتراكية فآثرتا في الأدب العربي وتجهله .

١٢ - لمهي المدرس من رواد الفكر الحديث-١٩٦٩ ، ١٩٧٦ دراسة عن مفكر من رواد الفكر الحديث وماعائه في تأسيس أول جامعة في العراق ، ويبحث عن التعليم العالي وجنوده وبدايته وأثر المتناقضات الفكرية في العراق .

١٣ - التنصرة في أعصار البصرة (للأصطري) تحقيق-١٩٦٩ ، ١٩٧٦ تقرير كتب إلى والي البصرة في القرن التاسع عشر يوضح فيه حياة البصرة الاقتصادية والاجتماعية والجغرافية وطرق الإصلاح لرفع المستوى الحضاري للبصرة .

١٤ - شعراء العراق في القرن العشرين ج١-١٩٦٩ جمعت فيه عددا من الشعراء في العراق كتبوا تراجم حياتهم بأنفسهم مع مختارات من شعرهم . وهو أول كتاب في اللغة العربية يكتب فيه المبدعون عن أنفسهم . وأدخله أمستدتي محمد عفيف الله أحمد ضمن كتابه (من الوجبة النفسية) لربانة البحث في علم النفس الأدبي .

١٥ - من رحلة الحياة-١٩٦٩ ، ١٩٨٥ ترجمة مركزة لحياة الشاعر من شعره وقائمه بأسماء الكتاب والنقاد الذين كتبوا عن شعره .

١٦ - Modern Iraqi Poetry: Social and Political Trends 1971 يبحث في التيارات السياسية والاجتماعية من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين حتى ١٩٣٩ .

١٧ - الرواية في العراق : تطورها وأثر الفكر فيها-١٩٧٣ بداية الرواية العربية في العراق وأثر الرواية الغربية في تطورها والتجاذبات الرواية وأشهر كتاب الرواية وروادها في العراق .

١٨ - القصة في العراق : جذورها وتطورها-١٩٧٤

كيف بدأت القصة في العراق من القامة ثم الأحلام وكيف كانت وجاء
لكتاب القصة وكيف تغلب الكتاب على الأسلوب القديم وأهم الرواد
الذين كتبوا القصة .

١٩ - إبراهيم صالح شكر وبواكير النثر في العراق - ١٩٧٥
تناول الكتاب حياة أحد رواد النثر الفني في الصحافة وكيف تحول النثر
من الأسلوب القديم إلى الأسلوب الحديث والصلات المتعددة للرواد . وفي
الكتاب مقالات مختارة .

٢٠ - تطور الفكر الحديث في العراق - ١٩٧٦
بحث عن بداية النثر في القرن التاسع عشر وأثر العوامل الخارجية
والداخلية في التجديد وعوامله المؤثرة فيه وبعض القضايا الفكرية
والاجتماعية المعاصرة وآراء في الشعر حتى الحكم الوطني في العراق .

٢١ - قضايا من الفكر العربي - ١٩٧٨
يشتمل الكتاب على عدة أمور في الأدب وللتنج الجديد ودوره في
التطوير وبعوث عن أعلام الفكر والأدب .

٢٢ - قلب على سفر - ١٩٧٨
رواية تمثل حالة طالب في أوروبا وما في حياتها الحضرية والاجتماعية
من هموم وصورة حياة الطالب الذي يصل إلى بلاد الغرب لأول مرة وتصوير
حياة الغرب المختلفة .

٢٣ - فنون في الأدب الحديث والتقدم - ١٩٨١
محاضرات عامة عن التيارات الغربية كالرومانسية والاباعية والرمزية
في دراسة عن تيارات الأدب والفكر العربي وتبرز الشعراء كالبزوي وأحمد
شوقي والرماني والزهراوي والشابي وقنوي طوقان .

٢٤ - الحركة الفكرية في العراق - ١٩٨٤
يشمل الحركة الأدبية من ١٧٤٩ - ١٩٢٠ وأسباب تأخر التطور وأثر
العزلة العثمانية في الأدب وحضارة الغرب والقومية والسياسية وعوامل

اللفظة الفكرية وأبرز مظاهر التجديد في الفكر في العراق .

٢٥ - التحدي الحضاري والغزو الفكري ١٩٨٥ .

محاضرة أقيمت في مؤتمر الإعلام بعنوان (مايريد التريون من الإعلاميين) في سنة ١٩٨٢ فيها أثر السيطرة الثقافية والغزو الفكري في الفكر العربي المعاصر .

SONGS FROM BAGHDAD - ٢٦

قصائد متنوعة تثل عدة حالات فكرية وروحية ووجدانية ترجمها عدد من الأساتذة الكرام . طبعت في لندن سنة ١٩٨١ .

٢٧ - التجديد في الشعر الحديث : بواحه النفسية وجذوره الفكرية - ١٩٨٦ .

بحث مركز عن التجديد ومعناه والشعر عند الغرب ومعنى الحديث في الشرق والغرب وشرح المصطلحات الشعرية والحداثة والأساطير والشعور بالنفس وأثرها في نفس الشاعر .

٢٨ - ثلاث حداثى - ١٩٨٧ .

مجموعة قصصية تشرح حال أبناء الطبقة المتوسطة والشعبية وما فيها من الحب والبساطة التي تعتمل في نكروهم وحياتهم اليومية .

٢٩ - L'ASPONTANISTE ترجمة الدكتورة نورية نجم .

دراسة لشعر الشاعر وحياته وأدبه وترجمة بجانب من شعره إلى اللغة الفرنسية ونظرة الباحث إلى هذا الشعر ومقارنته مع الأدب الفرنسي طبع للمرة الثانية في القاهرة بعنوان التلقائية في شعر يوسف عز الدين .

٣٠ - قول في النقد وحداثة الأدب - ١٩٨٧

يشتمل الكتاب على دراسة للحامل النفسي في الأدب وتطور الشعر الحديث وآراء متعلقة في الأدب والمجتمع وتطور النقد الحديث والسياسة والأدب وضيق أدب الشباب ودراسة للأصالة وعلاقتها بالحداثة .

٣١ - همسات حب مطوية - ١٩٨٧

مجموعة شعرية فيها من الأدب الجليل والأصيل يرسم الشعر فيها حياة الشاعر في مراحل متعقدة .

٣٢ - عيسى العشاقى : حياته وحيوان شعره - ١٩٦٥ و ١٩٧٤

دراسة للشاعر وحياته في العراق وأهم مظاهر الحياة العامة والأدب والفن والفكر والحضارة وما مر على العراق من أحداث سياسية واجتماعية وفكرية وإنسانية مؤثرة .

٣٣ - تراثنا والمعاصرة - ١٩٨٧

مجموعة مقالات في التراث العربي ألقيت في مجامع اللغة العربية فيها إشارات عن الأصالة والتراث العربي والمصطلحات وتطورها وتوحيدها .

٣٤ - وعاءات الذكرى بقرائنها وطرائقها - ١٩٨٨

ذكريات طائب سافر من العراق إلى لندن للدراسة وما صادفه في الطريق الطويل من طرائف وطرائف وكيف قابل حضارة الغرب في دراسته والمجتمع الغربى بتألفه .

٣٥ - إلى القطار المنوعة (طبع ١٩٨٩)

في الكتاب ذكريات السفر إلى البلاد الاشتراكية : الاتحاد السوفياتى وللمانيا الديمقراطية والصين الشعبية .

٣٦ - نثر الأدب العربى في مسرى الأدب العربى - ١٩٩٠

دراسة للأدب العربى وتأثيره في الأدب الغربى وما ترجم منه إلى لغات الغرب .

٣٧ - بين المحافظة والحداثة - ١٩٩٠

دراسة نقدية للشعر المعاصر .

٣٨ - حلو الذكريات ومرها ، وهو الكتاب الذى بين يديك - ١٩٩١ .

٣٩ - التورين للهاجر (رواية) .

حدثت عن حرية الفكر في الوطن العربى وسعادة الشعب من

الظالمين (في الطبعة)

٤٠ - آراء نقدية نجت من التأسيس لم تنشره الصحف والمجلات وحفظه

من المقالات التي نشرت (في الطبعة) .

أهمية الكتب المطبوعة . .

الكتاب جزء من الفكر ولا يمكن أن يقول هذا الكتاب أهم من هذا الكتاب ولكن يمكن أن نصف الكتب بالنسبة للدارسين والمفكرين والعلماء ومؤرخي الأدب أو بالنسبة للإبداع والمبدعين لأن المؤلف جزء من حياة الكاتب ومن روحه ومن معاناته ويصور جانباً من حياته ، وفيه فكره وطموحه وأماله أو هو يعكس المواقف العميقة والأفكار التي يريد أن يحفظها في أمته والتجسس الذي يعيش فيه. ولذلك ليست هناك كتب مهمة وأخرى قليلة الأهمية لأن كتب المؤلف مثل أولاده . لا يمكن أن تفضل واحداً على الآخر . وقد تكون الأهمية نابعة من أثر المؤلف في الحياة الفكرية والأدبية والاجتماعية أو من مقدار العناية والوقت والصعوبات التي جابهها كاتباً . ومن هذا المنطلق فإن كتبي التي كتبها في الأدب وتاريخه والنقد أثرت في الدرجة الأولى في تاريخ الأدب الحديث ونقله ، فقد وضعت لأول مرة علمية وجامعية في ميدان الأدب العربي في عدة كتب منها :

- ١ - الشعر العراقي في القرن التاسع عشر : خصائصه وأبعاده .
- ٢ - الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية .
- ٣ - في الأدب العربي الحديث : مقالات وبحوث نقدية .
- ٤ - قول في النقد وحداثة الأدب .
- ٥ - أثر الأدب العربي في مسرى الأدب الغربي .
- ٦ - التجديد في الشعر الحديث : بواعثه النفسية وجذوره الفكرية .

لقد ظهر أثر هذه الكتب في كتابات الباحثين الجاهدين سواء بالاستفادة الكاملة أو الجزئية من هذه الكتب بل أطلقت على بعض الكتب الأسماء التي وضعتها أنا وظهرت العناوين نفسها على مؤلفات جاءت بعد كتبي .

الرياضة الأولى

أنا أول من أدرج للأدب العربي في القرنين التاسع عشر والعشرين
برسائل جامعية ولم يفتنى في هذا المصير سابق لا لعبقريّة مني وإنما لأن
الساحة الأدبية والفكرية لم تكن قد ارتدعها طلب جامعي أبلي . وقد
أخذتني الظروف والصنف في البحث والدراسة ، وملازمت حقوق المعرفة
واسعة ومضامين البحث العلمي عالية وبحاجة إلى بحوث ورسائل
جامعية . وأسعدني أن يسير في عدى خطاى الدارسون ويعجب بما أنط
الباحثون ولكن الذي يضيق البحث العلمي عدم ارتداد المجهول من هذه
الساحة . ومع أن وضعت عدة عناوين ومواضيع جديدة للدراسة أسهل
للدراستات الجديدة السيل لكن الباحثين مع الأسف يسرون في الطريق
للهد وتلك طيعة البشر ، السير في السيل السهل مدام والخسار وسعدا
وسهلاً .

وقد أعدت طبعات كتبي عدة مرات وانتظار متجددة وبأشكال
متنوعة .

فالأهمية تكون بما تقدمه للفكر والبحث العلمي من تطور وتجديد أو
إضافة إلى الجديد الذي أصبح لديها وكان جديداً .

المعاناة والإبداع

لم أحس بآفة معاناة في إصدار كتبي وطبعها ، فقد قُضت لي
المساعدات المالية من مؤسسات العراق على طبع كتبي ومن ثم جاءت
للمؤسسات الأخرى وأعطيت تطبع كتبي على نفقها وكان التوزيع جيداً .
وأول كتبي العلمية طبع في العراق ، وساعدت الطبعت الأولى التي طبعها
في العراق على إعادة طبعها في القاهرة . فقد طبعت الطبعة الثانية من كتابي

الشعر العراقي في القرن التاسع عشر والشعر العراقي الحديث وأثر الثورات السياسية والاجتماعية في القاهرة وطبع منها كميات كبيرة وزعت في جميع أنحاء العالم ، كما طبعت الطبعة الثالثة منها في القاهرة أيضا وبعدنا طبعت في القاهرة (في الأنسب العربي الحديث) وأسهمت في نشر كتيبي عدة التوزيع في جميع أنحاء العالم .

وأطبع أحيانا بعض كتيبي على حساب الخاص حتى أقتلص من الانتظار الذي تفرغته كثرة الكتب التي قبلت للنشر . وللقاهرة فضل في نشر كتيبي وبخاصة الهيئة المصرية العامة للكتاب . ونشر لي معهد الدراسات والبحوث العربية سنة كتب وزعت على جميع المؤسسات الثقافية والجمعيات العالية .

ومن الطريف أن تذكر أنني لما بدأت في الطبع والنشر ظهر لي أولاً (الشعر العراقي في القرن التاسع عشر) ونجحت إلى إحدى المكتبات التي تباع الكتب ورجعوا أن تأخذ خمس نسخ تضعها أمانة ليح ما يمكن بيعه ، فرفض صاحبها لأن في مكتبته كثيراً من الكتب . ولما راج الكتاب وكثر طلبوه جاء نفسه ورجل أن أعطيه خمسين نسخة وسلمني ثمنها نقداً .

فضحكت وقلت له : للأسف فلتك النظار ، فالكتاب لم يبق منه أية نسخة .

ومن الصدف الجميلة أن كتيبي شديدة الراج في العراق لأنها ليس الحيلة الفكرية والأدبية والاجتماعية فيه . والعراق بلد يقرأ كثيراً .

ولعل للعامة الحقيقية هي عندما أقوم بإعداد الكتاب نفسه لأنني أحاول أن أؤلف طريقاً لم يعرفها أحد من قبل . وإن عكفت على هذا المصير لا بد لي أن أسير بأسلوب جديد ما سار فيه واحد قبل من الباحثين . ويجب أن أخيف جديداً أو أكتشف أموراً لم يلمح إليها من كتب قبل . ولعل

المعانة الأكثر مشقة تأتي أبداً من الصغر ولا تعود إلى مكتبة من قبل ، على
تأليف أي كتاب يحاول أن يدرس السبيل وكأني جديد على البحث
العلمي . لذلك اختلفت كتب لي :

١ - العرض العلمي ، لكل كتاب عرض علمي يختلف عن غيره من
الكتب .

٢ - أسلوب المعالجة ، يجب أن اتخذ فيه أسلوباً حقيقياً بالقياس إلى
مؤلفاتي .

وتبدأ المعانة

أولاً : لي وضع الخطة الجديدة بعد ارتداد مضامير هذا البحث
الجديد .

ثانياً : في جمع المادة التي أقرأ حتى ما سبق أن قرأت لأن النظرة تختلف
ولأن جوانب البحث تختلف .

ثالثاً : لي تصنيف للمواد التي جمعتها . ومع أن جمع المادة وتصنيفها
يسيران حسب خطة البحث فإن التعب الجسدي والتفكير الفكري يرهقان
الغض والفكر والجسم .

رابعاً : كتابة الفصل الأول ، وهو بداية العمل العلمي الجاد ،
وتكون فيه المعانة كبيرة لأن اختيار المواد وتصنيفها حسب أهميتها العلمية
من الجزئيات التي جمعت تعب الباحث الجاد . ولأن الفصل الأول هو
الخطوة الأولى للبحث ، بل تكون أحياناً الهيكل العلمي الجاد ، لأن
الاختيار بين كثرة المواد يرهق الباحث المدقق والكاتب الصغير .

الحرية والتأليف

وليس لي فلسفة في الكتب التي أصدرتها بالرغم من أنني درست
الفلسفة والاجتماع وأردت أن أخصص فيها .. ولي سلج في البحث

العلمي وغاية واضحة في كتابة كتيبي . إن أول ما أتحراه صديق الحقائق والبحث في أخوار النفس الإنسانية وفهم العوامل المؤثرة في التأليف والنظم أو كتابة الأثر سواء أكان شعراً أم تاريخاً أم اقتصاداً ، لأن كل مبدع لابد له في اللاشعور أهداف يريد أن يحققها ويحاول جاعداً إخفاها عن مستر البحث العلمي والدراسة الجادة . وفهم العوامل النفسية والمؤثرات الخارجية لابد من دراسة البدع والعوامل التي مرت بها حياته .

ولما توصلت إلى الحقائق علمية فهم أنني وصلت إلى الصديق والصراحة في البحث . أما العامل الذي أريد أن أحققه من كتيبي فهو أن أفتح أذهان الباحثين العرب وكل العرب الذين يقرأون ، وللأسف أن أكثرهم لا يقرأ ، مع ضرورة الحياة الفكرية والابتعاد عن العصبية حتى يمكن فهم الأحداث كما جرت ومعالجة - راسل الحلقية التي عثقت الحدث . ولا يمكن أن يأتى هذا العامل إلا - مرة الرأي ووضوح الفكر ونشر المعلومات الصحيحة . ولأن العالم العربي مازال يرسف في قيود الخوف وبحس في جب الغزع بما ودثته من ثورن طويلة فهو لا يقول الحقيقة ولا يصرح بما في نفسه لئلا يهره من السلطة وحذره من الخافك .

إن الأمة العربية لن تكون أمة متحضرة وتسلم عقائده الفكر العالي إلا بالحرية . وبغير الحرية الفكرية وحرية البحث والكتابة والمعارضة لكل من يقف أمام الخلف سوف نبقى في سرائيب القرون الوسطى بالرغم من أننا نستعمل هتجمات القرن العشرين ونستمتع بما أنتجه هذا القرن من وسائل الترفيه ، نستعملها بخوف وحذر وريبة . ومع كل هذا أؤكد بصورة قاطعة بأن الحرية الفكرية هي قاصمة التقدم والتطور .

الفلسفة التي تقوم عليها المؤلفات

الفلسفة التي قامت عليها أكثر الكتب التي ألفتها تنطليح في نشر

المعرفة بين عدد كبير من القراء العرب . وينبغي أن تقوم دعائم هذه المعرفة على الصديق في البحث والحياة في تقديم الدراسة . لذلك نأثر من تحدثت عنهم أو عن أسرهم للصراحة والوضوح والصديق وظنوا بأنني أريد بهم سوما ، ولم أكن أفكر إلا في خدمة البحث العلمي المتجرد . لذلك كثر نقاشي من كل الانتماءات السياسية والفكرية لأن اتخذت الصديق أسلوباً وخدمة العلم هدفاً من أهدافي وغاياتي . فقد كتبت كثيراً من الكتب وما في طياتها التحيز الواضح لفئة أو طلبة أو اتجاه فكري ، وما أكثر هذا التحيز في العراق ، وما أشده عند كتابنا ومؤرخي الحركة الفكرية . والصراحة في البحث العلمي والعدل في الأحكام والحياة في اعتبار النصوص رائدتي الأولى في كل ما كتبت لأن الحرية هي الأساس الذي تقوم عليه حياة الحضارة المتطورة ، والصراحة هي التي تقود إلى تجنب الأخطا وتأخذ المجتمع إلى حياة أفضل ، والعدل في الأحكام يظهر السيء والحسن بوضوح وبساطة . وكنت ومزالت أحس بالمسئولية العلمية قبل أية مسئولية عاطفية أو فردية . ومعني انتشرت الحرية وسيطر العدل في الحكم فسوف يتطور المجتمع ويسود العدالة العامة في كل نواحيه .

فأنا ملتزم كل الالتزام بقضايا المجتمع وأمتي العربية والحياة الإنسانية والحضارة العلمية . ومعني التزم الكاتب بمثل هذه الأمور لابد أن يكون عادلاً في نتائج ، حراً في قوله ، صادقاً في أحكامه ، صريحاً في إبداء رأيه لأن للفكر الصديق مع نفسه ومع مجتمعه سيكون أحب حياً ولن يكون منفصلاً عن الحياة الاجتماعية والفكرية . والحياة الفكرية هي الحرية الكاملة ، ولن تحيا مثل السمية إلا إذا كان لها جلد عميق في الحضارة والحبر والإيمان العميق والثقة المطلقة بالمثل لإصلاح ما فسد من أفكار وإحسان القيم الروحية مع الحرية والالتزام حتى يكون هذا الثلاث أساس حياتنا العربية وحضارتنا الإسلامية والسلوك الناعمة بين أبناء الأمة وإحسان الاعتزاز بالشعب

والدعوة إلى الديمقراطية القائمة على حرية الفكر وإعطاء الفرص لكل أبناء الشعب في التفكير والحكم ليكون بينهم التفاضل النفسي والإحساس بمنزلتهم بشراً وتكون للفرد شخصية معانة من الاعتناء والتصف .

وأرى ضرورة العناية بالشعب وبأدبه ، وأن يرتفع الأدب إلى مستوى فني جميل ، وأن يرتفع الأدب بأدبه لا أن يبط ، لأن الكتاب والمفكرين في هاتئنا العرى قد ابتعدوا عن رسالتهم الفكرية ومنهم من تحل عنها في أمور خاصة . ولم يحفظ المفكرون بالقيم الإنسانية للحضارة الجديدة والفلسفة المشتركة بين أبناء الأمة العربية ، ولم ينشروا الحقائق العلمية بوضوح وبصرامة . وبذلك فالتنحيز العلمي والفلسفة التي أسير عليها هي الفلسفة التي سار عليها الفلاسفة الذين أراضوا أن يطوروا المجتمعات التي عاشوا فيها بداية من أفلاطون وأرسطو حتى ابن رشد والفارابي وابن سينا والفلاسفة المعاصرين في الشرق والغرب ، التي لو سار عليها المفكرون وانطلقوا للأهداف السامية في الحرية الفكرية والعدل الاجتماعي والصراحة في البحث العلمي والوضوح في الخلفيات الفكرية الحية الاجتماعية والفكرية في الوطن العرى المتخلف المزق . فكثير من قواعد الفكرية عشية فقد أخذ من عوالم لم تعرف حاجات المجتمع العرى ولم تتعرض بمشكلاته المتعددة المتنوعة ولم تدرس تاريخه العريق ولا حضارته السامقة ولا تراثه الواسع .

وقد يقتضى بعض المفكرين مغالاة في آرائي بهذا من الواقع لأنه يقرن هذه الآراء بحالة العرب السياسية والفكرية فيجعلها عينة التحليل مع أن العالم العرى هو أقرب المجتمعات إلى التطور والتجديد وله قابلية واضحة في أخذ معالم الحضارة الإنسانية والإضافة عليها. أرى أن أرسطوطلي الفكر وأحدث من برج عاجي ، والواقع أنا أريد الحرية لكل الحرية بصورتها الواضحة الجهرية ، ويجب ألا تنتع بالحرية التي يمنحها الحكام في الوطن

الحرى ولا النظم الاقتصادية المشوشة ذات الجذور المجهولة .

ولعل كل كى العلمية وبحوثى التى كتبها طبعت هذه الفلسفة . وفى ضوء دراسائى يمكن أن يتبين الباحث الاختلاف الواضح فى فهم العلمى وأسلوبى فى البحث عن خبرى من الكتاب والفكرى وبخاصة أولئك الذين يطمعون على عيوبهم أنفة من أفكار مسيئة وآراء معدة ونظريات معلبة . أنا أصرخ أفكارى جديدة وأرائى تظهر من دراسائى وبحثى فى الأمور ونظرياتى من واقع البحث العلمى الذى يرفض النظريات ويدخل الآراء الجديدة والأفكار المتطورة التى تقدم أسمى وأشهى وتقدمه إلى حرية الرأى والصراحة فى القول والعمل .

الحسارة والربح فى الإبداع ؟

ما فكرت فى الحسارة أو الربح من بيع الكتب لأن لم أفكر فكيراً مالياً فى إخراج إنتاجى . فما حاسبت ناشراً أو بائعاً أو صاحب مكتبة . لذلك فقد كانت كى لقمة هبة لأصحاب المكتبات إلا القليل منهم . والسبب أنى أحصل على المساعدات المالية والتمج من المؤسسات على اختلاف مصاندها ولم أربح إلا عندما بدأت دور النشر الكبيرة تطبع كى مثل الهيئة المصرية العامة للكتاب ودار المعارف والمجلس الأهل للرحابة الآداب والفنون ، ولكنه ربح محدود . وقد أستفيد من شراء بعض المؤسسات الرسمية من كى ولكنها فائدة ليست كبيرة بأية حال من الأحوال . ولكن الربح الكبير انحصر على بعض الكتب التى أعيد طبعها عدة مرات ولكن لم أنصر فى أى كتاب من كى حتى تلك الكتب الطمعة التى لم يطبع منها غير ألف نسخة ، مثل الكتب التى طبعها معهد الدراسات العربية . وكان ربحى من الكتب التى أعدها للمؤلفين والأصدقاء ، فأحس بمنع عاقبة ذلك كبيرة عندما أعدت مؤلفاً من كى لإنسان أشعر بأنه سوف يهدلنى الرأى

ويفراً إنتاجي العلمي . فلهذه طالباً للكتاب ما دمت أملكه . وأحياناً
أشتريه وأعديه عندما أحس بأن طالب هذا الكتاب باحث أو طالب مخلص
في طلبه راجح في الاستفادة أو بحاجة حادة لإنتاجي . إن الخسارة المادية
ليست خسارة ما دمت أقدم للمثقف ربحاً فكرياً أو ثقافة علمية . ولعل من
المؤلفين القلائل الذين يهدون كتبهم بأعداد كبيرة حباً بمنفعة الإهداء ورغبة
في نشر علمي وإنتاجي على الناس .

ومن الغريب أنني لم أكن أحفظ بنسخة واحدة من كل مؤلفاتي حتى
فيض لي الله صديقاً عزيزاً من نخبة الأصدقاء عرف ذلك فجهادى بأكثر من
خسة عشر كتاباً من كتبي بجملة ومزايا في مكتبي في العراق . وحاولت
الاستمرار في تجديد نسخة من كل ما طبع ، وأرجو أن أقدر .

إن الخسارة المادية لا أهدأ خسارة لأن في إهداء كتبي لمن يقرأها ربحاً
للفكر والأدب وهو لي خير ربح . فحسبي أن أجد إنساناً يقرأ لي ويصحب
بفكرى ويحبه وأحد الله أن قرأ كتبي في الشرق والغرب ممن يهتمون بالثقافة
والأدب وفهم قيمة للرأي ودواء الباحثين وذلك هو ربحي الوفير يوماً أحلاه
من ربح وأحلاه من نخارة .

ترجمة الإبداع

اعتمد بعض كتاب الغرب على كتبي في تأليف كتبهم عن الشعر
العربي في العراق وقد ترجم شعري إلى عدة لغات منها :

١ - اللغة الإنكليزية فقد أسهم الأستاذ بوزورث المشرق المعروف
والأستاذ داود كفون وموريس وجامعة من الأساتذة العرب في ترجمته مثل
الدكتور رضا حواري والدكتور عزت عبد المجيد خطاب والدكتور قاسم
السمرائي والمرحوم عبد الستار فوزي وقد جمعت هذه القصائد للترجمة
ونشرت في كتاب (نغم من بغداد) الذي طبع في لندن سنة ١٩٨٤ باسم

SONGS FROM BAGHDAD

٢ - اللغة البولونية وكان للأستاذ يوسف بلافسكى عضو مجمع بولندى والأستاذ فى جامعة وارسو والدكتور كرميتا سكارچينسكا فضل سبق الكتابة وترجمة جانب من شعرى فى كتابين صدرتا باللغة البولونية مع الأستاذ جوزيف بلافسكى وكتاب منفرد للأستاذ نفسه .

١ - تاريخ الأدب العربى المطبوع فى وارسو سنة ١٩٦٨ .

٢ - الأدب العربى والمعاصر المطبوع فى وارسو .

٣ - الفكر العربى المطبوع فى وارسو .

٤ - يوسف عز الدين شاعراً وناقداً (رسالة ماجستير عن يفتوفسكى) .

٥ - اللغة الإسمائية وقد ترجم عدد من القصائد وكتب عن الشعر أكثر

من مرة ويمكن مراجعة الكتب التالية :

١ - الأدب العراقى المعاصر للأستاذ يدرو مارينى مؤتلفات مطبوعات

للمعهد الثقافى فى مدريد .

٢ - فريانة للأستاذة لوزا كافيرو ومعهد الدراسات العربية مدريد .

٣ - وغيرها وصلت إلى سبعة عصابات .

٤ - الفرنسية وقد كتب كتاب كامل باسم La SPONTANÉITÉ

بترجمة جزء من الشعر مع نقد للقصائد وتعليق عليها وبعض المقارنات مع الأدب الفرنسى الدكتور دينة نجم أستاذة الأدب العربى فى جامعة الإسكندرية وقد أعيد طبعه فى الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ .

٤ - ترجمت الأستاذة ثريا هلام قصيدة فى كتاب صدر عن أعلام

الشعر العربى من مطبوعات الهيئة المصرية العامة ١٩٨٦ .

٥ - الإيطالية وقد ترجم المستشرق سيرجيو نوب Sergio Nobi قصيدة

واسعة . كما ترجمت فى أمريكا إحدى القصائد وللأسف لم يحفظ بالنسخة التى

ترجمت .

٦ - وترجم الأستاذ الدكتور راسى بوجولفس قصيدة (ترنيمة إلى

الزهراء) إلى اللغة اليوغسلافية .

الفصل السابع

الرحلات

الفصل السابع

الرحلات

إن زيارتي متعلقة للمؤمن في العراق ، فقد زرت أكثر مدن العراق لزيارة اصطلاح ومعة وفائدة روحية وكنت أزور الكاظمية كل يوم جمعة لأن لي فيها صديق النواصة الدكتور كامل الشبي . وزرت جميع الأماكن المقدسة وبخاصة النجف وكربلاء فقد كنت أزورها للإطلاع على ما فيها من كتب لي مكتباتها والاتصال بالشعراء والمفكرين فيها ، ولعل لها صلة روحية حميمة لي غشى لوجود الإمام علي كرم الله وجهه والشهداء الذين تربطني بهم رابطة الدم والقرى . والنجف من المدن الغالية التي نظمت فيها شعراً فقد قلت :

زائمت إلى النجف المشرف وغبني لم تكفني منها زيارة زائر
لكنني رمت الإقامة حلوة نحي أروني من علمها الشكائر

وهي تصبغة طويقة لا أخرى أين ذهبت . ولي زيارات عديدة لساكناء الديانة . وقد زرت الوصل عدة مرات والحلة والناصرية والبصرة والرمادي مع القرى المحيطة بهذه المدن . وكانت الجولات الممتعة التي كنت أقوم بها في بعقوبة وقراها مثل (شقة) وأصبحت جزءاً من بعقوبة . وكنا نذهب إليها مائتين مع الأتراك وإلى بروج والموهنة والساعة . ولا تكف

تكون هناك قرية أو مدينة في لواء ديالى لم أزوها فقد زرت حنبل وأقيمت فيها بعض الوقت ويشدود والقذافية والقرى هذه المدن وقطعت سنة دراسية في قرية إمام عسكر معلية وعشت سنة طالباً في التصورية (ديال عياس) وديتارة (الحالصة) . ولكل مدينة مداخلها وخلاصتها بحسب تكوينها الجغرافي والتاريخي يرفع التطورات التي دخلت عليها . وكانت هذه المدن والقرى صغيرة محدودة المساحة وقبلها بغداد . فقد كان في بغداد جسران لا ثالث لهما وكنا نركب الدراجة ونعبر الجسر ثم نمر بالكركخ ونعود من الجسر الثاني إذ كانت السيارات قليلة وكانت واسعة النقل العامة هي العربات التي تجرها الخيل . ولم تكن بغداد تتجاوز باب المعظم ولا الباب الشرقي . وكان دير الرهبان حنبل الشرقي والسجن المركزي ومستشفى الأمراض العقلية حنبل عند باب المعظم مع بعض البنايات التي بنيت لإقامة معرض بغداد الصناعي الزراعي الذي تحول إلى وزارة الخارجية ثم إلى دوائر متعددة .

وكانت سنة ناظم باشا وبداية الخلق فتح بغداد من الاتساع لأن الناس كانوا ينجفون البناء خارج السدة خوف الفيضان . وكان صالح جبر في نيسان ١٩٥٤ وصلت المياه إلى حدود بغداد وحنبلها . وكان صالح جبر في الحكم وأراد إخلاء بغداد (الرصافة) بورك الفكرة لأن الذين يموتون بالأوباء أكثر من الذين يموتون بالفيضان . وكان رأيه صالحاً إذ بنيت الدولة جهداً كبيراً في الخطاط على بغداد . ولما بنى سد الترثار لرب سلعراء حولت المياه إلى الوادي الكبير وأمن الناس من الغرق . والطريف أن أعضاء العهد الملكي أشاعوا بأن سد الترثار مشروع استعجالي ، وهكذا كان يشجع أعضاء النظام الملكي عن كل مشروع مفيد تقوم به الدولة أو مجلس الأعيان وكانوا يظنون أنهم يبرقع أسود . فإذا بنى سد بخرمة أو سد دوكان أشاعوا أنه مخطط ومبناه للظلمات الإنكليزية . ولما بُنيت المدارس الكبيرة قالوا إنها سوف تكون تكتات للجيش البريطاني . وأشاعوا بأن (ساليو بغداد) مشروع فاشل وأن الآلة قدمة وقد مر عليه أكثر من أربعين سنة وما زالت

آلاته تعمل وتحفظ الحبوب وتبعد النجاسة عن العراق بعامة وبغداد
بخاصة .

رحلات وعداوات

الرحلات إلى خارج العراق عديدة وكثيرة . فقول زيارة كانت إلى لبنان
وعشت في برمانه أكثر من شهر . وقد مررت قول الأمر بحلب وراعى
الطرق الكبير بينها وبين بغداد في جمال البناء وارتفاع العمارات . إذ لم تكن
في العراق عمارات . وكنت أكتب في جريدة حلية قبل سفرى إليها اسمها
(الوقت) ولا أفرى كيف قابلت الرجل صاحبها من آل (سباقية) فاحضى
بى حضارة كبيرة وأرشدت أن لرى المكتبة فذهبت إليها ووجدت فيها أستاذاً
فاخلاً اسمه غير الذين الأسدى وكان في إحدى يديه عطل وقد ألف عدة
كتب في النحر واللغة وعدة كتب أخرى متنوعة مازالت في مكتبى في
بغداد .

وقد كان فيها الشاعر عمر أبو ريشة وحاولت التعرف عليه ولكن لم
أسعد به . وقد وجدت شيئاً عجيباً عندما ذهبت إلى مَنَزَرَه فوجدت
الفتيات يجلس مع القتيان حول بركة من الماء ، وكان الحديث جديداً بالنسبة
لإنسان عاش في بعلبقة في الدرجة الأولى وفي بغداد في الدرجة الثانية
وكانت مفاجأة مدعشة أن أسمع عسات الحب وتفهات المحبين في جو
شاعرى غريب وجمل فظلمت أبيات أذكر منها :

بمنزله السيل رأيت حسناً	سبحان له منزله السيل
لها أحلى حنوه الماء له	وما أنهى مياه السيل
يداعبه النسيم بكل لطف	دعابة شيق وجه الخليل
بأنه القلب صرعن قتل	لها تلقى به غير القتل

وقد أعدت القصيدة إلى عمر أبو ريشة ونشرها في مجلة الأديب وهي أول قصيدة لي تنشر في المجلة إذ لم أنشر في الأديب البيروتية غيرها من شعر... وكنت أتوى البقاء يوما واحدا في حلب ولدهشتي بقيت أسبوعا.. ثم سافرت إلى لبنان فوجدت جملاً في الطبيعة وقتاً في المناظر فما أنسل (حلب) وجماعها الساحر.. فقد كان لبنان أجمل تسقيفاً وأجمل تنظيماً وإن كان أهل حلب أكرم نفساً وأرق خلقاً من أهل المصافق في لبنان.

وكنت أظن برمّة هي أجمل مصافق لبنان حتى قابلني صديق أعرف من بغداد وكان طالباً ذكياً من طلاب الطب عرفني على أسلوب حياة أهل لبنان ومكرهم في المعاملة الخالية وأعلنني معه إلى فالوجة.. كان رقيق الخلق، أعاني كثيراً في غربتي وكان جميل الصحة ورض الشهائل.. عدت إلى العراق وكان كل الحديث عن لبنان وجمال لبنان.. وأهل من الطريف أن لأذكر حادثة غريبة تدل على جميل أهل لبنان ومكرهم..

كنت أحس بأن مريض لكثيراً ما كنت أقرأ عن الأمراض الصدرية التي تصيب الشعراء، وأهل تأثرت بالروايات المترجمة من اللغة الفرنسية.. وكنت في الوقت نفسه مراسلاً لإحدى الجرائد العراقية فزودتني بوثيقة قد تساعدن على تسهيل أمورى.. فأصحاب الشأن يقربون لأصحاب الجرائد ويرجون أن يكتب عنهم لاسيما أصحاب المصالح...

مصافق بالبلد

وعندما سافرت من العراق كان معي في القطار أحد مدرسي اللغة العربية ولم أكن أعرف عن السفر شيئاً فالتفتني معي إلى برمّة وهناك كشف لي عن سره وقال بأنه جاء ليخصص صدره لأنه يشكو منه، فهل يمكن أن أصاحبه إلى طبيب مشهور اسمه نخوع هو غير أطباء الأمراض

الصدورية .. تذكرت ما كنت أحس به وحذت الأمر وفعلنا إلى الطبيب في مصيفه . ولما دخلنا العيادة أراد صديقي أن يستفيد من كوني صلياً فقدمني على أئني أحد رجال الصحافة . ولما تم فحصه قلت له هل يمكن أن الفحص أنا أيضاً .

وباليتنى لم أطلب هذا

كانت فرحة غامرة على وجهه . ثم قام بفحص صدري وكان بجانبه صورة للزئيين . ولما أتم الفحص جالس بالصورة ووضع خطاه على أعلى الرئة وقال عندك بداية سأل وهي ليست كبيرة وسوف تشفى في خلال ثلاثة أسابيع إذا دخلت المستشفى . كان يقول ذلك ببساطة وسهولة . وقلت له كم يتكلى من المال خلال هذه الأسابيع الثلاثة . وكنت في هذه الفترة أحسب ما يقضى عني من نقد ، فقد كنت لويت المودة بعد أسبوعين فاشترت بعض الملابس والمشايا .. للأسرة .. وكان المبلغ الذي طلبه أكثر مما يقضى منى من النفود .

خرجت من عنده بعد المناقشة وطلبت منه بعض الدواء حتى أكبر أمرى .

يا الله ... أنا مريض بالسعال ؟

وكان ثقل الدنيا نزل على ظهري . وسرعة غريبة وجدت خطاى تقاصرت وتعلم على نزول الدرجات الثلاث من العيادة وأحسنت بأن صبحى قد أحب . كنت وفقدت تلك الانساعة التي ملأت قلبي من جمال الطبيعة وضحكة الكون ، وبليت في الدنيا كالحل . وعدت إلى المنزل الذي أسكن فيه وفتحت الشباك وكنت أضح أضح أغنى في الهواء الطلق وأحب من حتى أقتل هذا المرض الفدك . كانت ليلة ليلاء كنت أهد نجومها ومنى تغرد تلك النجوم . كيف أكون مسلولاً ولا أهدى ؟ ما كتب أسرى التي

سوف تصاب مثل بالسل ؟ يارب أجور يارب ...

كان عوقى على أسرى أكثر من عوقى على نفسى ...

كيف أكل .. كيف أعزل نفسى عنهم ؟

أين أصبح ملاسى وأخوانى .. هل أخبرهم ؟ هل أخفى الأمر عنهم ؟

كيف أحبه عنهم ... وسوف يصابون مثل ؟

هل أقول لهم وقد يصابون بالصدمة والأسى والحزن ؟

لكن لو أخفيت عنهم الأمر سوف يمرضون وأكون أنا الجانى ..

وبدأت الأفكار السوداء والآلام الحزينة تعمل عملها فى روحى

وتصرفنى عن حياتى . وبلا مقلعات تذكرت أن فى العراق مصحبا فى قرية

(بحس) ترسل إليه الدولة المصابين بالسل والعرف عليهم وتوظف له

الأطباء .

لماذا لا أذهب إلى هذا المصح ؟

إن مديره طبيب مشهور ، ولعل اسمه الدكتور إلياس الخورى .

ذهبت إلى بيروت وطلبت مقابلة فى عيادة فى المستشفى . وذهبت

أجور المصحى . وبلا مقلعات قلت له : إبنى مصاب بالسل .

نظر لى الرجل نظرا استغربا وأعاد نظره فى مرة أخرى . ونظر لى

وجهى وكأنه يتنحن فى الانفعالات النفسية ، أو لعله أراد أن يرى أثر المرض

فى صدرى ، قال : دعنى أتحببك ، فقد تسلمت السكرتيرة الأجرة وعل

فحبك .

وكان الرجل شديد العناية واستغرق وقتا غير قصير .. ثم ضحك

وقال ، ليس عليك أى مرض ، أنا مسلول وأنت سليم .. أنت صحيح وأنا

مرضى ...

قلت : له هل أنت متأكد من ذلك ؟

قال : الأشعة هي الحكم العدل بيني وبينك وأنا متأكد من النتيجة وأنت تصيح بذلك في أخذ صورة الأشعة .

لكن الدكتور نخبو كان يتكلم بلهجة الواثق والغريب أنه اقنعني بأن مرضي لن يظهر بالأشعة وسوف يظهر بعد سنوات إذا لم أبادر بدخول المصح الذي يشرف عليه وأن الوقت لن يستغرق غير ثلاثة أسابيع فاشفى انما . . أرسلني الدكتور الحورى إلى الأشعة وبعدما سرت تفحات المصوب والرضائي نفسي ووجدت نفسي قد تقدمت كثيراً وأن حياتي الصحية بدأت تتقوى ولكن كلام الدكتور نخبو كان يندور في نفسي ويغرق قلبي وأخذ بعضي فقد دخل في اللاشعور :

لن تظهر أعراض مرضك في الأشعة . . أنا أعرف ذلك . عدت إلى بعض حالاتي النفسية وبدأت أقرأ وأمشي في الهواء الطلق وأخذ الدواء الذي وصفه لي ولم يكن سوى عقول حلة وغيتينات متنوعة . .

وجدت إلى الجمل ، فقد أخبرت بأن الأشعة سوف تظهر بعد يومين . . وكان القلق والخوف والحسرة مازالت تلازمني وإن انحصر أكثر من تصفها .

والحق أن هذا الطبيب كان بارعا في الحديث عندما أومئى برأيه الذي أدخله في عقل بعبارة غتارة عميقة التأثير لم أقدر على الفكاك منها برغم تأكيد الدكتور الحورى لي . لماذا يصدق الإنسان بالسوء ولا يصدق بالخير ؟ لماذا تكون نفوسنا نحن أبناء الشرق أقرب إلى الحزن منها إلى الأمل ؟ نحن عشنا طويلا حياتنا في الشقاء والألم بعد أن كثرت الكوارث وتوالى الحروب والمصائب على أبناء العرب والشرق ، فهاهنا نصدق غير اللؤلؤ ونرفض كل منفرح ويسعد للنفس والروح .

لذلك صدقت خبر الإصابة وانغلغل ذلك في العقل والنفس لاستعداد

الحاجة النفسية له . أما التكليب فيحتاج إلى وقت طويل للتخلص من
الجلود التي امتدت بسرعة غريبة في نغسى ونغسى وكياش .

كنت أهد الساعات والدقائق أنتظر الأشعة . وبأخوت في الصباح الباكر
إلى الذهاب إلى بيروت ، فقلت لي للشرقة على الأشعة : ليست ليك
أعراض أي مرض في الرئة . ثم أعطاني إلى الطبيب .

فضحك وقال : لم أقل لك إنك أصبحت مبلعاً من المال ؟ وأنتسم وأردف
قائلاً : كان حراً بأن تصرفه على متعتك في لبنان .

ضحكت ، وسرت نظرة الرضا في قلبي وعلمت والحداث الأمل تسم
أمامي ترحم الطيف التليل الذي بقيت آثار غاليه في روحي ونغسى .

سرت في أمر هذا التخر
لماذا أصر على أن مرضى ؟
ولماذا حدد المدة بثلاثة أسابيع ؟
وأخيراً اقتلعت بعد تفكير عميق .

قال صاحبي لهذا الطبيب إنني أصعب في الصحابة ليستفيد هو من كون
صحافياً فأعنيها فرحة أن يدخلني المصح .

وقد بانني سوف أكون رسول المصح إلى العراق وسيلان أبتاؤه المرضى
إليه وسوف يعيب عصفورين بحجر واحد ويقول بأنني شقيته بفترة زمنية
قصيرة . سوف أشهر أنا المصح بالكتابة عن المستشفى والمصح . إنها السفرة
الأولى في حيان ولكنها جلعت لي الألم والحسرة وبقيت على نار من الحروف
والرعب والخبرة والقلق سوواحد منها يد حيل حيل راسخ ويطلق صامد
فكيف إذا اجتمعت هذه العوامل النفسية على .

وقد بقيت كلمة الطبيب الغريبة ترن في نغسى حتى سافرت في السنة
نفسها سنة ١٩٤٦ إلى جامعة الإسكندرية . وبعد قبولي فيها كان أول طلب

طلبته من طبيب الجامعة أن يرسلني للفحص الطبي وأخذ الشحة لصدري .. وكانت النتيجة أنني سليم من الأمراض . وأخذت أفحص نفسي كل ستة أشهر خوفاً من ظهور المرض اللعين فجأة . كلمة واحدة من السود فاق أثرها العميق كل التجارب العملية في سبيل الخير .

فضل مصر

وأما الرحلة التي بنت فكري وكيالي وعمل وعلم فهي التي سافرت فيها للدراسة إلى مصر ، فقد حولت حياتي كلها وأخرجتني من حالة العزلة الروحية والتفكير الإنفسي إلىفتح فكري وجوهرى واسع ودأى إنسانى متطور ...

إن مصر على فضلاً كبيراً ثقافياً واجتماعياً وأدياً ، فهي المدرسة الفكرية التي علمتني الكثير من المعارف والعلوم ...

وانتمطت فيها بطيئة جديدة من الثقافة العالية ، وكان معنا في الكلية خليط من اللغات اليونانية والإيطالية والفرنسية والأصالة العربية ، لأن الإسكندرية كانت مجعما كبيراً لكل الأصول الغربية والعربية وتمثل ذلك في الطلاب الذين كان بعضهم من أبناء أسم مختلف وأمهات من مصر أو أمهات أجنبيات وآباء من مصر إضافة إلى أن الإسكندرية كانت مقسمة إلى قسمين :

١ - القسم المصرى الأصيل بحياته الاجتماعية والفكرية والحضارية والتاريخية .

٢ - القسم الأجنبى ولبه مختلف الشعوب والأمم ، وكانوا يسكنون في الرمل وهو خارج النطاق القديم للإسكندرية العريقة ويمتد مع ساحل البحر .

وقد الكلية بدأت مواهبى تفتح ، وكان الأستاذ خير من يشجع على البحث والدراسة والتبحر فأسهمت في المواسم الثقافية ومهرجانات الشعر والسفرات العامة التي كان يشرف عليها اتحاد الطلاب والسفرات القريبة من الإسكندرية وأطلعت على جوانبها الحضارية والعمرانية بالإحتلاط بالطلاب المصريين ودعيت إلى دورهم وتعرفت على أسرهم ودعوتهم واتصلت بهم صلة وثيقة وبادلواي الود والحب لأن مصر لا تعرف التفرقة العنصرية وتدفع أي إنسان له قابلية إلى الرياسة بالتشجيع والمساندة .

سفرة الصين

بعد عودتي إلى العراق جعلت مدرساً في الثانوية ثم أكملت الدراسة العالية وحصلت بالدرجة وكثرت السفرات وسافرت إلى أكثر أقطار العالم بداية من (هونك كونك) والصين التي بقيت فيها أربعين يوماً متجولاً وكان السفر لمدة شهرين لم أتمكن من إتمامها ولقائت فيها أكثر الأديباء والشعراء دون أن أستفيد منهم علماً وأدباً فقد كانت سيطرة (ماونسي تونك) على الرأي العام قوية وسيطرته قاسية وبالرغم من أنني قابلت (كوموجو) رئيس اتحاد كتاب الصين وغيره من الكتاب فما كنت أسمع إلا لراء (ماونسي تونك) الذي لم تعد المقابلة المصافحة فقد كان الحاضرون عدداً كبيراً من الكتاب والأديباء ولكن جلست مع (جون لاي) الشخص الثاني في الصين وتحدثت معه وكان الرجل يتحدث بالصينية مع أنه درس في الغرب .

قلت له : يا سيادة الرئيس ، أنت درست في الغرب فلماذا لا تتكلم بالإنكليزية أو الفرنسية ؟ فرد على ضاحكاً بالصينية ولا أدرى إن كان ذلك اعتزازاً باللغة الصينية أم أنه عشى أن يتحدث باللغة الأجنبية ويغفل فيها وأبت عزة نفسه أن يتحدث بلغة لا يحسنها . ورأيت أكثر مدن الصين حتى وصلت إلى (شنغهاي) وكانت بلداً كبيراً عليه طابع الغرب في الأحياء فهنا

حتى تحبسه من إنكساروا وألحقوا من فرنسا وثالث من أثنائية فقد استعمرت الصين وقسمت بين عدة سلطات غريبة وتركت كل أمة طلابها الحضاري والمعياري . في هذه الفترة كان الصينيون شديدي الخلق في الحديث والتصرفات ، فقد دخل إلى غرفتي في القنصل أحد الأديباء الكبار فلم يتكلم معي إلا بعد أن لمس الجدران وجلس في مكان لعله لم يجد فيه لاقطة صوت لتسجيل حديثه .

وكان المرافق كالجندى المطيع لا يقدر أن يعمل شيئاً إلا بأوامر مسبقة . عندما مررت ببنية كبيرة ضخمة للعالم سألت ما هذه البنية ؟ قال : لي محطة يكون .

قلت : دعنا نذهب إليها . وما ظل ولف بي أمام ساحتها . . وفي اليوم الثاني جئت وقال لي : هل تريد أن تلعب إلى المحطة .

قلت له : أردت رؤيتها لقضاء الوقت الضائع . . ولا أريد أن أذهب اليوم . لكن الرجل ألح ورجاني أن أذهب . . ويظهر أنه رتب مع الرؤساء ذلك الأمر وبالفعل ذهبت فوجدت من استقبلني على باب المحطة بالورد وأخذني إلى داخل المبنى ، وكان والحق بناء ضخماً . وأخذ يتحدثني عن بنائها ثم أخذني إلى مدير المحطة وأخذ يشرح لي أموراً أنا في غنى عنها .

وقلت له : هل أنت مهتمس . . . ؟

قال : لا .

قلت : هل درست علماً له علاقة بالتطورات وعملها ؟ قال : لا . قلت له : كيف أصبحت مديراً للمحطة وكيف تدار المحطة من إنسان ليس مهتمساً وليس له علم بالتطورات ؟ قال : عندي مساعدون وهم يقومون بكل شيء .

قلت معناه إنك المدير وعينت في العمل لأنك حزين . قال : هذا صحيح .

سفرات أخرى

كنا سافرت إلى موسكو وسانتفند وسمرفند وألمانيا الشرقية وقابلت عدداً من الأدباء والشعراء . وكان السوفيات أكثر انفتاحاً من الصين في العلاقات وفي حرية التصرفات ، هذا القياس مع فارق أن السوفيات لم يقرنوا بالغرب لما اعتقدوا من أهل الصين .

أذكر أن أحد الأدباء زارني وكانت له صداقة معي أوصلة سابقة . فلما أعلنت ألفت معي نشر لي أن أترك الغرفة . وكان بها ممرين الباب الخارجي والباب الداخلي فقلق البابين وأخذ يحدثنى ولعل أكتوت الإنصات كانت داخل الغرفة .

إن التصنت على القضيوف والتجسس على الزائرين منها علت مراتبهم طاعرة معروفة عن الروس فقد جاء في كتاب صلاح الشاهد الذي كان مرافقا للرئيس عبد الناصر في زيارته لروسة قال : خرجت إلى الرئيس جمال عبد الناصر وأنا ألحن وأسب . فأشار إلى الرئيس أن أسكت . ولما وصلت إليه وكان يجلس خارج البناء أشار إلى زر من أزرار معطفي فكان مكبرة للصوت استبدلتها المخابرات الروسية بطريقة لا أعرفها .

ومن خرائب السفرات والرحلات كتبت عدة مقالات منشورة في الجرائد المحلية وأكثرها في جريدة الجمهورية ، وجمعت في كتابين طبعا في القاهرة .

أما الرحلة التي أثرت أثرها الكبير في حياتي العلمية والفكرية فهي رحلة العلم للحصول على الدكتوراة فقد كانت غلة حضارية وعلمية أثرت في أكثر اتجاهات الحياة الحضارية لدى .

الغرب يختلف عن الشرق في كل شيء في حياته الاجتماعية والفكرية والعلمية والاقتصادية هناك الحرية الفردية مصونة واحترام الإنسان لا يعد له

أي احترام في الشرق . فالإنسان حر ويرى له مقامه المحترم وشخصيته الكبيرة . ومواءة أكان فرانشا أم رئيس دولة ملك حرية واحترام ما كنت أصدره وثقة كبيرة واسعة بالإنسان منها كان أصله وجنسه . في العالم الأخرى أو المتحضر لا يرون الإنسان من الرعايا الذين يجب عليهم الطاعة إنما يعامل مواطنًا ويحس بأنه جزء من الدولة لأنه يعطى صوته في الانتخابات وهو مصدر الحكم لا الدولة . إنه السيد والحاكم هو المسود الذي يخالف منه ويحسب حسابه . وحلقة الدولة به أن تخدمه وأن تقوم نيابة عنه بالهيئات القتال وتوفر له الرفاهية والأمن والأطمئنان وحرية السكن والقول والاجتماعات والعمل والمظاهرات والإضرابات لأنها رمز الحرية وإظهار الرأي المخالف .

وفي الشرق الدولة سيادة الجميع ، فهي تنظر للمواطن نظرة السيد للمسود وتتهمه وتعاقبه ويشيع سجنًا وتعذيبًا وشكًا قبل أن تسأله وتحقق في الاتهام الموجه إليه . إنه المجرم حتى يثبت هو بفسه براءته . وقد تحولت الدولة دون إثبات هذه البراءة . الشك القاتل ظاهر بين الشعب والدولة وهو دائم الخوف عليه أن يهتف لأخطائها ويصنق للحاكم على أخطائه وأخطائه لأنه خادمها وهي السيدة وتفرض عليه النظام التي تريد والرأي بالقوة دون أن يحترم رأيه ولو كان عالمًا ملأ الدنيا بفضله وعلمه . ولا تعرف الدولة أن أبناء الشرق وروثة الحضارات، ولقد انتهى زمن الاستبداد والبطش . وها هو العالم يسخر من الشرق ويسمينا الأمم النامية وهو في قراوة نفسه يسمينا الأمم المتخلفة .

لا شك في أن السفرات العلمية والأدبية والفكرية تبتت صداقات وعلاقات بين الأدباء والمبدعين، فلكل أصبحت عندي صداقات وعلاقات مع كثير من المفكرين والكتاب . وقبل أن أرحل في الوطن العربي كانت السفرات منتظمة ومتواصلة وكنت أبادل للطبوعات معهم وكانت تصلني

الكتب والمجلات بكل اللغات . . . ومن مختلف أنحاء العالم .

المذكرات ونشرها

نشرت مذكرات في الجرائد العراقية وجانبها منها في الجرائد العربية بسبب هذه المذكرات بكتابين سجلت فيها انطباعات عن المدن والأقطار التي زرتها وإن لم أستمع في التسجيل ولم أستوف كل الجوانب التي أردت التحدث عنها لأن ظروف العمل بعد العودة إلى العراق تأخلى بعيداً عن الاستمرار في الكتابة . ومع ذلك فقد جمعت من هذه السفريات بعض ما توفر عني ، وكان أول الكتب (وعادت الذكرى بطرائقها وخرائبها) طبع في أخيرة المصرية العامة للكتاب وفيه سجل لسفري من العراق إلى أن حطمت رحلي في لندن . وفيه ما شاهدت من الخرائب في حيلة الغرب وتحلل سفري وجانب من حياتي طلياً للدراسة في الجامعة وما عانيت من الرعب والحول من جراء العمل المتواصل وتوابع الإحطاق في الدكتوراة لأن ذهبت إلى لندن بإجازة دراسية مدتها ستان وعلى أن أكمل الشهادة في هذه الفترة . وكنت أسبق الزمن لإتجاز الرسالة وتعلم اللغة الانكليزية ، لغة وأدباً ولقظاً والاستفادة من حيلة الغرب وحضارته والتأقلم معها بعد أن عانيت في العراق من موطنى وزارة العلوف . وكنت للعانة مستمرة طوال الطريق . وفي لندن داهمني الغربة وصعوبات الحيلة واللغة والحيلة الاجتماعية والفكرية . وقد فوئت بعض المذكرات عنها ونشرت في الصحف وقد جمعها في كتاب (إلى الديار الممتوحة) لأن السفر إلى الدول الاشتراكية مخاطرة وكانت هذه الأقطار ممنوعة على العراق وأعله . وقد سجلت بعض الانطباعات العامة وأصبحت بالصين وبعضياتها وقد وسع لي ألقها للبحال وفتحوا لي الطريق بكل ما أريد أو أردته بالرغم من أنى ذهبت إليها وكانت الثورة الثقافية في لوجج هرواها وحلسها

ولم يكن عندي وقت لإنشاء علاقات مع البدعين في أوروبا أثناء الدراسة لأن العمل كان قد أخذ مني كل الوقت . ومع أنني تعرفت على بعض الأدباء والمبدعين في الصين الشعبية إلا أنهم لم يكتبوا لي رسالة واحدة خوفاً من اتهامهم بإقامة صلات مع عالم الشرق الرجعي أو البرجوازي .

وبدأت صلاتي بالمبدعين والفكرين بعد التفتح الفكري الصيني والرومي على العالم وأصبح لي معارف وأصدقاء في عالم الدول الشرقية . وقد حاولت بعد عودتي أن أوتق صلاتي هؤلاء بإرسال رسائل شكر وتقدير على حقارتهم لي وإرسال بطاقات مصورة وبعض كتب ، لكن لم يجب عن تلك الرسائل غير المسئولين برسائل رسمية ليس فيها حرارة الود ودفعة الحب ، وهي صورة للحكم المطلق وعبادة الفرد الذي يظفي على الحرية الفكرية وعلى تواجيز الكتاب والعلماء وينشر الرعب في قلوب الأدباء والشعراء ولو كانوا أبرياء .

الفصل الثامن

السياسة

الفصل الثامن

السياسة

العراق والوحدة

العراقيون يهتمون بالسياسة صغيرهم وكبيرهم لأنها تؤثر في حياتهم وعيشتهم. وقد أحسوا بالثغرة التي صبها عليهم الاستعمار لذلك كانوا شديدى الاستجابة للوحدة العربية التي غرسها في النفوس المدرسون الأرائل الذين كانوا يدرسون في العراق في الثلاثينات . فقد درسنا جماعة من السوريين والمليتيين والفلسطينيين وكانوا يتخون بالوحدة في كل محاضرة . وصرنا في حديثهم عندما تسلمنا الميادة العلمية لأن العرب لن تقوم لهم قائمة إلا بها ، ولا يهم أن تكون الوحدة بأي شكل من الأشكال لأن الاستعمار يقف أمامها مهما كان شكلها ولا يغال العالم الغرب وأعداء العرب وأصدقائهم إلا من هذه الوحدة التي نريدها ، نوانها الدين الإسلامي وقاعدتها التراث الإسلامي ولا تتعارض مع أية الجماعات في داخل الأمة العربية ولا تؤثر في غير العرب الذين يقيمون في الوطن العربي، فهم إخوان لنا في السراء والضراء . وليست العربية بأم ولا أب إنما هي الصبر المشترك والإحساس الداخلي العميق بالتضامن داخل الوطن العربي الكبير .

لذلك كانت كلمة الوحدة تتأعب هيلة الشباب العربي في كل مكان وكانت هدفهم وحلو أحلامهم للشرق .

وفي يوم من الأيام ، وكنا في عز المراهقة ، ثابنا لتكليف جمعية باسم الوحدة العربية دون تحطيط أو فكرة محددة أو رأي ثابت . إنها الفكرة وحدها كانت تملاً النفس . وكنت طالباً في دار المعلمين الابتدائية ، ولم يكن عندنا يتجاوز عدد أصابع اليد . كلنا كنا طلاباً - واحد في الحقوق وأخر طالب في كلية الطيران وثالث كان موزعاً في إحدى دوائر الدولة وواحد في مدرسة الشرطة وطلاب في الثانوية وغيرهم . كنا نجلس في بيت أحد الزملاء ونحلم بانحد العرب ونضامنهم ووحدهم . كانوا جميعهم في بغداد في المحلة الشعبية (المكارية) وما حولها من الطوب والبازودية من طرود هذه المحلة أو نوابعها أو كانت متصلة بها إذ لم تكن بغداد قد فتحت فيها الشوارع الكبيرة ، وكنا ننسل إلى بيت الزميل . وفي أول انتخاب هؤلاء اعتاروا نائباً لرئيسها وهو الطالب الحفوفى ، ولما وجدوا بعيداً عنهم في الأعطية غيروا صفتي إلى سكرتير هذه الجمعية .

مقتل الملك غازي

ومات الملك غازي أو قتل غدواً ، وكنا نحن الشباب شديدي التعلق بالملك الطموح الذي كانت إذاعته في قصر الزهور تذهب إلى ضم الكويت إلى العراق وتراء أمل العرب وأمل الوحدة . فبعد الكويت سوف تنضم إلينا سورية والأردن والوطن العربي كله ويصبح العرب كلهم أمة واحدة ورأيا قوماً مسعوماً يحد من يقف أمام مصالحها ويرفع اسمها كما ارفع اسم الأجداد في عصور التاريخ الزاهية وحضارتها الساطعة التي طورت العالم كله . كانت أحلام الشباب والمراهقة تدفعنا إلى الخيال البعيد ، ولم تكن تعرف ما تصنع وهل على الشباب المراهقون أن يخطط ويحمل في وقت واحد . ما كنت أشتركهم أكثر الجلسات لكننا كنا نكتب التأشير نذهب فيها للوحدة ونغرس بذورها في مدارسنا ونبحث الشباب على الانتباه من مؤمرات الاستعمار والصهيونية في فلسطين . كنا نعيش أخبار فلسطين

والاستكثارية ومصرية ومراكش وبقرة وطرابلس وكانت عواطفنا تنقل . . .
بالحب للعرب والحقد على الاستعمار وبلا مقدمات لأنفسنا . . قتل الملك
غازي أمنا في تبنى أعلامنا في خلق مجتمع عربي موحد . فبطلت الآمال
واعتزت الأحاسيس ونعيم الأم والصمت والحزن على كل شباب العرب من
أمثالك وسرت الإشاعة بأن نوري السعيد والإنكليز وراء مقتل الملك الشاب
لأنه يطمح في وحدة الكويت مع العراق وتلك ضد مصلحة الإنكليز . . .
وكانت هذه السنة سنة عجيبة بما حوته من حوادث كبيرة كان لها
صداعها في العالم العربي . لقد كانت قضية فلسطين تغلج مراجعها وفيها
أعلنت الحرب العالمية الثانية في الثالث من أيلول . وقد كان غازي يطمح
بأن يقود العرب إلى الوحدة العربية ، وكان حاصر الأحداث التي حدثت في
الحجاز وطموح الملك الحسين ووالده في اتحاد العرب ، وهو ما لا يرغبه
الاستعمار البريطاني الذي يريد تفريق كلمة العرب للسيطرة عليهم . إن
مقتل الملك غازي كان بمؤامرة داخلية ورغبة خارجية . فالتلك غازي كان
يكبر الإنكليز ولا يثق بهم . وكان الإنكليز يعرفون هذه الكراهية لأنه لم
يخضع للسفير البريطاني وفضي على حركة التيارات في الشمال . إن مساعدته
لثورة فلسطين وكراهيته الإنكليز والحقد الذي ملأ قلب نوري السعيد بمقتل
جعفر العسكري الذي ظن بأن الملك غازي كان ضالعا فيه هي عوامل أدت
إلى تخطيط مدروس في قتل الملك العربي الطموح الشاب فلم يكن الإنكليز
يحتسبون منه هجمات إذاعته على الاستعمار البريطاني ، ولم يرض الاستعمار
بتمرد على سلطتهم ، ولا بد أنهم اتفقوا مع عامل داخل ولم يكن خبر نوري
السعيد الذي يقدر على تنفيذ رغبتهم . ولا شك بأنه كان مدبرا منه إذ
انقلبت رغبات الإنكليز ورغبتهم فاتفقوا مع الأمير عبد الإله واعتطفوا شهادة
الملكة عالية والأميرة راجحة في دعم أفكارهم . وعلى تقدير واحدة منها أن
ترفض حقوقا من ضياع الملك منهم ؟

كان الشعب العراقي يحب الملك حبا جما . ولم أر على مرّ التاريخ

الحديث شعباً أحب ملكه وأعجب به مثل إصحاب العراق بالملك غازي .
وكان الشعب يتوج صارعاً ويكفي حقناً على نوري السعيد ومخرجت
الجموع تصيح :

الله أكبر يا علق غازي انقذ من طره
واهزت أركان السما من عذمته الباره

لماذا قتل ؟

ورجى الشعب كل غضبه نحو نوري السعيد والاستعمار البريطاني وهاجم
الشعب في الموصل وهاجم الفصيلة البريطانية وقتلت الجموع (موند
ميسون) القنصل العام .

وبعدها دخل العراق في دوامة من الحقد بعد أن تدخل الجيش في
الحكم وحدثت حركة رشيد علي الكيلاني واشتد الصراع السياسي والطامع
الفردي بين أهل العراق . إن قضاء الملك غازي على الحركة الانفصالية التي
أراد القيام بها جماعة ساندتها الاستعمار البريطاني وأسكنها شياخ العراق
أخضبت الإنكليز ، وأصبح أن الملك غازي اعتدى على السفير البريطاني
وأعانه عندما قبله متجهاً ، ولم يكن الإنكليز أقل بغضا منه وحقداً عليه
لأراد أن يزعزع المنطقة العربية بدهوات الوحدة . فلما كان جده قد تقى إلى
(قبرس) فقد قتل الملك غازي في سبيل إيمانه بوحدة العرب فكان للإنكليز
ونوري السعيد ومن يؤازرهما من بعض العاملين في قصر الملك غازي دور
في تخريب السيرة واسطخاخ قصة لولف إذاعة قصر الزهور عن البث لأنها
كان إذاعة شعبية ونجحت لأجمل السياسة الداخلية التي تفلها نوري السعيد
وأمواله في التخلص منها .

غريب الساسة العراقي

لا أريد أن أتدخل في أمر كثرة القول ومخاض فيه الكتاب في آرائهم
وكتيهم، لكن الحقيقة التي لم تتغير أن لنوري السعيد بدا في قتل الملك الشاب
ووضع كل الطبخة التي جاءت بالأمير عبد الإله وصياً وما تلا ذلك من
أحداث العراق الكثيرة . ولابد لي من القول بعد هذه السنين الطويلة إن
رجال العراق وساستهم كانوا هم سبب تخريب العراق الجديد عندما جاءوا
بالأمير عبد الإله وصياً . وكان رجلاً مهملاً لا خبرة له بالحكم ولا يعرف
الساسة والناس . وظهر ذلك في شعر عيسى الخنساوي بعد حركة رشيد
عالي الكيلاني ودافع عنه في قصيدة له :

قالوا في ملك في الحكم تحرية قد يولد الخلم في الشبان والشب

أراد ساسة العراق وهل رأسهم نوري السعيد أن يكون الأمير عبد
الإله وصياً ليكون مديناً لهم فلا يخرج عن إرادتهم ومصالحهم الخاصة
ولكنهم حكموه بعد ذلك في أنفسهم عندما احتفظوا لشعر بما في نفسه من
قدرة وبدأ يتصرف عن السياسة السليمة ويخلفوا من أن يأل الأمير زيد وصياً
وطعنوه بأن زوجته تركية . وأكثر هؤلاء كانوا يتكلمون التركية لأنهم تعلموها
في استنبول ولو جاء الأمير زيد للحكم لكانت أمور العراق غير الأمور التي
آلت إليها والتي قضت على جمعهم بداية من عبد الإله ونوري السعيد
ومن سار معهم في الترك من الأبرياء والبسطاء .

إنه التاريخ يعيد نفسه ، فعندما مات الخليفة العباسي رشح للخلافة
ابن المعتز ، فقال الأتراك ولعلها (وصيف وعا) كيف تأتون بخليفة
يعرف الصفراء والبيضاء ؟ فعزلوه بعد يوم واحد وجاءوا بطفل صغير من آل
الخلافة ، فسرب الحكم من العرب وتشتت شمل الحكم الإسلامي ونحاح
العرب .

سرّ مقتل الملك غازي

إن مقتل الملك غازي كان مديرا . وأقول لأول مرة بعد أن حدثني عبد المطلب محمد أمين ، وكان ضابطاً في الحرس الملكي ، بأن سيارة الملك غازي قد خرج فيها الكناج . فبعد أن وصل الملك من قصر الزهور وبعد أن استراح ، جاءه لداء تليفون يخبره بأن محطة الإذاعة قد عطلت ، وكان رحمه الله شديد الحرس عليها . فذهب سريعا بسيارته ، ولما انعطفت بها اصطدمت بالعمود الكهربائي لأنه كان شديد المخاطرة جريء الخطو . . فكان الموت في انتظاره . أما ما قيل من أن العميد لو السائق مات أو قتل فليس صحيحاً لأن السائق كان حيا . فقد حدثني المرحوم عبد المطلب الأمين وكان قريبا لأحد الوزراء وكان الحديث في داره وكان طريق القرائن في السبعينات بهذه الحكاية .

في سجن معسكر الرشيد

كانت الأحلام الجميلة التي داعبت رؤوس الشباب قد انهارت بسرعة على الرؤوس فثاروا وكتبوا منشورا يدّكرون فيه بأن الانكليز ونوري السعيد قتلوا الملك ووزع المنشور في جميع أنحاء بغداد .

ومن الغريب أن يكون الخبر عن هذه الجمعية أحد أعضائها ، وكان قريبا لشير الأمن ، فتم إلقاء القبض على جميع أعضاء الجمعية في الليلة نفسها لأن العضو أخبر عنهم ودل عليهم .

وفي الصباح الباكر أرسل مدير دار المعلمين في طلي . فوجدت شخصين يتطران قدومي . وبرقة ولطف أهداني بسيارة إلى مركز شرطة السراي ولم أكن أعلم السبب ، وفهمت عندما وجدت الجمعية بأعضائها في

التوقيف . . . وأخبروني بأنهم اعترفوا بكل شيء ولا حاجة للإنكار كيلا
أهان وأضرب ..

لم تختلف إلا بشيء واحد موافقهم اشتركوا في إعداد المنشورات
وتوزيعها وكنت ألقى الأعظمية عندما كتب المنشور ووزع في بغداد . . .
أدخلنا إلى المجلس العرفي العسكري . . . وأدخلنا إلى معسكر الرشيد ووضع
كل واحد منا في حجرة صغيرة محدودة المساحة وكانت في بابها كوة صغيرة
أغلقت بالورق حتى لا نرى ما يجري خارج الحجرة ، وفي أعلاها شباك
صغير ومصباح كهربائي بعيد لا يمكن الوصول إليه معلق بسلك قصير .
كان المفاتيح سريرا من الخشب وبطانية مما يستعمله الجنود في مضاجعهم .
لقد جردونا من كل شيء كان معنا ولم يبق معنا غير ملابسنا .

كانت المعاملة لطيفة جدا من الجنود والضباط بل تكاد تكون محلوقة
بالإعجاب والتقدير ، يعكس معاملة الشرطة الخشنة بناء على تعليمات
معلون مدير الشرطة الذي عرف بسوء الأدب وسوء التصرف . فقد قابل الزملاء
بالضرب والإهانة والتلفظ بالفاظ لا يمكن أن تكتب على الورق . لذلك
حفرى الزملاء لأن لم أكن معهم في المقابلة الأولى . ومع ذلك فقد نهكم
أشد التهكم علينا وعلى الشباب وقال : هل تريدون أن نكونوا مكان نوري
السعيد ؟ وامتنحه . ومن العبدف أن يرى هذا الضابط نهاية نوري السعيد
على يد الجليل الذي سطره . . . ولا أخرى ما كان يقول . . . ولا أخوته
قال شيئا لأنه كان مهملا وكان قد أحيل إلى التقاعد . وأدخلنا إلى المجلس
العرفي العسكري الذي تيمت هيئة الرعية . وكنت قاعة المحكمة المحرس
بالجيش الشاكي السلاح وقد أطلت الخراب من البنائى التي تبنى تحت
الإضاءة الشديدة فتزيد في رعية المكان . ومن الطرائف أن صلاح الدين
الصباغ زارنا في السجن معجبا بنا وكانت في جيبه مفكرة بدأ يقرأ لنا
الإشاعات التي سيطرت على العراق من جراء مقتل الملك غازي .

ولم يجلية معنا الخبر وعضو الجمعية إلى المحاكمة ، وقد غاب ولم يأت حتى للشهادة علينا ، جزاء الله أكرم ما يجازى أمثاله من الجواسيس والخونة . تبارت الصحف وأخذت تكتب عناوين بارزة بأن الدولة ألقت القبض على جمعية سرية . وضطمت الأمور وكبرها . وكيف لا تكون ضخمة وقد أحطنا إلى المجلس العسكري وأيديها مكبلة بالحديد وعلينا حراسة شديدة في سيارات مغلقة . وكان لحباط المجلس العسكري من أصحاب الذوق في المعاملة ، فما رأينا سوءاً في اللقبز أو عمرة في القول . وظهرت ملاحق للجرائد تتحدث عن الجمعية السرية . وصدرت علينا أحكام متعددة منها السجن ، وحكم على بالمة التي أوقفت فيها وأطلق سراحى وعُدت إلى الدار بطلا حتى قال أحد الأستاذة . . . ما كنا نظنك بهذه المكانة الكبيرة . ولم أكن كما قال الأستاذ إنما كنت صاحب خيال له طموح عرى كبير ، ولم أتم بعمل يستحق كل هذه التكريم والإعجاب ، ولكن كراهية الحكم أعطنى الود والإعجاب . لم أكرث بالسجن ولم أحس بالخوف أو الرعب ، فقد كانت للمعاملة لطيفة غير أن عالجس والذل لا يفلترقن ، وأعرف حينها وشدة حناها . وكان الإخوان يرددون التشيد الخالد :

يا ظلام السجن عيِّم إنسا هوى الظلام
ليس بعد الليل إلا فجر عهد ينسا

وكان بعض الزملاء يكنى حسرة وألماً وكان بعضهم ينشئ ويرفع صوته بالغناء . . كان الزملاء في تناقض عجيب ، فيهم شجاع لا يخاف ، ومتهلج يكنى خوفاً وعلماً . عزت الحداثة التي بالناس بالاصدقاء هزاً عفيفاً . كيف ينشئ بنا إنسان ولقنا به وكان معنا يأكل ويأمر ثم ينأمر ؟ كانت هذه أول صلعة قابلتها من الناس والاصدقاء .

كنت ما زلت ساذجا لهذا أعجبت من خيانة الأصدقاء . وكان الهدف
كرما وفي سبيل أمنا العربية ومصيرها .

نُبل المسجون

نظمت بعض الأبيات في هذا السجن ، وكنت في أول نظمي للشعر .
وما سامني إلا أن توقف لو تسجن ونحن طلاب مع أصحاب الجرائم ومنهم
النشال والسرقة والقتل في سجن الشرطة ، ولم يكن يسمح لنا بالخروج
للتبول إنما في صحيفة موجهة في الركن للأبرار تحتها الكربة السجن
الصغير . هل أرادت الشرطة إذلالنا وإهانتنا بوضعنا في سجن السراي مع
هؤلاء المجرمين ؟ الغريب أن هؤلاء لمحاولوا إلى جماعة تقطر كرما وتفيض
بالخلق اللطيف ، وقابلونا بود واحترام ، وعاملونا بكل رقة وتقدير . فهل
فهم المجرمون قصدا أكثر مما فهمه مدير الشرطة في مركز السراي ؟
كانت مفاجأة أخرى أن أرى الذين ساربتهم الدولة ووضعتهم في
السجن أكرم من ذلك لشرف الذي وثق بنا . وبدأت أفكر بأن هؤلاء لو
فيض الله لهم مجتمعا بمحبهم ويحذب عليهم وأسرا تضم شتايم لكانوا
بلا ريب من أكرم العناصر وأرق البشر . كم ظلم المجتمع أبناء قتلوا
عليه وأرادوا الانتقام منه لأنه لم يعرف صديق مواطنهم وحق محبتهم له .

الفصل التاسع

الشخصية بأسلوب المؤرخ

الفصل التاسع

الشخصية بأسلوب الأثر

متوسط القامة ، قمحي اللون ، غليظ الحاجبين مقروءيا ، ليس بالسحون المثلث ولا بالضعيف الخزيل ، ليس كبير الفم ولا صغيره ، متوسط الذقن ، مدور الوجه حصل العينين ، متوسط الأنف يميل إلى الكبر ، ملامح الوجه شرقية عربية فيها سيات الشرق الأوسط . بين التركية والفارسية والهندية ، تغلب الملامح العربية على وجهه - شعره أسود . ليس بالطويل ولا بالقصير - مربع القامة ضاحك السن في أكثر الأوقات .

المجتمع والشخصية

عاطلي الإحساس ورفيق المشاعر تؤلفني أعطاه الناس وسوء تصرفهم وتسعدني قولة الحق والصواب - أحاسيسي مثل بساطة الروح الفروية وسلاحتها التي مازالت تسيطر على برغم التجارب الكبيرة في جميع أنحاء العالم ، أحسن الظن كثيراً بالناس حتى مع أولئك الذين يستغلون حسني ، وأقبل الخداع من الآخرين إذا كان ذلك يسعدني - على ألا يظن بي الغباء حتى وإن سمحت لهم أن يظلموني .

أعامل الناس بالناسي والخطيئة والخلق الرضي لأن أعتقد أن حسن الأخلاق يؤثر في أكثر الناس خشونة . وأتبع المثل العراقي (الكلام الطيب يخرج الحية من الزاغور) وأردت دائماً : بني إن الخلق شيء هين . فقط رقيق وكلام لين . تظهر خشونتي وتورق مني أحسست بالإهانة أو للناس بكرامتي لو كرامة من أحس بأنه أي النفس ، وبلا شعور أتور كالأسد الذي يدافع عن عرينه ، وللأسف تصبح تورق حافة بالرغم من أنها ناعمة الخشونة .

اتعاضني عن زلات الناس وأخطئي الأعداء سائراً على قول الرسول (أعدل الناس أحلهم للناس) وبالفعل وجدت كثيراً من الناس يستنون بكون أن يقتصدوا الإساءة لدوافع داخلية أو مؤثرات نفسية تغلبت عليهم مما في العقل الباطن من ترسيبات .

في أصدقاء من جميع الطبقات الاجتماعية ، من التعامل البسيط إلى الموظف الكبير ومن الأمي الذي لا يفك الحرف حتى رواد البحث والفكر في العالم العربي والشرقي والغربي .

لم أخاصم صاحب رأي ولم أجادل مخالفاً لفكرتي إلا في حدود توضيح رأيي وإبداء فكري وأكتفي بما أكتب لأن أؤمن بأن البناء أحسن من الهدم .

ولم أهاجم أصحاب العقائد والديانات المختلفة والمذاهب المتباينة لأن أعنت بأن (كل حزب بما لديهم فرحون) .

أحافظ على الأخلاق وأحاول أن أكون كريماً إذ يسعدني أن أكرم الآخرين الذين أراهم بحاجة إلى عون ومساعدة وسؤدد لولئك الذين يستغلون كرمي بأكثر مما أطيع . يلومني الإخوان على كرمي والواقع أنني لا أقبل الدين في عني فلوه الهدية بطلها أو بأحسن منها إن قدرت على ذلك .

ما ناقشت انساناً على عمل أو منصب أو جائزة لذلك لم أدخل طول
عمرى في مسابقات أدبية أو فكرية ولا اعتمدت على بطاقات (الباتصيب)
للإثراء .

ابتعد عن الغش والخداع والتدليس ، لذلك ما حاولت أن أغش في
الامتحان كيلا أكون في موقف صغير أمام الملثم والمغفل والمغالب .

وعبر شاهد لي كثرة الأصدقاء والمحبين عندما انتدبوا للمجمع العلمي
المعراق أميناً له . بدأ الإخوان من الأدباء والكتّاب والأساتذة يفتنون إلى
بناية المجمع وأصبحت فيه حركة ظاهرة ولا سيما بعد أن شجعت الكتّاب
على الاستفادة من مكتبة المجمع ، وبدأت أحدى بعض المطبوعات للأعلام
والمفكرين وطلاب العلم والباحثين .

كان المجمع هادئ الحركة ، وفجأة ظهر النشاط فيه ، فما كان من
أحد الأعضاء (رحمه الله) إلا أن ذهب إلى الدكتور ناجي الأصيل (رحمه الله)
وكان رئيساً للمجمع واشتكى من الزوار وكثرتهم عندما جئت للمجمع .

وفي إحدى جلساتي مع الدكتور الأصيل أثار إلى ذلك فقلت له : إن
أصدقائي هم ثروتي وحب الناس كثر لا يعرض قلبي فافصلت بين عمل
أصدقائي وأنا وأفضلهم .

فابسم رحمه الله وقال : ما اعزتك إلا لأنك محبوب ووجهك حرك
المجمع وأدخل فيه نشاطاً ما عرفناه فيه من قبل . . وبخاؤك وأصدقائك
أصلح لنا من أن يكون المجمع منسياً . فقد دبت الحركة فيه وأصبح مؤثراً
للدراسة والكتابة والاستفادة بعد أن كان لا يعرفه أحد ولا يرى مكانه إلا
القلة من الناس .

رحم الله ناجي الأصيل فقد كان مثلاً للأخلاقي الكاملة والفرقة المتعاقبة
والفكر الحر الأصيل .

البيت والأولاد

الحالة جيدة ، شأن كل العرب في بيوتهم حيث تتوافر صلوات الود والالفة . فقد آمنت زوجتي بأن للرجال الكلمة الأولى في الحياة وهي تصدق في إيمانها وترى الرجل غير المرأة ولكل واجباته ومهامه التي يجب على المرأة ألا تتدخل فيها . . بل لعيب على المرأة التي تقوم بالأعمال التي يقوم بها الرجال . وتسخر من السيدات اللواتي لا يقمن بواجبهن نحو البيت والأسرة ، وتؤمن بأن واجب المرأة هو في بيتها وأسرتها عن قناعة تامة ورضا نفسي .

وأحد الله أن لولائي قد ربتهم تربية كريمة فاضلة وكانت شديدة المحرص على توجيههم السليم نحو الفضائل والأخلاق العالية ومواصلة الدراسة والعمل . وكانت تسهر معهم وتدرسهم الدروس حتى يصلوا إلى الجامعة وفي الجامعة تسألهم عن أعمالهم وامتحاناتهم ونتائجهم . ولم تكن مهتمة إلا بتدريس العربية والانكليزية لهم وهي تقوم بتدريسهم كل العلوم المتنوعة .

لولائي لم تند منهم كلمة أو يظهر منهم تصرف لا يرضيني . ومع أنهم بلغوا من العلم والشهادات أعلوها ووصلوا إلى مراكز يحلم بها أكثر الشباب لها تصرفوا إلا تصرفاً يزدان بالخلق الرزين والأدب العالي الجسم . . إن وصلهم إلى درجات عالية من العلم أعطاهم الفرصة لمعرفة المعاناة التي عانها أبوهم في تحصيل العلم . وعندما كبروا أصبحت أعمالهم معاملة الإخوة . وكانت لهم حرية كاملة في اختيار ما يريدون من العلم والاختصاص والدراسة ، وما تدخلت في طموحهم ورغباتهم العلمية .

حاولت أن أملا حياتهم بما حرمت منه في طفولتي وأسبغت عليهم جميع الألعاب المتنوعة التي يعبت بها الأطفال ، وبذلت طائفي بأعطاهم معي في

سفرات كثيرة بعيدة حتى (أدنبره) وإلى العراق والوطن العربي كانت سفراتنا كثيرة متنوعة .

علمتهم اللعب العقلية من الشطرنج وأنواعه ووضعت بين أيديهم أجمل الاسطوانات العربية والعالية وتركت لهم حرية التمتع بها وجلبت لهم كل المجلات والكتب التي تلائم عقولهم ، فكانوا يتمتعون بكتب الأطفال وينصرفون إلى القراءة كثيرا .

إنهم نعمة الله على ولا تعدلها نعمة .

ما تدخلت في حياتهم الخاصة بعد الزواج . وكان الأطفال يأخذون مكان الأبناء في الحب والرعاية . وكان أبائهم يرعونهم مثل رعايتي لهم ورعاية أمهم ويحذرون عليهم مثل حذري عندما كانوا صغارا .

ليس لي أي عمل سوى القراءة والكتابة وسماع الموسيقى والأغاني ومشاهدة الروايات المتنوعة . ولا يمر على يوم دون الاطلاع على الجديد فلقرا أعداداً من مختلف الجرائد بالوطن العربي والعراق وأتابع المجلات الأدبية الأجنبية والمعاصرة ..

ولا أكتفي بكتاب واحد فأنا لقرا عدة كتب في اليوم ، فأقرا في الفترات صباحا وأقرا في الأدب المعاصر ظهرا وأقرا في الفلسفة الجديدة في الليل لذلك تجدني مشغولا بكثير من كتاب حتى لأعمل القراءة .

كنت أرسم في أوقات حياتي أن أصنع لي النجيلة كالتخريم على الخشب وصناعة الأنوار الدقيقة القيدة من قنبل الهواية والتنوع .

دراسة النقد

لكن تقدمي في معارج العلم والتشغالي بأعمال علمية وفكرية استحوذوا على قلبي فتركت هذه الهوايات وما تزال هواية جمع الطوابع تستأثر بجزء صغير من

وقتي فالعلم والورق استحوذا على كل وقتي لاني لم أقتصر على علم واحد أو
 آلهة الفرع محدد . فقد درست الفلسفة وعلم الاجتماع ثم تحولت إلى قسم
 اللغة العربية والتاريخ واخترت النقد وكنت الوحيد في قسم النقد
 (الامتياز) يدرسني الأساتذة وحتى ، ثم درست علم النفس وبذلك فإن
 جندري متنوعة الثقافة وأحاول أن أكون مثل السلف الصالح موسوعيا فلا
 أختص بعلم واحد لأن الأذهب والنائد كثيرا كثرت مساحته الفكرية كلها كان
 قادراً على الفهم والاطلاع واستخراج النتائج وفهم جديدها ودوافعها
 النفسية .

على لثقف العربي المعاصر أن يقرأ تاريخ أمته وجغرافية بلدانها القديمة
 والحديثة ويحرف تاريخ الأمم الأخرى وجغرافية بلدانها ليكون قادراً على
 استخراج النتائج العلمية في إنتاجه ويستفيد من سعة المعلومات في كتاباته
 وتحليل الحوادث والمؤثرات .

مع الناس

لما أحب الناس وصلني بهم وطيفة . وبخس الذين أجالسهم أنني
 أعطيتهم من مشاعري صادقاً ومن حبي عميقاً . لا أحب إنشاء أحد وأصطحب
 من الذين أساءوا إلى لأن الحقد مرض فتاك يفتك بصاحبه قبل أن يفتك
 بالآخرين لذلك لم أجد أحداً على حال لو فضل . فقد أعطاني الله ما لم
 أكن أحظ به ووصلت إلى مراكز ما كنت أفكر فيها ومنحني حب الناس
 وهي منحة لا تقدر بثمن فتجد أصدقائي ومعانقي في جميع أنحاء العالم ومع
 اختلاف الأديان والطوائف والمذاهب لاني أنرك من حبي شدي يفيض معطراً
 المكان الذي تركته يذكر الأصدقاء بأيامي معهم . وما أخفل عن رد رسالة
 تصلني أو أخفل عن المناسبات العامة والسؤال عنهم .

كان مجلسي في البيت أو في المجمع أو مراكز الأديان التي كنت أشغلها ،

مجلس الأحياء وقد كان المصريون يسمونه (مصطفية العسلية) . من عادات
جمع شمل الإخوان بدعوات لي ولهم وهي وإن كانت محدودة فهي مؤثرة في
تعزيز الود والألفة والصداقة بين أولئك الأحياء القريبين على .

كان مجلسي في المجمع العلمي العراقي . ههنا ألتحق بعض الأعضاء
في المجمع القديم لكثرتهم ، وكانت تجري ملاحقة بيني وبين أحد
الأعضاء . . بسبب حبي للناس وكثرة اصطلاقي بعراقي من جميع الطبقات
الاجتماعية والمستويات الفكرية . وقد أشار الشيخ يونس السامرائي إلى
مجلسي في كتابه (مجلس بغداد) بصورة عامة . .

مواهب أخرى

موهبي الأول كانت الرسم والنحت والصناعة وبخاصة التخريم
والنجارة ، فقد سميت أغصني وقتي في الرسم والنحت حتى اكتشفت موهبة
الشعر في نفسي فطلبت حل كل المواهب الأخرى . وكنت أريد أن أكون
شاعراً مهتماً ، فسافرت لإكمال الدراسة فتفتحت موهبي في مصر ولكن
ذهلي إلى الغرب واندماجي بالبحث العلمي وبخاصة عمل في الجامعة
وللمجتمع حدا من موهبة الشعر فالتصرفت إلى البحث العلمي والدراسات
الجامعية وصرفت أكثر وقتي في سبيلها .

والشعر يحتاج إلى حرية تامة . ولري ألا يكون الشاعر مسؤولاً
مسؤولية اجتماعية أو سياسية أو فكرية حتى يكون الشاعر مبدعاً . تكن
إحساسي بأن أستلذ وأن عظم في مجامع عديدة يقول دون أن أقول كل
ما أريد . ثم الخوف من السلطة في عهدوها المختلفة حال دون أن أشرح
رأبي شعراً . وإن كنت لم أقصر في الرأي في كتبي في تاريخ الأدب والنقد
والاجتماع . فقد كنت اتخذ الفترة التي أكتب عنها وعاء أعكس فيه الحياة

العمامة عن الفترة التي كنت أعيش فيها . لذلك يمكن للباحث الجاد والدارس العميق النظرة أن يدرس كتي وتاريخها وسيجد أنني صورت فيها الحياة التي كتبت فيها تلك الكتب مع الاحتفاظ بالفكرة العامة التي كتبت فيها الكتاب . والغريب أنني كنت أجد الفترات التي أدرسها صدى للزمن الذي أروعت فيه تلك الفترة بحيث أبرز مشكلات الفترة التي أدرسها والتي تحاكي الظروف التي كتبت فيها الدراسة .

ليست لي موهبة خاصة لتخطف عن أبناء الجيل الذي عشت غير ما ذكرت لأن الواهب هبة من الله كالشعر والرسم والموسيقى والفنون الجميلة بصورة عامة كلها مواهب مفيدة للبشرية . فإن كان لي فيها شيء فقد وضع في حياتي .

للأسف هناك من البشر من لهم موهبة الجدل والجدال والجدال والجدال إلى ما يريدون ولهم ألف وجه وألف فكر لتدوير أمور الحياة وهذه هي المداينة للفقرة والندم الرخيص والاختلاق المهين ضد كل من هم أعلى منهم فكرياً ومزلة ومكانة وليست هذه موهبة الشرفاء . . ونحن في هذا العصر نرى مثل هذه العادة لت وترعرعت بصورة ظاهرة من جراء اختلاف السلطة وتغير رجال الحكم في البلاد العربية فيضطر الواحد إلى أن يتمسك حتى يتمكن . إنها موهبة للأسف الشديد لا أحسبها أنا . فإن لم أكن صريحاً وواضحاً أسكت ففي السكوت أمان للحياة والرزق ومن يلوذ ب . .

قد يكون هؤلاء العذر بعد أن أوغلت السلطات في الوطن العربي في هاربة كل رأي يعارضها وكل مفكر لا يسير أسلوياً بل إن بعض هذه السلطات يرى أهل الحياة معارضين لأنها لا تريد منهم إلا السير في صفوفها والجناف لأعمالها والتصفيق لها . وأصحاب السلطة يغيرون آراءهم وأقوالهم دائماً وعمل الشعب أن يفتلق لهم العلو في هذا الاختلاف والتباين وأن يصفق لهذا التبدل في الاتجاه . . في حياة العرب كلهم .

وكم من صاحب رأي حر عده في رزقه وحيله لأنه أصبح محبداً وكم من صاحب فكر سليم عانى ما عاناه من الملاحظات القليلة والإرهاب النفسي وحاش في جرع وفاقه ومسغبة لأنه لم يسلم السلطة في الوطن العربي أو حاش في فكره المحبذ السالم .

المشاريع الإبداعية

الإبداع كلمة دليقة المعنى تعيد خلق شيء مبتكر جديد مفيد بغير أمراً نتيماً أو فكراً علمياً أو رأياً اجتماعياً وينقل الفكر والفن والعلم من مرحلة إلى مرحلة أخرى ويخلق علماً جديداً أو نظرية حديثة أو أسلوباً في البحث والتجربة والحوار العلمي والتطور التقني أو الاجتماعي بل التاريخي . . . إنه يجهد في الحضارة وتغيير في المثل نحو الأحسن وتبديل في التقاليد إلى الأجل والأكثر فائدة .

كنت أظن أن يكون الحديث عن المشاريع العلمية أو مشاريع الإنتاج العلمي أو البحوث الجامعية لأن الإبداع فيها صعب ، بأن يعد استقراتها والتوصل منها إلى نتائج تسير نحو التطور والتجديد . وليس كل عمل رائع إبداعاً .

ولرى أن الإبداع هو العمل الناجح والمثمرة المتميزة والبحث الجهد والإضافة الملهمة إلى حياة المجتمع والحضارة المعاصرة . ومن هنا المطلق لعندي مشاريع جديدة أرجو أن يجد الله في عمري لإكمالها وهي :

أولاً : إكمال ديوان فهدى المدرس بعد أن حلفت وأكملت دراسته لأنه عمل جديد وإضافة غير متوقعة في ساحة الأدب والشعر القومي العربي بصورة خاصة .

ثانياً : إكمال الجزء من الثاني والثالث من شعراء العراق في القرن العشرين ، لأن مادتهما جامدة وبحاجة إلى تسليق وترتيب وإعداد للطبع . وقد

مضى على الجزء الأول وقت طويل .

ثالثا : إكمال مذكرات معروف الرصافي التي (تحدث) بها في مجاله الخاصة فقد نظمت منها أجزاء ولم يتم الكتاب .

رابعا : كتابة كتاب عن أثر الحضارة العربية والإسلامية في الفكر الحديث ولا سيما في حياة أوروبا بعد أن كتبت عدة مقالات وحاضرت عن أثر الأدب العربي في تطور الأدب الغربي . وصدر لي (أثر الأدب العربي في عصر الأدب الغربي) .

خامسا : إكمال كتاب عن الفلق في الشعر الحديث قطعت فيه شوطا بدراسة شعراء الجزيرة العربية ولا سيما شعراء المملكة العربية السعودية .

الجيل الذي عاصرني

إن الجيل الذي عشت فيه هو جيل الانتقال من الحضارة القديمة إلى الحضارة الجديدة أو على الأصح جيل استفاد من الأصالة والتراث كما استفاد من الجديد في الحضارة الغربية واحتواه دون أن يضيع شخصيته وتراثه الحضاري .

لقد عاشنا حضارتنا القديمة بما فيها من بقايا حضارة الإسلام والعرب وهي مشوبة بكل أنواع التخلف والانحطاط الفكري والاقتصادي والأدبي في عصر النهضة الفكرية التي قام بها الرواد والذين كنا نراهم وتعايشهم برغم الاختلاف الكبير بين أفكارهم وتصورهم الحضاري وتصورنا الجديد . فقد كنا نخرج على المؤلف الذي سار فيه الجيل السابق في حياته الفكرية والاجتماعية .

لقد وجدنا النساء يرتدين الحجاب الأسود السائر لكل الجسم ،

وكانت المرأة قد لقها السواد بالعبادين وبالبرقع أو البرقعون . ورأينا سفور المرأة وخروجها على العرف والتقاليد وانطلاقها غير المحدود في الحرية والسفه . لأنها كانت أنثى بالأسير الذي انطلق من إساره حتى جاء جيل جديد ألف الحياة والحرس بما فيها من اختلاط . فلم تعد تنهره الحرية والتزم بالخلق والفضائل والعادات الكريمة .

وجاء بعدنا بعد الحرب العظمى الثانية جيل سيطرت عليه مثل الغرب ، وضاع في تيار الحياة ومخترعات العصر الحديث ومفاسد المدينة ومهازل حضارة الغرب فالتجرف دون وعي ، وترعى أكثره دون إحساس بما وصل إليه من انحلال .

ولا يمكن أن نحصر العصر كله بخمسة أنشطة ولا بعشرين لأن الجيل لا يتغير بأعداد محدودة إنما لا بد أن يكون العدد كبيراً . ففي مختلف أنحاء الحياة الاجتماعية لا بد أن يكون هناك مبدعون وقادة ورواد يؤثرون في الحياة .

وقد كان العراق مركزاً لكل التيارات العربية والغربية بما وصله من مفكرين وأسئلة قلدوا حركة التغيير والتبديل إضافة إلى أثر الاستعمار البريطاني الواضح في تغيير حياة المجتمع في العراق . وكان للاستعمار البريطاني أثر عميق الفعل في حياتنا ، فقد بدل لكل الكبيرة وغير التقاليد المتنوعة في الطعام والشراب واللباس وطريقة الجلوس والنوم والتفكير والمتعة المتنوعة وذلك عندما قلد العراق للمستعمر واستفاد من المخترعات التي جلبها معه إلى العراق .

لا شك في أن الاستعمار البريطاني لم يدخل هذا التغيير في حياتنا بالقوة لأن من طبعه ترك الشعوب على عاداتها وتقاليدها وضمان مصالحه الاقتصادية والسياسية يعكس الاستعمار الفرنسي الذي أدخل في حياة الشعوب وبغيرها وبثقلها بالقوة إلى حياتهم وتقاليدهم وتظهر آثاره في سورية

ولبنان مقارنة بالعراق . فقد أدخل الاستعمار الفرنسي حياته في تطوير حياة الوطن العربي الذي استعمره وترك الاستعمار البريطاني العراق يسير حسب رغبة أهله وشعبه .

والغريب أن الاستعمار البريطاني أعطى للمفكرين حرية كبيرة قطعت أيام الحكيم الذي سيطر فيه أبناء الشعوب العربية على شعوبهم وكان المنتظر عكس ذلك .

إن أعلام الجيل الماضي الذين أروا في حياتنا أكثر من أن أحصى عندهم ويظهر أثر ذلك في تغير ملابسهم من الجبة والعمامة إلى الملابس الغربية والأكل من على الأرض إلى الأكل على الكراسي وتناول الطعام باليد إلى تناوله بالمعلقة والشوكة إضافة إلى محاولة تقليد مفكرى الغرب وشعراته وتبنى النظريات الجديدة التي وردت في المقتطف والمقطم والحلال مثل نظريات هيكلز في الشك . ونظرية أينشتاين في النسبية ونظرية جيمس جينز في الكون وآراء ماركس وإنكلز وغيرها من النظريات الاقتصادية التي كثرت في الفكر وقد ذكرت أكثرها في كتابي (قضايا من الفكر العربي) ولا في الأدب العربي الحديث) بشيء من التفصيل .

العمل المباشر

حياة مكتبتى

الفصل العاشر

حياة مكتبتى

مكتبتها الأولى

لعل أول كتب جمعتها كانت بداية متواضعة تناسب تلك السن . لقد كنت فى بقوة ولم تكن تعرف الكتب ولا بيع الكتب وإنما فيها مكتبة لبيع القرطاسية والكتب المدرسية . وكان صاحبها صافى محمد أو محمد صافى من الكاظمية ، وأصبح بعد ذلك كاتباً فى الثانوية المركزية فى بغداد .

كان صافى يأتى بالكتب المتداولة مثل غزوات الإمام على والقضاء والمهاجرة وسيرة الزبير سالم وعنترة بن شداد وكتب دينية أخرى يؤجرها لنا بأجور زهيدة أسبوعياً وكنا نقرأها ونعيد لها . . . ولا أخرى إن كانت هناك كتب أخرى عنه يراها فوق مستوانا الفكرى ولا يقدمها لنا ونخاف عليها من عبثنا فيها ولكن الثقة التى أولانا لها كانت لعمري دون هذا الفكر . . . لأن بقوة لم تكن مجتمعا علميا متقدما وعند المعلمين والموظفين كان محسراً جداً . فهم يجتمع زراعى وحرفى . بينهم الفلاح والحائك والنصاب والبقال والإسكافي والحديد والمطر وكأولاً يجتمعون مساءً فى المقاهى يسهرون ويسمرون إلى وقت محدد ويذهب كل إنسان إلى دأره بعد صلاة العشاء بقليل .

ولم يكن فيهم من عرف الدراسة العالية بله الدراسة الثانوية . ولعل

جيل هو أول جيل عرف الكليات . فقد كنا عدداً محدوداً عرس في الكليات وكانت دار المعلمين العالية هي هدف أي متعلم والمدرسة الحرة أمنية أصحاب الطموح العسكري . ولعل أول من حصل على الدكتوراة في الأدب فقد حصل جماعة منهم على الدكتوراة في العلوم المختلفة منهم الدكتور أحمد نجم الدين في الجغرافية ومحمد علي اليهام في الرياضيات .

ومن (شفته) وهي قرية من بعقوبة كان أسبقنا الدكتور فاضل حسين . أما من لواء ديالى فلعل المرحوم الدكتور عبد الحميد كاظم كان السبق في الحصول على الدكتوراة في التربية ، وهو من الموصل .

كانت بعقوبة متأخرة عن الركب لأن أكثر المالكين لبيتائها كانوا من سكان بغداد منذ العهد العباسي بأن مالكي أراضيها الزراعية كانوا يعيشون في ظل الخلافة .. وعاشروا في ظل الإقطاع المملوكي بعد ذلك .

لهذا لم تكن في بعقوبة مكتبة عامة أو خاصة لو مكان لبيع الكتب وأنا الذي أسست مكتبة بعقوبة العامة . ولم تكن فيها غير مدرسة ابتدائية واحدة يأتها الطلاب من القرى والريف . وكان أكثر عدد وصل إليها من الطلاب (٣٦٠) طالباً . وكانت فيها مدرسة للبنات .

لذلك كان من أوائل الكتب التي احتفظت بها خزانة اليمن والمقداد والياسة وما شاكلها من هذه الكتب .. واحتفظ بجزء عم الذي كنت أقرأ فيه في الصف الثالث والرابع .. وكان في السوق ديوان مجنون ليل لا يعرف من أين جمع هذا الديوان ، وعندى كتاب في الفقه الإسلامي .

ولما تقدمت في السن بدأت المكتبة بروايات (أرسين لويون) وبعض القصص الغرامية . وأول ديوان جاد داخل مكتبي وأنا في الصف الخامس أو السادس هو ديوان (الأمواج) للمصطفى النجفي . أهداني والذي (ر) . وفي الدراسة المتوسطة بدأت الكتب ثلث والمجلات ترد إلى لواء ديالى .

وكانت الجرائد ولا سيما الجرائد الحزبية موكات تلى بعد الظهر بالرغم من أن المسافة بين بغداد وبعقوبة لا تتجاوز (١٥) كم لأن المواصلات كانت صعبة إذ لم يكن الطريق مبلطاً بين بغداد وبعقوبة وكان القطار هو الوسيلة السهلة المضمونة إذ كانت تلى ظهراً قاطرة واحدة تسحب معها حافلتين وتسمى (الطرزيّة) ولعلها كانت لتجلب معها الجرائد .

بدأت أجمع الكتب في المدرسة المتوسطة ودار المعلمين الابتدائية ، إذ أنني كنت أحفظ بالكتاب الذي كانت الوزارة تقدمه لنا مجاناً وكان أكثر الطلاب يبيعونه .

وقد كان لدار المعلمين الابتدائية أثر كبير في باتي أنبيا وفكريا ، ففيها كانت أهميات الكتب وغير المصادر وكانت من أحسن المكتبات التي لا يضاهيها غير المكتبة العامة بالقرية الأدبية ، وفيها مطبوعات أوروبا التي لا أدرى ماذا حل بها فضاقت كما ضاقت أمثال هذه الكتب من المكتبة العامة .

ولما دخلت كلية الآداب تبلورت عندي بداية مكتبة واضحة المعالم . فقد كنت أشتري أهميات الكتب وجميع مصادر البحث التي يطلبها أساتذة المادة التي أندرسها . ولما عدت إلى العراق كانت معي مكتبة جيدة فيها ألوان مختلفة من الكتب القديمة والحديثة وأصبحت مكتبة كبيرة بالنسبة لشخص من مدرسي اللغة العربية في الثانوية .

ولما استجبت يوماً إلى مال كانت الضحية المكتبة العزيزة فبعت منها الكتب ذات الثمن الغالي . وازداد عد الكتب عندي عندما رجعت من لندن ، فقد كنت جلبت كثيراً من الكتب الانكليزية في الأدب الانكليزي ومصادر البحث النادرة التي تحصل بتاريخ العراق . ولما بدأت أنشر كتبي زادت زيادة ملحوظة بالتبادل ولادحت عندما دخلت عضواً في الجمعية العلمية وأميناً له . . فقد كثرت صلاتي الخارجية بالبلدعين .

ولما عدت من لندن أهديت جميع كتبي ومصاحري البحث التي استقلت منها في المكتبة إلى مكتبة الصحف البريطانية. وكان لنا زميل انكليزي هو المشرف على القسم العربي تلقاها بالشكر والتقدير وقدم لي رسالة شكر على هذه الهدية . وبعد ما أرسل لي مبلغا من المال ثمنا لها .

قلت له : أنا أهديتكم الكتب فلماذا أرسلتم لي الدراهم

قال : نحن نشكركم على الهدية برسالة أرسلناها لك . وقدعنا لك هدية مالية لأنك طالب وبحاجة إلى المال . ولو كنا نستطيع أن نرسل لك أكثر ما نفضلنا .

والغريب أنني لم أستطع تعرض الكتب التي أهديتها إلى الصحف البريطانية فقد أهديت (للمعلوم والمجهول) (لولى الذين يكنى ولا المسامير) لعبد الله النديم ومحاضر (المجلس الفلسفي العراقي) وهي كتب لم أرها في السوق أبداً برغم تبقيها في القاهرة وبغداد .

يمكن أن أقول إن في مكتبي ما أريد أن أبحث فيه من الكتب والمراجع التي هم دراستها ، وفيها مخطوطات حديثة . فقد طلبت نسخ المخطوطات التي احتجت إليها في القرن التاسع عشر أو صورت جانباً منها لكيلا أحتاج إلى استعمالها أو الذهاب إلى المكتبة لدراستها .

فقد عانيت أثناء اللجوء من بعض أصحاب الكتب التي لم تبق في مكتبهم وقد بيعت إلى مكتبات السعودية وخاصة جامعة الملك سعود بمبالغ كبيرة مع أنها مخطوطات مهم الباحث الذي يبحث عن العراق ، وهي تراث مهم أهل العراق والتاريخ . يندعوا أحد المعلمين حياً في المال ورغبة في الإثراء وطبعاً في التملك . رحمه الله .

مكتابها في الدار

المكتبة حجرة من حجرات البيت الكبيرة كلها نظمتها عادت إلى

تراكمها مرة أخرى . ولكثرة كتبها ضاع النظام الذي وضعت لها . والكتب التي احتاجها دائماً يمكن أن أعرف مكانها وألوان ظهرها وسجلها .

إن أعمال الكثير في مختلف الجهات حالت دون أن أصف الكتب كما يصنفها الكثير من المؤلفين والكتاب ، وشراء الكتب أعون على وأسهل من البحث . غالباً - عنه بين الكتب الكثيرة . فقد خرجت المكتبة من الحجرة إلى الباب ثم إلى الدار لأن الأسرة كلها تعرف معنى الورقة فقد عودت زوجتي وأولادى على احترام كل ورقة فلا تمزق أو ترمى فنشأ أولادى وحب الكتب واحترامها نصب أعينهم حتى كبروا .

ولما أودعت بيت الدار التي أسكنها اضطررت إلى بيع جملة كبيرة من هذه الكتب إلى الجامعة المستنصرية ولكثرتها ظنت أنها مكتبتى مع أنها جزء منها لأن ألفت كل كتاب يعنى في القرن التاسع عشر والقرن العشرين وتاريخ الأدب العربى المعاصر والحديث سواء كانت في التاريخ أو الأدب . ومع ذلك كنت أحس بالغيطة عندما يرفض المسئول شراء الكتاب وأحس بالرضا عندما أعيدت بعض الكتب لأن أحس بأن أحداً أو صديقاً عزيزاً أحبه رجع لي .

لما مكان الكتابة فليس لي مكان أكتب فيه . فقد أكتب في كل مكان هادئ بعيداً عن الضوضاء ومنى احتجت إلى الكتابة فقد أكتب في المحلات العامة دون أن أكثر بما يحوطني لأننى أنصرف بكل نفسى إلى الكتابة . ولعل أكثر الكتب قد كتبها خارج العراق في العطلات التي أخصها لخارج العراق . وفي الدار أهدمت لي متفردة طويلة ليست بالرفيعة وأهدمت لي سريراً من الخشب على الأسلوب القديم وله رأسان على أسلوب الصناعات القديمة وعليه فرائش كالملا . فلماذا أحسست بالإرهاق تمت لي فرائش فهو كرمى وقراش في وقت واحد لأن لا أريد إزعاج أسرى إذا ما عدت متأخراً إلى سريري .

وقد ألقت الأسرة هذه الوحدة في المكتبة واحترمت وحفظت العلمية والحجيرة لا تصلها الضوضاء حتى وإن قام بها ألباني ، لأنها في زاوية من زوايا الدار .

إن غير ساعات أكتب فيها هي بعد الساعة الثامنة مساءً صيفاً وشتاءً وقد تمتد إلى ساعات طويلة بعد منتصف الليل ولكن القاعدة العامة أنني أنام في منتصف الليل وأوقف العمل عندما يهين وتلي . ولا أكتب إذا أحسست بعدم الرغبة في الكتابة وقد أوالى العمل عدة ليالٍ وقد أوقف العمل دون قيد . إن شعوري بالكتابة ورغبتني في الاستمرار نواقع تفرغها على حيل وإحساسي ومشاعري .

تطورها

فيها أكثر المراجع التي أحتاج إليها في الأدب الحديث وتاريخ الأدب في العراق وتاريخ العراق في مختلف العصور ولا سيما القرون الثامن عشر والتاسع عشر والعشرون . ومن كتب اللغة العربية والانكليزية وقوانين شعراء الجليل لكافي كالرصافي والزهاوي والشبيبي واليعقوبي والأخوس والعمرى والفيلين والتنجيني وأهل أمطك عدداً كبيراً من قوائم الشعر والأدب التي نشرت وبعض المخطوطات الثمينة للكتوبة في هذا القرن .

وعندي مجموعة جيدة مما كتب عن الفكر القديم والشيوعي وبعض مصادر الفكر البعثي التي كانت متنوعة من التداول وقد استغذت منها عندما كتبت (الاشتراكية والقومية وأثرهما في الأدب الحديث) . لقد خاف أحد الكتاب من وجودها في داره فاشتريتها منه وهي ثروة لا أقدر بشئ لا سيما تلك التي طبعت في أوقات سمح بطبعها وجهات حكومات منعها .

وعندي مجموعة من المجلات المخطوطة العبد وبعض الجرائد النادرة . وفي المكتبة عزلة خاصة بالمصادر الأجنبية من انكليزية وتركية وبعض

اللغات الأخرى ، وفيها تاريخ العراق والأدب الإنكليزي وبعض كتب عن النقد الإنكليزي ومجموعات لشعراء إنكليز وتخصص من الأدب الإنكليزي ..

وبعد أن تقدمت بي الأيام عادت المكتبة إلى المكتسب بما كان يرسل لي من أنحاء العالم وأعضاء المجامع والؤسسات الأجنبية المتنوعة . ومع أنني أهديت مجموعات كبيرة للمكتبات العامة والملاء من الكتب التي لا أستفيد منها فما تزال المكتبة متشعبة بعدد لا يمكن من إحصائه الآن . فالمكتبة تحتوي على مختلف العلوم الإنسانية كالفلسفة والاجتماع والتاريخ والجغرافية والفنون .

ولكن اهتمامي بالعصر الحديث بثرة وتلقه وشعري وتاريخه في الوطن العربي بعامة والعراق بصورة خاصة دعاني إلى اقتنائه أكثر المصادر . . . وكنت أعتمد اعتماداً كلياً على مكتبي الخاصة ومن ثم رحيت مكتبة المجمع وزدتها لاستفيد منها فأضفت إليها بعض المجلات والجرائد والخطوطات واشترت لها بعض مكتبات أعلام العراق فوزعت اعتديلي بين مكتبي ومكتبة المجمع .

عدد الكتب التي ألفتها

كُتبت عدداً كبيراً من البحوث والدراسات منشورة في كثير من المجلات العلمية في أنحاء العالم العربي وبخاصة مجلة المجمع ومجلة كلية الآداب والأستاذ ، أما كتبى فقد جاوزت الخمسة والثلاثين كتاباً من بحوث أدبية وفكرية وتراجم أعلام ضمن قائمة كتبى إذ أنني لا أرجع إلى بحث كتبه ودرسته لأن أهلك جهدي في استكمال البحث العلمي وأحاول أن أغطي مساحة هذا البحث بكل ما تحتاجه من مصادر وآراء وأستضيئ كل الاستقصاء ولا أترك ثغرة إلا أسدعها ويحطاً إلا أقره . . . حتى أشبع الدراسة

أو البحث تحبباً ومطابقة وأسر غوره حتى أصل إلى ما وراء جوهر البحث وقاعدته وأسلوبه ونتائجه المختلفة .

المخطوطات والهدايا

لا أحفظ يتحف ولا مخطوطات في مكتبي إلا بعض الهدايا التذكارية التي كنت أجلبها من العالم ومخطوطات حديثة وصور مخطوطات أصلية أحتاج إليها لأن قانون الآثار وما يشعه من إرهاب لأصحاب المخطوطات حال دون أن أشتري المخطوطات الكثيرة لأن أريد أن أهد عن نفسي العذاب والألم الذي يسلمه على قانون الآثار الذي أساء بعض المسؤولين تطبيقه في يوم من الأيام وذهبوا إلى أحد الباحثين في حملة تفتيش جرت على الباحث الصلحة النفسية والجسمية والمرض الذي أصاب قلبه .

إن قانون الآثار الذي تفرض للملكية الشخصية للمخطوطات هرب عشرات الألوف من المخطوطات من العراق . وقد حدثت كثيراً في هذا الشأن ولفت نظره ولا أظنه أكثر مما قلت له إذا لم أجد أثراً لكلامي . وقد رجوته تغيير هذا القانون إلى قانون يبقى للمخطوطات عند أهلها ولا يتدخل في الملكية الفردية مثل الأمم الأخرى وللأسف بقي القانون دون تغيير واستمر تهريب المخطوطات خارج العراق .

الملفات والوثائق

ليس في مكتبي (ملفات) لتنظيم الكتب إنما أضع الكتب حسب المواضيع العامة كما أني لا أحفظ ملفات لبحوثي وعلى الأكثر أخلص من الجزئات التي أخذها من بحث في موضوع أو كتاب . وقد اعتدت أن أبدأ من جديد في كل بحث أكتبه أو كتاب أهده لذلك كانت كتبي وبحثي مختلفة الشائع والأساليب الجزئية وإن كانت تفتق مع السيرة العلمية

العامة . . فكل كتاب يختلف نهجه عن آخره . وكل إنتاج بين كتبي يختلف عن كل كتبي الكثيرة نهجاً وأسلوباً وطريقاً للبحث .

هدايا المبدعين

الهدايا كثيرة لا يمكن أن أحصيتها فكل مؤلف أعرفه يهديني بعض كتبه وأرسل له بعضاً من كتبي في الشرق والغرب وتصلني بلغات متعددة وخطوط لا أنهما . لأن أهدى كتبي إلى الباحثين والمفكرين والأدباء منهم :

أولاً : بعض طلابي المحتاجين إليها وبعض التايين تقديراً وتشجيعاً .

ثانياً : كل مؤلف يهديني كتبه لابد أن أرد الهدية بمثلاً وبأكثر .

ثالثاً : الجهات العلمية كالجوامع والجامعات وبعض الجمعيات العلمية وبخاصة تلك التي لي بها صلة أو أتي عضو فيها .

رابعاً : وقد أهدى بعض الكتب للجراند والمجلات التي تعنى بالكتب رغبة في التنويه بها أو ذكرها بين المطبوعات الجديدة .

خامساً : وأهدى كتبي للزملاء أصحاب الاختصاص الذين أنوسم فيهم قراءة الكتاب ومبادلة المعلومات معهم .

سادساً : أهدى بعض كتبي لبعض المسؤولين الذين لهم صلة بالفكر والأدب وقلها أهداها لمن لا يقرأها أو تقرئاً له .

نماذج من عبارات الإهداء

إن عبارات الإهداء كثيرة من عند من المؤلفين والكتاب في جميع أنحاء العالم وأكثر هذه العبارات مدونة على الكتب المحفوظة في المكتبة بيطداد ومن آخر ماوصلني من الكتب يحمل العبارات التالية :

- ١٠ - قلوب يثا
رجلة سليم ط
الشاعر
١١ - حكايات واقص
عبد الله راجي
شعيرة
١٢ - مبحث في الفقه
أ. د. القبروني زهران
الرمزية القصصية
١٣ - شعر
أحمد زين الشاف
١٤ - نغمات شاعرة
جملة السلاط
١٥ - المصنوعات الشعرية والخيال
عبد جلال كشك
العلمي
١٦ - من كشكشة التواضع
مهد السلام عازقة
١٧ - كشكشة عذالة
محمد سعيد
١٨ - حنين الأم
الشاعر القروي
١٩ - المصنوعة الشعرية
أ. د. عبدالكريم راجي
المؤرخ
٢٠ - منظومات في السحرية
أ. د. يوسف لوف
٢١ - أبي نبي
د. عبد العزيز الطويطر
٢٢ - شاعرية شاعر :
د. عبد الله الميمني
زهير بن أبي سلمى
أنتهى الجليل سبعة الأسطر الشعرية
يوسف من الدين . قالت أسطر تعلم
ملك الكثر . أنتهى إليك هذه القصيدة
وأعجبت منها إسماعيل وأمرأته . أنت
رجل دينة أقيلاً وصنعت رجلاً ولك

والقانون . مع ذلك صاغ الحب والوفاء ،
التيك .

٢٣ - الحب في جدار الصنك . د. محمود سفر . الأستاذ الكبير يوسف عز الدين مع
الإعزاز والقدرة .

٢٤ - القرب في مواجهة . مازن مطبق . إبداعي بكم فاسحت والرائد ملحق إلى
قديم هذه الدنيا القويمة ، أريج
فيها .

٢٥ - عطية القربى الأولى . وكنس بن رعد . إلى ساحة الأستاذ الكبير يوسف عز
الدين على الصعود وشاعر القليلة المثل
حرمه الله .

٢٦ - مسرح شاعر صبيك . د. شاعر صبيك . الأخ الشاعر المرحوم الأستاذ يوسف عز الدين
مع .

٢٧ - القويمة الأولى . ترجمة عبد الحميد الكبيسي . مثل فلان عدداً أجزائي على ترجمة هذه
المسرحية ، ثم توليت أمور طبعها
ونشرها فخرجت كتاباً ما كان ليخرج
أولاً معكم عزك . أريجوان قليل هذه
الطبعة الثانية إلهة الذكري أهم مرة
ما كانت لتصل أولاً حلاوتك .

٢٨ - الله والحدائق . د. عبد السلام السدي . هذه المؤلفات لطيفة العالم الكبير الدكتور
يوسف عز الدين مع صاغ الإكرام .

٢٩ - في كان قوماً . يوسف جوير . الأستاذ الدكتور يوسف عز الدين مطبوع
الأمم العربي مع إبداعي وأستاذ
التيك .

إهداء الكتب

كنت أحفظ بعض القوائم عندما كان عند المعارف والأصدقاء مهلوا
ولما كثرت دائرة المعارف والأصدقاء والمؤلفين تركت هذه العادة لسيين :
الأول : أنني أنتقل من مكان إلى مكان في العمل والتدريس .
الثاني : صعوبة الاحتفاظ بالقوائم لأنها كثيرة وطويلة .

وتكون الهدايا لعند كبير من الأصدقاء والمعارف والمجلات العلمية
والفكرية والأدبية وبعض أعضاء الجمع وعند من المستشرقين في بقاع
العالم العريضة .

إن صلال الواسعة بالجمع والكتاب والمؤلفين من الصين إلى روسيا
والتكثرا وأكثر أقطار العالم العربي يحول الآن دون أن أسجل أسماءهم وأحد
الله على كثرة هؤلاء المؤلفين الذين أعزّ بهدايتهم وكثرة عدهم وهم
يتجاوزون العشرات بل المئات . فقد بدأت في يوم من الأيام أسجل أسماء
الذين أعدهم أحد كتبي وأعددت دفترًا للأسماء فوصل العدد إلى (٧٢١)
وجاوز هذا العدد فلولفت كتابة الأسماء بعد ذلك إلا لضرورة واحدة هي ألا
أعيد إرسال كتاب في البريد مرتين .

شراء الكتب

ليس لي منهج في شراء الكتب فانا اشترى كل كتاب أحس بأن استفيد
منه أو سوف استفيد منه في المستقبل . . . وعندي عادة أحافظ عليها أن
أكرس وقتاً من كل أسبوع لأذهب فيه إلى المكتبات في سوق السراي وأنصفح
الكتب التي وصلت حديثاً وأقرأ قوائم الكتب التي تصل إلى هذه المكتبات
ومنى وجدت فائدة من شراء هذا الكتاب حاضراً أو مستقبلاً اشترته .

ولما كثرت مؤلفاتي واتسعت مساحة المعارف والأصدقاء بدأت تصلي

الكتب من كل أنحاء العالم عندما تمحدد اختصاصي وعرف الزملاء اجوانب العلمية التي اعتم بها .

وعندما امر بأية مكتبة من المكتبات سواء كنت مسافراً إلى أوروبا أو البلاد العربية أخرج عليها كما كنت أمر على سور الأزيكية دائما وأجد فيه نواتر الكتب التي لا أجدھا في بغداد . ولا أمر ببيع كتب على الرصيف إلا ولحقت ونظرت إلى ما يبيع ولقد وجدت مرة عند بائع رصيف كتابا لغزرا وكان ممنوحاً في العراق وما سمح ببيعه قطعت أوراق فيه فوجدت الكتاب كاملاً .

وقد احتجت مرة كتاباً بالانكليزية وجدت في جميع أنحاء لندن وسألت عنه في كل المكتبات وكتبت الجامعة تسأل عنه ولم نجد إلا نسخ المكتبة . وبينما كنت أعود على سور نهر السين في باريس وجدت الكتاب واشترته بأبخس الأثمان .

ومن الطريف أنني كنت أزور قرية انكليزية فوجدت كتابا بالانكليزية عن السودان طبع في القرن التاسع عشر فأخبرته لأن فيه بعض الصور الغريبة وكنت أجلس في حجرة الطلاب فسمعت زميلاً سودانياً يتكلم لأنه لم يجد هذا الكتاب مع أنه بذل مبلغاً من المال فيه .

قلت :أنا عندي وأبيعه لك بأقل من الباون . فتعجب وأخبرته بقصته وكاد يظفر فرحاً .

إن صلال بالكتب والمكتبات لم تنقطع بداية من معارض الكتب الكبيرة وانتهاء بالرصيف وهي التي زودتني كتاباً نفرة وحصلت بذلك على نفس للطبوعات وأندرها من الرصيف وباعة الكتب القديمة .

بعض ذكرياتي مع الدكتور يوسف عز الدين (أيام الطفولة والشباب)

١ - كنت صلي بالدكتور يوسف عز الدين إلى أمد بعيد جدا منذ كنا
طفلين لا تتجاوز العاشرة أو الحادية عشرة سنة من العمر ، حيث كنا أبناء
محلة أو حارة واحدة في مدينة المقدادية (شهرباك) ولي الصف الخامس
الابتدائي حيث كانت المقدادية حينذاك مدرسة ابتدائية واحدة . . وكنا
نمنع الاثنين نذهب إلى المدرسة معا ونعود معا . . وكنا من التلاميذ النابيين
مدرستنا الامتحانية الفصلية والنهاية بين نتارة وجيد جدا .

٢ - كنت والدكتور يوسف تتلوه صباح كل يوم خمس في نحة العلم
في ساحة المدرسة الكبيرة الواسعة مرة بالخطاب الكتب وأخرى بالانجيل
المحبوب . وكنا نال رغبنا التلاميذ والمعلمين حيث تضيح الساحة بالتصفيق
وعبارات الاستحسان .

٣ - كنا نشترك في السفرات الرسمية إلى نهر الصدور حيث يبعد عن
شهرباك حوالي عشرة كيلومترات ، وكنا نذهب منها على الأقدام وعلى أنغام
الموسيقى حاملين الماء والطعام معا ، ولانعود إلا عصرا بعد أن يأخذ السب
والإرهاق منا كل ماخذ .

ونوع آخر من السفرات : نذهب إلى قضاء خاتقين لمشاهدة نهر التوند
ومصافي النفط ، وكنا نذهب إلى خاتقين بواسطة القطار ولانعود إلا مساء

بعد أن استمتعتا بمقتن الطليعة وجمال الحياة الدافئة المثوبة نحو الرقى والتقدم بما كنا نشاهده في مصالي النقط من حركة دالية ومعامل ومكائن كبيرة متنوعة . . إلخ .

٤ - تذكر فيها تذكر أن أحد المعلمين ولا أتذكر اسمه أراد في أحد الأيام أن يشجع تلميذان - وكنا في الصف السادس الابتدائي - للقيام بمهمة البائع في حائوت المدرسة . . فرجع الطلاب جميعهم أصابعهم إلا أنا والدكتور بقينا صامتين ساكتين لأنيس بيث شفه . وقد لاحظ المعلم ذلك فقال لنا : ما لكم لا ترفعان أيديكما علامة الرضا ؟ فقلنا بما : لم نأخذ أو نحصل حل موافقة الوالد أولاً ونخشى ثانياً أن يلهينا ذلك عن المطالعة وسفط الدروس . . فأكبر فينا هذه الروح المثالية في طاعة الوالدين والحرص على العلم .

٥ - كنا نلعب في المحلة حصراً مع أقراننا من الأولاد . وهنا لا أبوح سرا إذا قلت إن يوسف كان يتسحب من اللعب ربع ساعة أو نصف ساعة على أكثر تقدير بحجة أنه تعباً ويريد أن يستريح ليواصل القراءة . . ولما أعود من اللعب وأسأله عما قرأ يجيبني أنه قرأ أولاً الدروس المدرسية ثم بعض القصص والروايات مثل : المهاسة والمقداد ، عترة بن شداد ، أبو زيد الحلالي . . إلخ .

٦ - في أحد الأيام زار فائقم القضاء ، وأتذكر أنه كان الأمير الكبير المرحوم إبراهيم صالح شكر فاعتازني مرشد الصف إلى تحته والترحيب به بواسطة الخطاب المكتوب ، ففعلت ذلك . . وفي مرة أخرى زار للمدرسة مصروف اللواء (دهالي - المحافظ) فاعتاز مرشد الصف الأخ يوسف لترحيته والترحيب به بواسطة الخطاب المكتوب . . وهكذا كنا نحن الاثنين الوجه الشرقي واللسان القوي لمدرسة شهبان الابتدائية .

٧ - أذكر من زملائنا في الصف السادس مايلي : صفاء الدين محمود الأنصاري ، عباس شايحة ، عبد القادر مهدي الخشلي ، خليل مصطفى ، عاصم القيسي ، فاضل علي ، ثابت نعمان ، حكمة سعيد .
ومن المدرسين خليل الخشلي ، محيى الدين شيخ الحلقة ، عبيد عبد المجيد ، محمود غناوي .

٨ - وبعد نجاحنا في الامتحان الوزاري العام للدراسة الابتدائية انتقلنا إلى بقية المدرسة المتوسطة حيث لم تكن في شهرين ملوثة متوسطة . وشاء الله كذلك أن نسكن في حلة واحدة .

٩ - وفي بقية أيضا كما في شهرين - كنا أنا ويوسف في صف واحد في متوسطة بقية للبنين . وكنا أيضا من التلاميذ النابيين بحيث لا نعمل واجباتنا المدرسية بل نحفظها ونحضرها يوميا هذا إلى ازدياد ميلنا الشديد إلى الشعر والأدب بحيث قمنا نطالع الجرائد والمجلات والقصص والروايات لطف حسين وللقزل والمغلوطي وسلامة موسى وكنا نفضل ونميل إلى المغلوطي لأدبه المشرق وأسلوبه الرصين اللين في النظرات والعبيرات وغيرها الكثير الكثير . . وكنا وبعض الزملاء مثل : وحيد الحكيم وصبيح البصام ومحمد علي البصام نتطارد بالأشعار ، فكان يوسف الفارس المجل الذي لا يبارى ولا يهزى . . إضافة إلى ذلك أخذنا نكتب في الجرائد البغدادية وخاصة في جريدة العالم العربي ، ما بين لنا من أفكار وعواطف أدبية واجتماعية مما كان له أكبر الأثر في ترسيخ وترصين أعلامنا الغضة الطرية .

١٠ - وفي المدرسة المتوسطة أظهر يوسف ميلا شديدا إلى التجارة ، فكان يتعاون مع مدرس التجارة في المدرسة الأستاذ الحاج إسحاق عبد الوهاب تعاوننا مخلصا وجديا حيث كنت تراه دائما في غرفة التجارة ليعمل كرسيا أو سيورة أو منطلة . . إلخ . .

١١ - كنت ويوسف نشترك بالتأليف صباح كل خميس في تحفة العلم فكاننا نعال استحصان الإفادة والتلاميذ معا ، كما كنا نشترك في كتابة جريدة الحائط المدرسية فتملأها أشعارا وأدبا وحكما ونصفا ونواير .. إلخ .

١٢ - وفي مساء كنا نجتمع في ساحة المحلة ونسحدث في شئ الأحدث من أدبية واجتماعية وفلاحة جميلة وأخرى نبيحة .. إلخ .

١٣ - ومن زملائنا في المدرسة المتوسطة : صبيح البصام ، محمد علي البصام ، محمود العبدان ، مصطفى محمد القيسي ، جاسم عبد الحسين السعدي ، شهاب أحمد الحشالي ، وحيد الحكيم، عبد القادر الحشالي ، سبع خالص ، عبد الوهاب عبد الرزاق ، رشيد محمود القيسي ، علي ناصر الزبيدي ، أنكرم بصوري ، كريم رشيد ، حكمة سعيد ، يوسف البدرى .

١٤ - لم نعد نخلوس في المقاهي كما كان زملاؤنا الآخرون ، بل كنا نذهب إلى الحدائق ومساحات المهرجانات التي تقام بمناسبة الأعياد والاحتفالات الأخرى للفرج على فواهب الهواء والأراجيح والعربات التي تجرها الخيول .

١٥ - غالباً ما كنا نذهب إلى محطة القطر التي تبعد عن مركز البلدة حوالي كيلومترين للتمتع ومشاهدة القطارات الصاعدة والنازلة من بعقوبة إلى بغداد وكركوك ، وأحيانا كنا نذهب إلى بغداد معا أو فرادى لشراء بعض الكتب الأدبية والمجلات .. إلخ . كالرسالة والرواية حيث لم تكن في بعقوبة ولا مكتبة واحدة .. وهذا الصدد لا أنسى فضل الأستاذين الأديبين توفيق الفكيكي والشيخ سعيد البدرى على حيث كان الأول حاكما في محاكم بعقوبة والثاني موظفا في محاكم بعقوبة أيضا حيث كنا يمتنان ويشجعانني على القراءة والكتابة ويستحسنان ما نكتب ويطلبان منا المزيد .. مع الشاعر البديع صالح البدرى والد زميلنا يوسف صالح البدرى حيث كان يزودني ببعض الكتب الأدبية والنوادر الشعرية بواسطة أته .

١٦ - كنا نجتمع أحيانا في المكتبة مع بعض زملائنا الثلاثي في صفوف أخرى مثل الأدباء يوسف عبد المسيح ثروة وفلاح العسكري وباسين رشيد لتداول في الشئون الأدبية ولتطلع على ما قرأوا وكتبوا .

١٧ - في أيام الصيف عند اشتداد الحر كنا نلعب إلى غير ديار للاستحمام والسباحة .

١٨ - المعروف من عطوية أنها حاصلة القواك والخضروات حيث تكثر فيها البساتين الزاهرة المثمرة والزرع الخصبة المعطاة ، غير أن أصدقاءنا من أهالي القرى المحيطة بعطوية كالقويدر وبرز وشفة وغربايات يضافون ويدعون بأن بساتينهم أجمل وأحسن . وكثيرا ما كانوا يدعونا لزيارتهم في بساتينهم والتمتع بمناظرها الباهرة الساحرة وهوائها العليل الرائع لذائع .. والحق كان كذلك .

١٩ - من أساتذتنا في المتوسطة : الحاج محمود عبد الوهاب قاريء القرآن الشهير وسعيد بهجة وحسين بستانه وكامل قزائجي وياقوت البعل وعزيز صبور وعبد الجبار ومو وعبد القادر الحسيني ، وعبد الرحمن الغمراوي .

٢٠ - بعد تخرجنا في المتوسطة اختر يوسف الانتهاء إلى دار المعلمين الابتدائية ببغداد واختارت أنا البقاء في عطوية لإكمال دراستي الثانوية ، وكنت أزرره في بغداد بين آونة وأخرى حيث تفتحت هناك لدراسة الشعرية وأخذ ينظم القصائد الطوال ويظهرها على الطلاب في الحفلات العامة والندوات الأدبية . وهناك عرفني يوسف بالشاعر الكويتي أحمد السقاف ..

٢١ - بعد التخرج في الثانوية انتقلت إلى كلية الحقوق ببغداد فاستأجرت غرفة في فندق الملوكي مقابل الكلية كانت بمثابة مركز مطالعة مع

زملائي الجسد في الكلية فوزى عبد الواحد وشير الخالدي وأحمد المني
وكثيرا ما كان يوسف يزورنا ويترنم لنا بأشعاره الخفية الجميلة . . وقد صار
صديقا لهم .

٢٢ - بعد تخرج يوسف في دار المعلمين الابتدائية عين معلما في أحد
أرياف بعقوبة في (إمام عسكر) بالتبسط وكان أسبوعيا يرأسني وفي داخل
كل رسالة قصيدة شعرية أو رواية طويلة بحيث نرير على الثلاثين أو
الأربعين صفحة وقد استرجعها مني عندما نال شهادة الدكتوراة على أمل
طبعتها .

٢٣ - وعند ذهابه إلى مصر للحصول على شهادة الماجستير أذكر هنا
باعتزاز أن والدته - برحمها الله - كانت تناديني وتضمنني إلى صدرها بحنان
شديد وتقول لي بالحرف الواحد (عيون كمال أشم عليك رائحة ولدي العزيز
يوسف) .

٢٤ - هذه بعض الذكريات أو قل إنها خفيض من خفيض وطاقة من طاقة
من صداقة عاشت ودامت أكثر من نصف قرن لم يتخللها زعل ولا شجار
ولا سادها برود ومجافاة بل إنها تزداد قوة وشدة على مر الأيام في زمن قلت
فيه الرومان والشهوات وجذب فيه الإخلاص والوفاء .

وشكرا للدكتور يوسف الذي حقّق على كتابة هذه المذكرات التي كاد
المرض ينقطع عنها وينسني إياها حيث أنا من مدة تجاوز العشر سنين
تركزت القراءة والكتابة إلا لماما .

الصحة والعافية ومع الراحة والزواج . . والسلام .

الحامس كمال القيسي

بغداد في ٢٢ - ١٠ - ١٩٨٨ م

من رسالة الأستاذ عبد المجيد حبيب القيسي

الطائف من ديسمبر ١٩٨٨

عزيزي الأخ يوسف

وصلت إلى رسالتك الأخيرة ليريد أن تنبر في ذكرى أيام بعقوبة وأن
أكتب لك ذكرياتي . وقد نسيت أو أنساك شبابك الدائم إلى قد خرجت من
بعقوبة قبل خمس وعشرين سنة ولم يكتب لي أن أزورها بعد ذلك على شدة
شوقى لزيارتها وعلى شدة قرب مزارها من بغداد .

لقد قضيت في بعقوبة ستين ثلاثاً ودعت فيها الطفولة والصبا . وفي
بعقوبة دخلت الصف الأول الابتدائي . . وأنا أحمل لكثير من علمون
احتراماً يبلغ حد المحبة . وأول هؤلاء وهو أول ذكرياتي عن بعقوبة معلماً
في الصف الأول (غياث الألويسي) رحمه الله . . ولا أخرى إن كنت تذكره أم
لا .

كان رجلاً أقرب إلى القصر منه إلى الطول وإلى البدانة والامتلاء منياً
إلى النحافة . وكان في ذراعه اليسرى شيء من الأعوجاج . وكان يشوش
الوجه تمجد على غيابه وحتى في ساعات شدة مشروع ابتسامه قد لا يتحقق
دنيا ولكنه ينور وجهه بإشراقة حية ومودة .

درسنا ضياء الدين في الصف الأول الابتدائي ، ومعلوم الصف الأول في نظري بعض من المعجزة الإلهية . ويؤلمني أنهم لا يقتدرون حتى قدرهم .. فقد زرت وأنا مدير عام في الدولة إحدى قرى مدينة الحلة فوجدت في مدرستها (جلال غريب) مازال يعلم في الصف الأول .. (زيري وزيري) .. (زاروتا) .. وكان قبل ثلاثين عاما يدرس في ابتدائية الحلة حيث كنت هناك .. وكان من تقدير الدولة له أن نقلته من المدينة إلى الريف .

لقد عجلت أن أكلمه . لهذا الذي علمني (زيري وزاروت) يلقب أمانى محجلا رث الشباب مهدم الصحة .

ومن ذكريات بعقوبة التي لا تنسى ، بعقوبة نفسها ، إذ ما زلت أتصورها بستاقا كبيرا تعجل منه أرواح القديح وتزده أوراق الأشجار وأوراق البرتقال . ولذكر في بعقوبة هجوم الجراد عليها يوما ما ، أو ليلة ما فلما أصبح الصباح لم نجد ورقة أو سعة خضراء في كل بيتين بعقوبة .. ولما فإن رواية (الأرض الطيبة) لمؤلفتها (بربك بك) تحمل عندي مكانا مرموقا لأن وصفها لهجوم الجراد في الصين يذكرني بما شهدت تلك الليلة في بعقوبة .. ومن ذكريات بعقوبة المؤثرة فقداني أخي مظفر الذي دفناه في مقبرة السيد إدريس قرب شفته .. وكنت وما زلت .. لو لم أزل أمني النفس بزيارة قبره ..

أما معارفي وأصدقائي في بعقوبة فالوهم والظلم وهذا هو استاذنا الدكتور يوسف عز الدين - أعز الله دينه - كما أعز هو الدين .

وكان من أصدقائي للقرينين المرحوم إبراهيم الخشاش الذي صار ضابطا في الجيش ووصل إلى رتبة زعيم . وكان معنا في المدرسة الدكتور ضياء الدين أحمد الذي أصبح وكيل وزارة لوزارة الزراعة وهو الآن على ما أعتقد في مؤسسة (الفار) .

ومعهم لطفى عزت الذي صار رئيسا لبلدية بفقوة خلفا لآبيه ثم صار نائبا في البرلمان .

وكان معنا في نفس الصف الدراسي أخوه مجيد عزت وكان على عكس أخيه شكلا . فلذا كان لطفى كذا تذكر مليتا قصيرا مرحبا نشيطا كان مجيد طويلا نحيفا كئيبا . وقد حصل مجيد على الدكتوراة في القانون من فرانسة وعلم في كلية الحقوق في بغداد ثم تولى إلى رحمة الله .

لعل هؤلاء هم كل من أذكر من رفاق المدرسة . . عفاوا فاني إن أذكر المرحوم عطاءب إسماعيل الذي تولى في الستينات وهو مدير عام لوزارة الكهرباء وقد عرف بأدبه الجلم وحلقه النبيل .

هؤلاء من أذكر من رفاق الدراسة ولأذكر من معلمينا الأستاذ ضياء الأتومي والسيد إسماعيل مصطفى وكان مدرسا للرياضة كذا أذكره قد ترك التدريس والتحق بالكلية العسكرية ووصل إلى رتبة أمير لواء في الجيش ثم صار وزيرا أيام عبد السلام أو عهد الرحمن عارف .

وقد التفتيه عام ١٩٥٣ ضابطا كبيرا . وسبب حساسيتي المعروفة ضد العساكر فقد تجاهلته هو ومعاونيه ولكنه عرفني ، ربما من اسمي ، فدخل على هيئة المعلمين وعفني على تنصيري تجاهه فلما أجبت بنسوة وفخور كشف عن هويته فلذا هو إسماعيل مصطفى ومعاونيه إبراهيم الخشاش . . فلم أتورع عن قول له . . كيف أعرف أن الزعيم إسماعيل مصطفى هو إسماعيل مصطفى المعلم . . وكان حقا ولجهد الود حتى آخر أيام في بغداد أي قبل خمسة وعشرين عاما .

ومن معلمينا وكان يدرس الرياضة البدنية أيضا المرحوم عبد المجيد خليل الذي صار مديرا للأمن العام أيام عبد الكريم قاسم . هل كان محقا إذ لم يبق إلا لعبد الكريم قاسم أم كان محقا في إلزائه . . لا أعرف . . رحبها الله . .

رسالة الأستاذ الدكتور ماهر حسن فهمي

عزيزي الدكتور يوسف عز الدين

تحية عبقة صالحة وبعد ..

وصلني رسالتك فأعادت إلى ذكريات أربعين عاما وأتت بسرعة عجيبة
لا تتأى ولا تترث .

١ - تسكني عن حياتنا في الكلية ، لقد كنت شاعرا من شعرائها ،
كإيال نشأت ، وعسن الجوهري ، ويوسف عز الدين ، وكنت أحد أربعة
زملاء من العراق ، محمد باقر عبد الغني ، رحمه الله ، وكامل الشبي مد الله
في عمره ، ومبري فتوح ، وقد تبرا كل منهم منصبا مرموقا في العراق ،
كنت أقربهم إلى قلب أساتلتنا جميعا ، محمد خلف الله أحمد ومحمد حسين
ومحمد طه الحاجري وعبد السلام هارون رحمهم الله جميعا ، وكنت أقدرنا
على التعبير عن رغباتنا ، بل لعلك كنت أقدرنا على التعبير عن مشكلات
الطلاب في ذلك الوقت .. أذكر أن درس نتائج البحث كان قد أثار جدلا
بين أساتذتنا الدكتور محمد حسين وبين عدد من الطلاب والطالبات ، بكت
الطالبة (عواطف عبد السلام) وحضر بشير عبد البر في منتصف الدرس
وأساء غيره التعبير فترك الأستاذ الدرس وصعد إلى مكتبه وصعدنا معه
ولحدثت بلساننا قائلا : مهنتك ليست علمية وحسب ولكنها أيضا تربية
فهدأت نفسه . وعاد إلى المحاضرة وانها .

أما جمعية الشبيبة العربية التي ألفتها من الطلبة ، فهي تسمى عن اهتمام مبكر بالفكر والأدب أكثر مما تسمى عن أي شيء آخر . لأن الحركة الأدبية الطلابية تمثل حركة أدبية طلابية في مستواها الفني .

من زملائنا الدكتور مصطفى الشويش وقد تسمى باسم مسيو شويش بعد أن التحس بالجنسية الفرنسية وهو منذ حصوله على الدكتوراة أعني منذ ثلاثين عاما مشرف على مشروع إصدار معجم عربي فرنسي إنجليزي كان (بلاشير) قد وضع أساسه وقام الشويش بتفصيله وكل عشرة أعوام يصدر مجلدا في حدود مائتي صفحة يضم حرفين أ ، ب ، ثم ت ، ث ، ثم ج ، ح وتوالت عند الجزء الثالث لأنه معجم كبير ، ومن هنا نترك أسرار تفوق الأوربيين أعني الصبر وعدم استعجال النتائج .

أما فؤاد دواره فقد أصبح ناقدا مسرحيا معروفا في الحياة الأدبية بالقاهرة منذ كتب عن مسرحيات توفيق الحكيم التي أصدرها في بداية حياته ، وكان قد تسمىها ، فجمعها فؤاد دواره ولقد لها دراسة أثناء حصوله على سنة للفرغ العلمي من وزارة الثقافة .

أما صبور الجامعة فهي في القاهرة ولا سبيل الآن إليها . ولماذا تريد أن تنحصر على شيئا ؟ تسألني عن حيال ؟ إن الباحث يود الحديث عنك لا عنى ومع ذلك فحيال بانتصار تلخص في أنني من مواليد عام ١٩٢٨ بالإسكندرية وحصلت على جميع شهادات الدراسة الابتدائية والثانوية والليسانس من الإسكندرية وتخرجت معك في قسم اللغة العربية عام ١٩٥٠ بتقدير جيد جدا وحصلت على درجة الماجستير عام ١٩٥٤ والدكتوراة عام ١٩٥٧ من جامعة الإسكندرية أيضا بإشراف أ . د محمد حسين في الأدب العربي الحديث .

هيت فور تخرجي عام ١٩٥٠ م أمينا بمكتبة جامعة الاسكندرية ، وفي عام ١٩٥٨ هيت مطروبا بجامعة عين شمس ، وأخبرت إلى العراق عام

١٩٥٤ ثم رقيت إلى درجة أستاذ مساعد عام ١٩٦٥ وإلى الأستاذ عام ١٩٧٢ وسافرت إلى قطر لإنشاء قسم اللغة العربية بكلية التربية ١٩٧٣ ثم أنشئت الجامعة عام ١٩٧٧ فأنشأت كلية الإنسانيات (الآداب) وأنشأت عام ١٩٨٠ مركز الدراسات الإنسانية وتوليت مهلة الكلية ومدير المركز ثم وضعت الخطة الخمسية الأولى للمركز ونفذها وتركت إدارته وبلغت عميقا للكلية .

أهم كتبي :

- ١ - تطور الشعر العربي الحديث بمنطقة الخليج
ط . دار لطيف بن الصبيح - الدوحة - قطر
(طبعة ثانية)
- ٢ - قصايا في الآداب والفقه
ط . دار الثقافة - الدوحة - قطر .
- ٣ - اللغزب القديمة
ط . دار لطيف بن الصبيح - الدوحة - قطر
(طبعة ثانية)
- ٤ - السيرة تاريخ وفقه
ط . دار الفلم بالكويت (طبعة ثانية)
- ٥ - الحنين والفرقة في الشعر العربي الحديث
ط . دار الفلم بالكويت (طبعة ثانية)
- ٦ - شوقي / الزحافى / قاسم أمين - محمد
(سلسلة أعلام العرب) القاهرة - المؤسسة
العربية .

أظن هذه المجلة تكفى الآن وإلى أن تنال لك أسعد الأمنيات .

والسلام عليكم ورحمة الله .

قطر

١ . د . طاهر حسن الهسي

ملحق رقم ٤ :

رسالة الدكتور ضياء الدين أحمد

عزيزي الأخ أبو أمل حفظه الله .

أمل أن تصلك هذه الرسالة قبل انتقاضي المدرس والجامعات في عطلتها الصيفية وقد حصل متعصف حزين .

هذا وشكرا جزئيا لرسالتك الأخيرة المؤرخة في ٢٩ / ٣ وكنت أنوي الرد عليها قبل هذا التاريخ إلا أن الزمن يعدو كأنه يطارد بسرعة فائقة .

سألتني عن سني الدراسة في بعثية وعما إذا كنت أذكر من كان معي .. فقد أفضيت في تلك المدرسة ثلاث سنوات ولا أذكر كثيرين من الذين كانوا معي غير نصوحى حسن راشد تخرج فيها بعد ضابطا وتولى في ريعان شبابه والرحوم عطاء أسماعيل الذي أصبح فيما بعد مديرا عاما للجهازك ، ود . حمود مصطفى كثرته ، ولا أذكر أحدا ممن كان معني كعبد المجيد حبيب ، ولكنني أذكر الكثيرين ممن كانوا قد سبقوا بستين أو أكثر ، منهم لطفى عزت الذي أصبح فيما بعد رئيس بلدية بعثية بعد والده وهو شفيق عبد المجيد عزت الذي ذكرته وشاكر حمود شكرى الذي كان والده مديرا للشرطة (وشفيق الدكتور عزيز حمود شكرى) .

والعقيد المهندس جميل مهدي الحشال وأنواء خليل مهدي وإبراهيم مهدي الحشال ومن بعدهم أخوهم الأصغر المهندس عبد الغاد الحشال .

وكان هناك الدكتور عبد الحميد كاظم الذي كان يسكن قرية على الجانب الآخر من نهر دبال للهيولر ، وكان معروفا عنه أنه كان يعبر نهر دبال كل صباح ومساء واصبعا دشتايشه وكتبه فوق رأسه عندما يكون مستوى الماء مرتفعاً في دبال ، والدكتور فاضل حسين أستاذ التاريخ في دار المعلمين الحالية (فيما بعد) واللواء المتقاعد (فيما بعد) فوزي جميل الذي شغل منصب سفير في روما بعد تقاعده من الجيش .

ومن مدراء المدرسة أذكر أبا صهيون عزيز سليمي وكان قد عاد لثوره من تركيا ولغته العربية ضعيفة - ولو أنه في حينه ترجم كتاب (جول فيرن) - رحلة إلى القمر - وبيع إلى التلامذة .

كما أذكر المدرس الأخير إسحاق حفي وهو صهر العائلة المحلية المكونة من مظفر فهمي واثور فهمي وأنور فهمي وجاهد فهمي . . ومن المدرسين أذكر جميل ألمان وهو ضابط متقاعد وخبير الدين الألوسي وشفيق أسسها حميد ومحمد ولا أذكر اسم أبيها ومن المتصرفين أذكر هل جودة الأخرى وجميل اللطفي ومحمود نديم الطنجي ومن الأطباء أذكر الدكتور فرج وكان مسيحياً متقدماً في السن وعال بعائلته مدة طويلة حتى شفى الله من مرض التيفوئيد بقدرة القادر في وقت لم تكن المضادات الحيوية معروفة .

الحال صبحي بصحة جيدة وقد ذكر لي أخيراً أنه سيبلغ الثلاثين خلال سبعة أشهر . وأملك مستمع منه بشكل أفضل لو أرسلت له رسالة .

وفي الختام أرجو لك الحالية المستندة وراحة البال .

أخوك

ضياء الدين أحمد

روما في ١٢ - ٦ - ١٩٨٩ م

ملحق رقم 0 :

عالم
التكريات
في صور



طلاب كلية الآداب في رحلة شريق العذراء ٢٠ / ٢ / ١٩٧٢ من سفوح الشوف في الطريق
من بورسعيد إلى الحفرية .



في الإسكندرية في برنامج برنامج عيد العرسون السعيد
في ٢٩ / ١٢ / ١٩٧٢ مع السيد يوم الدين في القهارة .



مجلس من ممثلي جامعة الشريعة العربية وقد جلس يوسف عر القس برؤس جواره مجلس
الشريعة ومجدي طهومي والقائمون العراقيين في وقت ذلك التاريخ وشاكلي محمد حسن
الزيات الشريف من الجامعة في الإسكندرية ١٩٤٥



قسم الفقه العربية سنة ١٩٤٧

الحاصلون فؤاد دويره وبغداد ومجدي طهومي وعبد العزيز الوهبي والقسم يوسف عر القس
والقائمون من الجامعة ومجدي طهومي ومجدي طهومي ومجدي طهومي ومجدي طهومي
ومجدي طهومي والقائمون عبد السلام قسم يوسف عر القس ومجدي طهومي ومجدي طهومي
عبد القس



في لندن في حديقة هاتش ميد ١٩٥٥



في محطة القطار في بغداد بعد السفر إلى لندن ولقيا الإخوة عبد العزيز السامرائي و
السامرائي وسمي السامرائي وروسان، أبو القوين وسجاد الكاوي وكان مجلسي القويين
١٩٥٥



في السفارة الأمريكية في لندن مع سفيرها السيد ١٩٤٥ مع هيئاتها الشخصية بـ لندن



قسم اللغة العربية مع الدكتور محمد (السيدات، صافرية، والامام مصطفى الحسني وندوة
والدكتور محمد ومجدي، فاضل، وعواطف، عبد السلام ويوسف، أبو القزوين، والرفيق، عبد
المستقيم، نظم ويظهر عبد البر، فاضل، عبد الشفيق، مصطفى الشاذلي، محمد، وأحمد، ويظهر
ومحمد، وفواز، نورية، وعبد العزيز، الزهراني)



في التجمع الشعبي الديمقراطي ١٩٧٢



في السودان سفيرا لجميع القضا العربيا مع الملكة سمير علي المنصور

[illegible][illegible]



الجمعية الفلسطينية مسند الجمعية ١٩٤١ / ٤٠ في القصر القويدي بالقاهرة لعبد الحليم في ميكان
القصور الموسيقية الفلسطينية -



مؤتمرات من القصور الموسيقية الفلسطينية في القصر القويدي في ميكان القصور الموسيقية الفلسطينية في
القصور ١٩٤١ / ٤٠ / ٢٢.



مع الأستاذ الكبير محمد طالب الله أحمد (ب) والدكتور شاذلي مصطفى في القاهرة في تمثيل
سوريين ١٩٧٢ (من الشمال إلى اليمين) -



في وداع السفير الكاب سوري طاهر ١٩٧٩ مع معاون مدير الكشفي



مع إسماعيل الخوري وأحمد السطاف والامام محمد باقر في تجمع الكلم في العراق 1971



الشيخ عبد الرزاق الكيلاني وأحمد السطاف مع الدكتور يوسف بن الدين رئيس المكتب
الكتابي والوثائقي، وهذا الدكتور أحمد سطاف -



رئيس جامعة الكويت د. فاضل بن محمد السبيعي مع الدكتور أحمد مطرود في معرض جوائز التميز في التعليم



في حفل الاستقبال الذي أقيم لاحتفاء الملكة بالانجليكية في القصر الملكي في القاهرة
الأميرة الشهباء



مع العلامة الديبكي إبراهيم مدكور والاسكندر عبد السلام فاروق في عهد مجمع اللغة العربية
الشعبية في قلعة الجبل سنة 1961 .



في مكتب الاسكندر ابراهيم منصور في القاهرة مع الاسكندر يوسف عتاك 1960



الوفد الياباني في بيت الحكمة في تونس



مؤتمر مجموع اللغة العربية بالقاهرة مارس ١٩٦٤ مع الاستاذ الدكتور محمد الطوبى القوي
والفنانين حسين القروي في حال التزيان في مكتبة النيل



في مؤتمر الجمعية العامة الأوروبية بتاريخ 1960 في منزل الاستاذ في مقر الجامعة العربية مع
الملك فيصل بن الحسين



في القصر الملكي في دمشق مع الملك فيصل بن الحسين في 1960 مع الملك فيصل بن الحسين
والملك فيصل بن الحسين



القادة العرب في جامعة القاهرة مع الأستاذة



الأستاذة أسماء النجدي وكافة أعضاء المجلس القومي للمرأة، في القاهرة، مع الأستاذة أسماء النجدي، رئيسة المجلس القومي للمرأة.



مع الأستاذ الدكتور محمد بن الحارث بشار



مع الدكتور الفلاح والاعتماد احمد حسين الزوي في بيتا الدكتور الفلاح بن محمد



مجلس نقابة الأطباء بجامعة الإمارات في ساحة الكلية



جامعة الإمارات في القوز، معيداً الكفاح، وسعيداً القوم، سعادته العليا، والسيد العلي، مع رؤساء
الأطباء في نقابة الأطباء



موسى قنبل الحويطة في القاهرة مع العلامة الدكتور شهاب صويح



في موسيى قنبل العربية بالقاهرة سنة ٢٠٠٧ دكتور الدكتور الطوب والاسلام دود السلمان
مخلوف (ر) والدكتور ابو شادي الرضوي والاسلام احمد مخلوف .



في مكتبه الشريف الأمير، يوم الاستقبال الكرمي، أبو طالب الشريف، وأبو عبد الرحمن الشريف.



إمام مكة الشريف عبد العزيز السليم في الصف الأول الثاني منة منة (أبو) الشريف، ناصر بن الأمير أحمد، والصف الثاني الشريف أحمد السليم، والشريف عبد العزيز الشريف، والشريف عبد العزيز السليم، والشريف منصور السليم.



في البحرين - مع الدكتور عماد القوي في نادي الجزيرة مع الدكتور عبد الله الهادي



في الشارقة مؤسسة آل البيت في عمان



في مهرجان القبة الصخرية مع العلماء العالمين من مصر، عمان، والاسكندرية، استاد السلام، حارثون (إبراهيم) والاسكندرية
الاسكندرية، مصر، ١٩٨٢ -



في مهرجان القبة الصخرية سنة ١٩٨٢، في القاهرة الاسكندرية، مصر، الاسكندرية، استاد السلام، حارثون (إبراهيم)
الاسكندرية، استاد السلام، حارثون (إبراهيم) من اليمن



مع الدكتور عبد الله إسماعيل، والدكتور يوسف بوزق، في زيارة إلى فندق شجرة ١٩٨٧ .



في موسم الفلاحة العربية مع الأستاذ الدكتور إبراهيم بكار ١٩٨٧ .



مع الدكتور عبد العزيز القفاص في جامعة بغداد



مع احمد و سید و سید و سید در سال ۱۳۸۹



Figure 1. A group of people, possibly a choir or a group of students, posing for a photo.

من مؤلفات
الدكتور يوسف عز الدين

١ - الشعر العراقي في القرن التاسع عشر :
خصائصه وأبعاده :

بغداد ، وزارة التربية ١٩٥٨

القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٥

القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٧

٢ - الشعر العراقي الحديث والتيارات السياسية والاجتماعية :

بغداد ، وزارة التربية ١٩٦٠

القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٥

القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٧

٣ - عيسى المتناوي حياته وعيوان شعره :

القاهرة ، معهد الدراسات والبحوث العربية ، ١٩٦٥

بغداد ، جامعة بغداد ، ١٩٧٤

٤ - في الأدب العربي الحديث (بحوث ومقالات نقدية) :

بغداد ، جامعة بغداد ، ١٩٦٧

بيروت والقاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣

بيروت ، دار العلوم في الرياض ، ١٩٨١

٥ - داود باشا ومهاية المليك في العراق :

بغداد ، دار البصري ، ١٩٦٧

بغداد ، جامعة بغداد ، ١٩٧٦

٦ - مخطوطات عربية في مكتبة صوفية الوطنية :

بغداد ، المجمع العلمي العراقي ، ١٩٦٨

٧ - الاشتراكية والقومية وأثرهما في الأدب العربي الحديث :

القاهرة ، معهد الدراسات والبحوث العربية ، ١٩٦٨

بغداد ، جامعة بغداد ، ١٩٧٦

٨ - شعراء العراق في القرن العشرين (ج ١) :

بغداد ، جامعة بغداد ، ١٩٦٩

٩ - الرواية في العراق - تطورها وأثر الفكر فيها :

القاهرة ، معهد الدراسات والبحوث العربية ، ١٩٧٣

١٠ - فهمي للنورس - من رواد الفكر الحديث :

القاهرة ، معهد الدراسات والبحوث العربية ، ١٩٦٩

بغداد ، جامعة بغداد ، ١٩٧٦

١١ - القصة في العراق - جلورها وتطورها :

القاهرة ، معهد الدراسات والبحوث العربية ، ١٩٧٤

١٢ - تطور الفكر الحديث في العراق :

بغداد ، دار الناعل للترجمة والنشر ، ١٩٧٦

١٣ - إبراهيم صالح شكر وبواكير النظر الحديث في بغداد -

القاهرة ، معهد الدراسات والبحوث العربية - ١٩٧٥

- ١٤ - قلب على سفر (رواية) :
القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨
القاهرة ، دار الشروق ١٩٨٧
- ١٥ - مخطوطة شعر الأخرس :
بغداد ، مطبعة العلم
- ١٦ - النصرة في أخبار البصرة (لأنصارى) :
بغداد ، المجمع العلمي العراقي ، ١٩٦٩
بغداد ، جامعة بغداد ، ١٩٧٦
- ١٧ - في ضمير الزمن (شعر) :
الإسكندرية ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٥٠
القاهرة ، مطبعة الرسالة ، ١٩٧٠
الرياض ، دار أمية للنشر ، ١٩٨٥
- ١٨ - ألحان (شعر) :
الإسكندرية ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٥٣
القاهرة ، دار العلم للطباعة ١٩٧٦
الرياض ، دار أمية للنشر ، ١٩٨٢
- ١٩ - غلات الحياة (شعر) :
بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٠
القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧
- ٢٠ - من رحلة الحياة : (شعر) :
بغداد ، مطبعة أسعد ، ١٩٦٩
القاهرة ، دار الإبداع الحديث ١٩٨٥

٢١ - أصول في الأدب الحديث والتد :

دار العلوم ، الرياض ، ١٩٨١

٢٢ - *Modern Iraqi Poetry, Social and Political Influences.*

القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧١

٢٣ - *Poetry and Iraqi Society: 1940-1945.*

بغداد ، مطبعة الماني ، ١٩٦٢

٢٤ - قضايا من الفكر العربي :

القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨

٢٥ - الحركة الفكرية في العراق :

القاهرة ، جريدة بغداد - ١٩٨٤

٢٦ - التحدي الحضاري والتغزو الفكري :

الرياض ، دار آية للنشر - ١٤٠٥ هـ

٢٧ - *Songs from Baghdad-London. 1964.*

٢٨ - التجديد في الشعر الحديث ، بركات النفسية وجذوره الفكرية

نقد جنة الأدب ١٩٨٦

٢٩ - ثلاث عظمى (قصص قصيرة) :

الرياض ، دار آية للنشر ١٩٨٧

٣٠ - ~~مختصر~~ هذا ترجمة الدكتوروة حرية نجم ١٩٨٦ و ١٩٩٠

القاهرة ، دار الإبداع الحديث

٣١ - تراثنا والمعاصرة :

القاهرة ، دار الإبداع الحديث ١٩٨٧

- ٣٢ - همسات حب مطوية :
القاهرة ، دار الإبداع الحديث ، ١٩٨٧
- ٣٣ - قول في النقد وحداثة الأدب :
الرياض ، دار أمة للنشر ، ١٩٧٨
- ٣٤ - وعاءت الذكرى بقرائنها وطرائفها :
القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨
- ٣٥ - أثر الأدب العربي في الأدب الغربي :
دار الصاق للثقافة والنشر الرياض ، ١٩٩٠
- ٣٦ - إلى الدمار المتنوعة :
القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٩
- ٣٧ - حلو الذكريات ومرها :
القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩١
- ٣٨ - بين الحداثة والحداثة :
طبعة مؤمنة . ١٩٩٠
- ٣٩ - التوريس المهاجر (رواية) .
(في الطبعة)
- ٤٠ - آراء نقدية مؤمنة .
(في الطبعة)

ملحق رقم ٧ :

فهرس الأعلام

(١)

أحمد زكي أبو شادي ٢٧٠	أبراهيم القزلي ٢١٢
أحمد زين السقا ٢٧٦ و ٢٧٩ و ٢٠٠	أبراهيم انشاشي ٢٨٢ و ٢٨٨
أحمد سالم باعطب ٢٧٠	أبراهيم صالح شكر ١٦١ و ١٢٠ و ١٢٧ و ١٠٩
أحمد شوقي ١٠١ و ١٨٧	٢٢٦ و ٢١٨
أحمد الطييب ١٦٨ و ٢٢٠	أبراهيم عبد القادر النازي ١٢٠ و ٢٧٧
٢١٦ و ٢١٠	أبراهيم الفريسي ٢٠٠
أحمد عطيات ٢٠٩ و ٢١٢	أبراهيم مذكور ١٤٩ و ٢٠٢ و ٢١٢
أحمد كهل زكي ١٦٤ و ٢٠٦	ابن بطوطة ١٦٩
أحمد مطرب ٢٠٠ و ٢٠١	ابن خلدون ٢٢٩
أحمد نجم الدين ٩ و ٢٧ و ٨١	ابن رشد ٢٦٦
١١٤ و ٢١٥ و ٢٩٢	ابن زهرون ٢٠٤ و ١٠٤
أحمد القبي ٥٨٠	ابن سينا ٢١١
الأنطوق الصغير (يشارة الخوري) ٤٤ و ١٦٦	ابن تلي ١٤٢
أبيب السمرقاني ٢٩٤	ابن الكلث ٢٢٩
أبويك ، أ. ج. ، ١٤٧ و ١٥٧	أبو زبيب القفاري ٢١٠
أوسطو ١٢١ و ٢١١	أبو نام ٤٢
الإنكسار القويطي ٤٢	أبو الحسن أحمد بن الحسن بن خلدون البعلبي ١٤
أسلي يوسف عزقاني ٥٨٥ و ٢١٤	أبو شادي القروي ٢٠٩
إسماعيل حلي ١٢٩	أبو القسيس ١٩
إسماعيل صيرك ٤٤	أبو عبد الرحمن القفاري ٢١٠
إسماعيل مصطفى ٢٩ - ٤٨٢	أبو القاسم قلبي ٢٠٢
إسماعيل عبد القويط ٢٢ و ٢٧٧	أبو القاسم عبد كز ١٩٤
كلاطرون ١٦٩ و ٢١٦	أبو زوار (إسماعيل مصطفى) ٤٩ و ١٥٢
الكز نجس ٥٨٩	أحمد أمين ١٩٠
الكز نصيري ٢٨٤	أحمد حسين القروي ٢٠٢
الأكوسي ١٤١	أحمد داني ١٥٧ و ١٥٩ و ١٩٠ و ١٩٤

القاسم المغربي TTT و TTTA

القوت دت . م . ١٤٠ و ١٤١

لم كليم ١٤ و ١٤٩

لقين جيلني ١٣٩ و ١٤٠

لقسنس ماري الكرمي ٢٥

اللاصاري (مراك: القصر في أميل البصر) ٢٠١
٢١٩

لقنكر . لغوروك ٢٨٤

لقور ليسي ٢٨١

لقيس منصور ١٤٢ و ٢٠٢

لقيازي . قيلاني ١٤٢

لقينين . لقوت ٢٨٤

(ب)

لقر عبد القوي ٢٨٥

لقر قبل ٢٧٩

لقرا حلي ٢٧٧

لقود . قورا ١٤٠

لقورق . لقود ١٤٢

لقهري ٤٢

لقيداري زكريا ٢٧١

لقوي القيل (محمد سليمان الاحمد) ١٧٢

لقوي مراك ١٧٤

لقوام ٢٧٥

لقوقي ١٧٩

لقويد القروي ٢٧٢

لقوي القروي ٢٨١

لقوي عبد القوي ٢٨٥ و ٢٧٢ و ٢٧٥

لقو . قود ٢٨٢

لقر حلي ١٤

لقكر ٢٨١

لقكسي . قورق ٢٨٤

لقوت . قويا لقصي ٢٨٥

لقود القوي ٢٧٧

لقود القوي ٢٧٢

لقوياني . قاني ٢٨٤

لقودت . لقوروك ١٤٢ و ٢٧٢

(ث)

لقيسي ٢٧٦

لقك . قويني ١٧٩ و ٢٨٦

لقوك الحكيم ١٤٨ و ٢٨٦

لقوق القسطن ١٤٩

لقوك القكيكي ٢٧٤

لقوك ومني ٢٧٢ و ٢٩٥

لقن ٢٧٩

(ث)

لقوت نيك ٢٧٢

لقيا كلام ٢١٤

(ج)

لقاسط ١٤

لقاسم عبد القوي قسطن ٢٥ و ٨٤ و ١٧١ و

٢٧٤ و ٢٧٥

لقاعد ليسي ٢٨٩

لقاقوقي ٥٥

لقاققوس . عبد القوي ١٤٢

لقبر ٤٢

لقطر العسكري ٢٧٢

لقلال قورق ٢٨٢

لقلي القلي ١٧٢

لقك حلي ٢٠٢

لقك عبد القوي ٢٧٤

لقلي القك ٢٨١

لقلي القلي ٢٨٩

لقلي قيني القلي ٢٨٨

لقلي القلي ٢٧١

لقز . قيسي ٢٨٤

(ج)

لقين عبد القوي ٢٠١

سليم صوف ٦٨٩

سليم بن الفكري ٢٢٩

سليمان ، ابن ٦٦٩

سيد القرب (توليع مستطير) ٥٦ و ٦٤٢

صلاح الدين الصايغ ٥١١

صلاح الشاهد ٢٨٨

(ض)

سيد الدين أحمد ٦ و ٢٩ و ٥٨٥ و ٢٨٥ و ٥٨٩ و ٢٢٩

سيد الدين الأكرسي ٥٩ و ٥٨١ و ٢٨٦ و ٢٨٢ و ٢٨٤ و ٢٨٤

(ط)

الطبري ١٢ و ١٧٩

طه حسين ٩٤ و ١٤١ و ١٤٧ و ١٧٠ و ١٨٩ و ١٩٠

٢٢٧ و ٢٢٤

(ع)

عائكة واهي الخروبي ٢٧١

عزوف ، لالا ١٤ و ١٥ و ١٢٩

عاصم القيس ٢٧٧

عالية ، لالا ٢٢٧

علياس ٢٧

علياس شافعة ٢٧٧

علياس محمد الطفا ٤٠

عبد الرزاق ، الأثير ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٢٩

عبد الباقير دمر ٢٧٩

عبد الحليم عليم ٢٧٢ و ٢٨٥

عبد الحميد البعيل ٢٧٩

عبد الحميد راضي ١٠٦

عبد الحميد الدياني ٩٢

عبد الحميد عليم ٢٨ و ٢٩٦ و ٢٨٩

عبد الحافظ بعليل ٢٨٤

عبد الرحمن البند ٢٤

عبد الرحمن الشراقي ١٩٠

عبد الرحمن الشراقي ٢٧٩

عبد الرحمن الكيلاني ٣٠٠

عبد الرزاق البصري ١٨١

عبد الرزاق البصري ٢٩٤

(ق)

القاهر القروي (سيد سليم القروي) ١٤٢/٢٨٩

شاعر صيف ٢٧٦ و ٢٨٩

شاعر صوف شكري ٥٨٨

شرايفوف ، غريغوري ١٨١

شرفطع (عقل مصري) ٩٠

شريف يوسف ١٢

شعياض ريزي ٢٩ و ٢٨٥

شعياض سليف ٢٩ و ٢٨٤

شكري عبد ١٦٤ و ٣٠٦

شكسيز ، سليم ٦٥ و ١٢٨ و ١٧٩

شلم ، جوهان ١٤٧

شلم بن علي الفوشن ٢٧

شهاب أحمد الحفاني ٢٧٨

شهاب ، لالا ١٤ و ١٥ و ١٢٩

شوقي شهاب ٣٠٩

(ص)

صافرة ٢٩٥

صاحب كبر ١٨١

صالح واهي النحاس ٢٧١

صالح محمد ١٦ و ٢٩١

صالح شيبلي ٢٢ و ٢٦٢

صالح أبو إسح ١٨١

صالح أحمد البعل ٣٠٥

صالح البصري ٢٨٨

صالح بصر ٢١٨

صالح جوت ١٨٢ و ١٩٠ و ١٩٥ و ١٩٧ و ٢٨٧

٢٩٤

صالح عبد العزيز ٢٩

صبيح البقام ٢٨ و ١٧١ و ٢٢٧ و ٢٨٥

صفا الدين محمد الأكرسي ٢٧٧

عيد الفراق هي القين ٢٢ و ٢١ و ٢٠ و ١٩
 عيد السفر قرى ٢١٢
 عيد السلام القسبي ٢١٦
 عيد السلام حاروت ١٥٧ و ١٥٠ و ٢١٦ و ٢١٥ و ٢١٤
 و ٢٠٢ و ٢٠١ و ٢١٦
 عيد الفريز الحاروط ٢١٦
 عيد الفريز القوي ١٠٦ و ١١٦ و ١٢٥
 عيد الفريز الرافعي ٢١٠
 عيد الفريز الزميري ٢١٢ و ٢١٥
 عيد الفريز السلام ٢١٠
 عيد الفريز سلام ٢١٥
 عيد الفريز القاطع ١٥٢ و ١٤٢ و ٢٠٦ و ٢١٥ و ٢٢٢
 عيد القطار الأرمسي ٢٠٠ و ٢١٦ و ٢١٧
 عيد القصور البشري ٤٢
 عيد القصور الحسي ٢١٦
 عيد القصور سليف ٦١
 عيد القصور هدي الحاروط ٢١٦ و ٢١٥ و ٢١٤
 عيد القصور البريقي ١٥٠
 عيد الكرم فرحات ١١٦
 عيد الكرم قسم ١١٦ و ١٢٥ و ١٤٢ و ١٤٢
 عيد القليل البشري ٢١٦
 عيد لك حاروت ١٤١ و ١٤٩
 عيد لك الرافعي ٢١١
 عيد لك الشقي ٢٠٠
 عيد لك الطيب ٢٠٩
 عيد لك قسبي ٢١٦
 عيد لك قسبي ١٤٥
 عيد لك هي القين ١١٥
 عيد لك القين ٢١٢
 عيد القيد جلي ٢١ و ٢١٢
 عيد القيد حسب القبي + ٢١ و ١٤٢ و ٢٢٢
 و ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٤ و ٢١٤
 عيد القيد حوت ٢١٤
 عيد القين القسبي ٢٢ و ٢١
 عيد القليل حسب القين ٢٤٠
 عيد القين سمير ٢١٢

عيد القين عيد القوي ١١٤
 عيد القوي عيد القوي ٢١٤
 عيد عيد القيد ٢١٦
 القيد ، صاحب جريئة الإكل ١٤٩
 جدي الحاروط ٢٠٤
 القوي القوي ٢٠٤
 القوي ٢١٢ و ٢١٥
 حوت عيد القيد عطاب ٢١٢
 عز القين لك يمين ٤٢
 فريز أكل ٢١٠
 فريز سالي ٢١٥
 فريز صبي ٢١٥
 فريز صبي شكري ٢١٤
 علي ، الإقليم ١٦ و ١٢١ و ٢١٦ و ٢١٦
 علي بقاء القار ٢٠٠
 علي جريئة القار ١١٤
 علي جريئة القين ١٤٩
 علي القيد ١٤٢
 علي عيد القيد ١١٤
 علي الحاروط ١٤٠
 علي صبي ٤٤
 علي ناصر القيد ٢١٤
 علي الحاروط ، الإقليم ١٦
 حوت القيد ١١٤ و ١٢٠ و ٢١٦
 حوت الحاروط ١٤٤
 حوت حاروط ٢١٦
 حاروط عيد القيد ١٤٤ و ٢١٦ و ٢١٤

(ع)

حاروط ، القيد ٢٠ و ٢١٦ و ٢١٦ و ٢١٦
 و ٢١٦ و ٢١٦
 حاروط بقاء ٢١٦

(ط)

- طبرانی ۲۶۱
طبرک ، لک ۲۸۲ و ۱۸۳ و ۲۸۲
طروت شریک ۱۶۱ و ۱۶۶
طاسل حسن ۲۸ و ۲۸۶
طاسل علی ۲۶۲ و ۲۶۲
طاج المستوری ۲۶۶
طاجرباک ۱۵۲
طاری طوقان ۲۰۲
طرج ، طوبی ۲۸۶
طروان ۲۲
طیعی القریس ۵۲ و ۱۵۲ و ۲۰۱ و ۲۸۶ و ۲۱۵
طیعی عویضی ۲۰۵
طواد عولوا ۲۸۶ و ۲۸۶ و ۲۸۶
طوزی بعل ۲۸۶
طوزی عبد القواد ۲۸۰
طواجر ۱۵۶ و ۱۸۶
طون ، جزل ۲۸۶
طیصل لارک ، لک ۲۰
طیصل حسن ۱۹۵

(ل)

- لاي ، جزل ۲۶۱
لظی عزرا ۲۹ و ۲۸۲ و ۲۸۶
لیکا بیلل عولوا ۲۷۰
لویون ، کوستاک ۱۵۲

(م)

- مطرس ، لک ۲۸۸
مکون مطیلان ۲۶۲
مطرح حسن طیعی ۶ و ۲۸۶ و ۲۸۶ و ۲۶۶ و ۲۶۶
مطیعی ۲۲ و ۱۶ و ۱۸۶
مجد عزرا ۲۹ و ۲۸۲
محسن ابوجری ۲۸۶
مجد الأسیر ۹۰ و ۹۲
مجد باقر الشیعی ۹۵
مجد باقر عبد القی (لاجل باقر عبد القی) ۱۵۱
مجد و ۲۸۶ و ۲۸۲
مجد علی الحکیم ۲۶۶
مجد لویان البکری ۲۸۶
مجد جلال لک ۲۶۱
مجد حسن القزبات ۹۶ و ۱۸۲ و ۲۶۲
مجد حسن آل یسین ۱۸۶
مجد عیقل لک أحمد ۵۸ و ۵۸ و ۹۶ و ۱۸۲ و ۱۸۲
مجد و ۱۸۲ و ۱۸۲ و ۱۸۲ و ۲۰۱ و ۲۶۲ و ۲۸۶ و ۲۸۶

(ن)

- نسم لک ۲۸۲
نسم القسری ۲۱۲
نظمی البکری ۱۶۶ و ۱۶۶
نراقی ۱۵۲

(هـ)

- هکفر الإسمیعی ۱۵۲
هکفر ، لویا ۲۱۵
هکفر ، هکفر ۲۱۲ و ۲۰۰ و ۲۱۵
هکفر البکری ۶۶
هکفر لک ۲۰
هکفر مطیعی الشیعی ۱۵۱ و ۱۸۶ و ۲۶۲ و ۲۸۶
هکفر ۲۶۲ و ۲۶۲
هکفر ، لک ۱۵۲ و ۱۸۶

محتويات حلل الذكريات ومرها

المقدمة : ٣ - ٦

الفصل الأول : الأسرة والموجة ٧ - ٢٤

الأب ، الأم ، الأقرب ، القرية ، العلم

الفصل الثاني : الطفولة ٢٥ - ٣٧

الكتابة ، الحياة الاجتماعية ، الرغبة البكرة ، الزملاء

الفصل الثالث : الدراسة العلمية ٣٩ - ١٣٦

الدراسة الابتدائية / الدراسة المتوسطة / دار المعلمين الابتدائية سنة ١٩٤١ /

الشعب العراقي / في إمام عسكر / مدرسة إمام عسكر / فرقة قليل / مشكلات

العراق / مدرسة الفوائد / أمين المكتبة / رب ضلالة نالمة / ومن الطريف /

تبارك الشام / كرم فلسطين / في الاسكتلندية / طرفة طلق / بتاية كلية

الأداب / أول قصيدة / جامعة الشبية العربية / العودة إلى بغداد / في دار

المعلمين في بطرية / أثر جامعة الاسكتلندية على / مشكلة رسالة الماجستير /

الدراسة في مصر / إلى لندن / الحرية في الغرب / سيرة الخارج والداخل /

الدراسة المرحلة في لندن / يخ .. يخ يا جامعة القاهرة / الماجستير / الدراسة

الحامية .

الفصل الرابع : التبرخ والاكتشاف ١٣٧ - ١٨٤

والذالآب / نظريات الجديدة / الفكر العربي والتمرة الفرنسية / بين مصر

والعراق / حل أجد النصف / فقدان لكل العليا / أنا والبحث العلمي / د .

الخالف وحق النقد / المساهمة في المؤتمرات / النصف والمجلات التي نشرت

فيها / أول مجلة / أسيد مستعارة / المحاضرات والخطب / طبع المصري

والعراق / أول خطبة لي / المحاضرات العامة / الشخصية / الكتابات

والأجور / الأوصاف / من كتب عن من الكتب / الجمعيات والنوادي
الأدبية .

الفصل الخامس : الصلات الفكرية والعلمية مع المبدعين ١٩٥ - ١٩٤
بداية الصلات ، طبيعة الإعجاب ، طه حسين ، علال بلرواد ، طبيعة
الرسائل / أجرة المبدعين ، حفظ الرسائل .

الفصل السادس : المؤلفات : ١٩٥ - ٢١٤
رأي القارئ / تواريخ المؤلفات المطبوعة / أهمية الكتب المطبوعة / الريانة الأولى /
المادة والإبداع / الفلسفة التي تقوم عليها المؤلفات / الخسارة والرجح في
الإبداع / ترجمة الإبداع .

الفصل السابع : الرحلات : ٢١٥ / ٢٣١
رحلات وصداقات / مصاب بالسل / وبالبقي لم أطلب هذا / فضل مصر /
سفرة الصين / سفرات أخرى / الكتب والمجلات .

الفصل الثامن : السياسة : ٢٣٣ / ٢٤٢
العراق والوحدة ، مقتل الملك غازي ، لما قتل ٢ ، حرب الساسة العراقي
، سر مقتل الملك ، في سجن معسكر الرشيد ، نيل المسجون .

الفصل التاسع : الشخصية بأسلوب المؤرخ : ٢١٥ / ٢٥٨
المجتمع والشخصية / البيت والأولاد / دراسة النقد / مع الناس / مواهب
أخرى / الشواهد الإبداعية / الجليل الذي عاصروا .

الفصل العاشر : حياة مكثفي : ٢٥٩ / ٢٧٤
عنصرها الأولى / مكانها في الدار / تطورها / عدد الكتب التي ألفتها /
المخطوطات وألفها / المؤلفات والوثائق / كتب عددا من المبدعين / نتائج من
عبارات الإهداء / إهداء الكتب / شراء الكتب .

الملاحق :-

ملحق أول : بعض ذكريات مع يوسف عز الدين بقلم كمال القيسي ٢٧٥ - ٢٨٠ .

ملحق ثان : رسالة عبد المجيد حبيب القيسي ٢٨١ - ٢٨٤ .

ملحق ثالث : رسالة د . ماهر حسن فهمي ٢٨٥ - ٢٨٧ .

ملحق رابع : رسالة د . غيث الدين أحمد ٢٨٨ - ٢٨٩

ملحق خامس : حلل الذكريات في صود ٢٩١ / ٣١٦

ملحق سابع : كتب يوسف عز الدين .

ملحق سابع : فهرس الاعلام

المحررات

رقم الإيداع: ١٩٩١/٢٠٠٠

١٩٩١/٢٠٠٠



MEMORIES : SWEET AND BITTER

Prof. YOUSIF IZZIDIEN

Prof. Yousif Izzidien